روايات عبير

نيرينا هيليارد

الزوَاج الأبيَض

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR' – No. 14

الزواج الأبيض

شقيقتان ... الجميلة الموهوبة اعتادت منذ الطفولة أن تأخذ كل شيء يخص اختها حتى خطفت منها خطيبها ، فما كان من ليلي ديرمونت الا أن تنحت مفسحة في المجال امام شقيقتها صاحبة السحر الذي لا يقاوم ، وقبلت عرضاً بزواج ابيض ... زواج خدعة هدفه حصول مديرها الاسباني على ارث تركه جده مشترطاً ان يكون الوارث قد تزوج ، لكن الأمور تجري على غير ما تصوره وبات الزواج الابيض يتلون بالوان اخرى .. تحت شمس المكسيك .. لكن ماذا تريد تلك الشقيقة المعروفة باسم «النجمة الداكنة» لأنها نجمة سينمائية ذات مصير غامض ... وهل تستطيع ان تخطف من اختها زوجها الاسباني الوسيم ؟

لبنان	٦ ل.ل.	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٧٠٠ م
سورية	٨ ل.س.	الامارات	٩ د	تونس	١ د	U.K.	£ 1
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 120
السعودية	٨ ر	عمان	٩٠٠ ب	مصر	٧٠٠ م	Cyprus	P 1

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

DARK STAR

المراسلات :

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece.

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - أسرة ديرموت

أغلقت الباب بعنف كمن يتمنى أن يصفعه بشدة، ولكنه يحاول أن يكبح جماح نفسه. وابتسمت ليلي للفتاة الغاضبة التي القت بكومة من الاوراق على مكتبها وسألتها بعطف:

"يبدو عليك الاضطراب، فماذا يجري؟"

أشارت الآنسة كيريفان بيأس، وكان شرح ما يزعجها بدقة أمر يفوق طاقتها وقالت:

"سأقول يوما لذلك الرجل رأيي فيه.. وثقي أنني لن أكون مهذبة في ذلك!"

اختلجت شفتا ليلي ديرموت قليلا، وظهرت في عينيها الفاتنتين الداكنتين ومضة انشراح. ولو أن احدا اطال النظر اليها لأعجب أيضا بلون بشرتها القرمزي الشاحب وبشعرها المجدول في عناية، بعدما عقصته مثل اكليل حول رأسها الصغير. وكان مظهرها خادعا اذ تبدو هادئة ساكنة الاعصاب، لكنها كانت ذات مزاج حاد وكانت كيري كيريفان تعرفها معرفة جيدة ولا ترتاب اطلاقا في الصفات الكامنة تحت كمال بشرتها الشاحبة. وأدركت كذلك ان ليلي لم تأخذ كلامها على محمل الجد. وقالت وهي تجلس على ركن من المكتب:

"آه... لعله من الصعب أن اجد الجرأة.. ربما يكون مديرنا جذابا ولكنه ارهب مثال صادفته!"

فقالت ليلي معلقة:

"مشكلتك انك تسمحين له بأن يثير اعصابك."

وأعادت كلماتها اللهب الى العينين الخضراوين، فهتفت كيري:

"يثير أعصابي؟ كاد يهيج غضبي منذ لحظات، واصارحك بأنني لا أفهم كيف استطعت أن تلازميه ثلاث سنوات."

وأجالت عينيها في محجريهما، واردفت:

"لابد ان عندك صبر القديسين" فهزت ليلي كتفيها في شيء من عدم المبالاة وقالت:

"كل ما هنالك انني لا احفل اطلاقا به ولا بأطواره."

"هذا من حظك.. لأنك تضطرين لتلبية جرسه معظم

الوقت! ولكن هناك كلمة حق لا أحجم عن قولها بصدد صاحب مؤسسة ميريديث، وهي انه لا يقول كلمة في غير موضعها."

والتوت شفتا ليلي الجميلتان الى اعلى، وقالت:

"اتعنين انه لا ينساق للحب؟ يا للمسكين! انه لا يعرف كيف يحب، اذا هو حاول!"

انطلق صوت الجرس، كأنه ازيز سرب من النحل المهتاج، فبدد هدوء غرفة ليلي الصغيرة، فوثبت كيري عن المكتب، ولاذت بالغرفة العامة المجاورة. وجمعت ليلي بعض الاقلام، وكراسة للمذكرات، وأسرعت الى باب المكتب الخاص برئيسها، الباب الذي كادت كيري أن تصفعه، لولا انه كان محتوما عليها الا تفعل، لان رويز ألدوريت لم يكن من ذلك الطراز من الرجال الذي قد يجيز عنفا من هذا النوع. لم يكن من الطراز الذي يسمح بأي شيء من قبيل الألفة أو الازدراء لمركزه المهيب كرئيس لدار ميريديث، وكان التصدي له بالرد يتطلب درجة من التصلب في الرأي لم توءتها كيري قطعا.

كان بوسع رويز ألدوريت، أن يخمد التوتر العصبي بكلمة هادئة، أو أن يذكيه بنظرة واحدة. كان الكفاءة بعينيها، عنده معرفة كاملة ومطلقة بكل شؤون شركته، وما كان ليشفق قط على نفسه اذا دعت الضرورة للعمل الشاق، وبهذا القدر من الكفاءة التي لا ترحم، كان يتوقع نفس الكفاءة من كل امرىء يعمل لديه. ولكنه ما فصل أحدا يوما ظلما، وكانت نظرته واحدة من عينيه الباردتي النظرات، توضح انه لا يطيق جدالا. كانت كلمته هي الفاصلة في كل المناسبات، وهو صاحب السلطان النهائي.

لم تشعر ليلي بأي توجس حين دخلت حجرته ولكنها اختلست نظرة اليه لتستبين ما اذا كان مزاجه معكرا اكثر من المعتاد. كان يقف وراء مكتبه حين دخلت، يسيطر بقامته الطويلة على الموقف، بينما كان ينبش نافذ الصبر في ركامات الاوراق على مكتبه. وقدرت ليلي أن بارومتر مزاجه يشير الى درجة عاصف، فتمنت أن يكون من الممكن تفادي العاصفة. ولكنها لم تأمل كثيرا، فأن رويز ألدوريت كان نصف اسباني، فقد آلت اليه دار ميريديث من ناحية أمه.

"أكنت تطلبني يا سيد ألدوريت؟"

"ما كنت لأدق الجرس، لو لم اكن أطلبك."

كان جوابه حادا، وما من شك في أن الرجل كان جذابا، ولكن امارات الغضب كانت تشوه جاذبيته. وهتف:

"أين ملف بروان وكينتون؟"

فأخرجت ليلي ملفا متخما بالوثائق من خزانة بجوار الحائط:

"انت طلبت مني مساء أمس أن آخذه."

وشعرت بارتياح ضئيل. وتناول الملف منها، وأخرج العقد منه، فقرأه بأكمله وهو مقطب، ثم التفت فرآها لا تزال واقفة امام مكتبه. وانعقد حاجباه الاسودان، ثم لانت أسارير وجهه وهدأت، وقال:

"حسن.. لك ان تنصرفي."

وخرجت ليلي وهي تكبت رغبة طائشة في أن تضحك، بالرغم من انها كانت تغادر مكتبه وهي تشعر كأنها كانت في معركة.

وخطر لها، وهي تعود الى مقعدها خلف مكتبها، ان كيري كانت على صواب. كان بوسع رويز ألدوريت أن يثيرها، اذا سمحت لنفسها بأن تهتاج ولكنها لحسن حظها كانت اكثر سيطرة على انفعالاتها من كيري المتقدة الطباع، فضلا عن أنها كانت قد ألفت هذه المعاملة. وعلى النقيض من رويز ألدوريت، كان حبيبها بروس أشبه بالملاك. وسمحت لنفسها بأن تفكر في بروس وأوشكت أن تستسلم لحلم من احلام اليقظة، لولا انبعاث رنين الجرس مرة أخرى، ولكنه لم يكن متعجلا وملحا كالمرة السابقة.

كان رويز ألدوريت يذرع غرفة مكتبه، ذهابا وايابا، حين دخلت للمرة الثانية فحدجها بعينين سوداوين، ثاقبتين، تشعان بفضول واهن، وقال:

"اتعرفين مطعما جيدا، لا يبعد كثيرا عن الادارة يا آنسة ديرموت؟ أنني على موعد للاجتماع بمندوب من بروان وكينتون، ولن يتسع الوقت لأذهب لمطعمي المعتاد."

وفكرت ليلي بسرعة. كان ثمة مقهى أو أثنان قريبان، لكنهما ليسا من الطراز الراقي، الغالي، الذي يليق برئيسها. وقالت أخيرا، في تردد:

"هناك مطعم ريكي، على مسيرة بضع دقائق من هنا. لا يتردد عليه من شركتنا سوى القلائل. والطعام جيد، ولكنه ليس ممتازا."

قال في غير تردد:

"أنه مع ذلك يصلح. كيف اذهب اليه؟"

ارشدته، فشكرها في لهجة فاترة مقتضبة، ثم صرفها مرة أخرى. وفي طريقها الى مكتبها، عرجت على القاعة العامة،

لتسأل كيري عما اذا كانت سترافقها للغداء، فتطلعت كيري اليها منصرفة عن نسخ تقرير على الالة الكاتبة، وسألتها:
"في مطعم ريكي؟"
"نعم، سأقابلك هناك اذا لم يعوقني صاحب الشأن لاي أمر".
وهمت بأن تعود الى مكتبها، لولا أن كيري نادتها قائلة:
"بالمناسبة جاءت مكالمة هاتفية من ستيلا بينما كنت مع صاحب الجلالة منذ لحظة. قالت انها ستأتي بسيارتها في وقت ما غدا".
وبرقت عينا ليلي، وهتفت:
"هل ستيلا قادمة؟"
فتطلعت اليها كيري بملامح متحفظة، وتساءلت:
"انك بالغة الاعجاب بها. ألست كذلك؟"
رمتها ليلي بنظرة متعجرفة، وازدادت ابتسامتها رقة، فاصبحت كتلك التي تؤثر بها بروس. وقالت:
"طبعا. كلنا بالغو الاعجاب بها يا كيري، وفخورون بها. ربما لانها جميلة، وموهوبة، وبارعة بدرجة غير متوقعة في أسرة عادية".
هكذا كانوا دون شك، اسرة عادية. وكان هذا سر دهشتهم من أن يكونوا قد انجبوا فتاة مثل ستيلا... النجمة الداكنة، كما كانوا يسمونها مداعبين، ولكنهم كانوا جميعا فخورين بستيلا نورديت، الممثلة الكبيرة، وكانوا يعجبون كل الاعجاب بها، كشخص من الاسرة.
وما كانت كيري التي شعرت بما جال بخاطر صديقتها تقرها على ذلك. فلم يكن أي من أفراد عائلة ديرموت عازبا ولو أن ستيلا كانت تظفر بالاعتراف بأنها جميلة. لم تكن ثمة دمامة او جمال عادي في تيس و توم التوأمين اللذين يتعذر كبح جماحهما، ولا في جولي المراهقة التي أوشكت أن تتخرج من كلية الفنون - حيث كانت تتلقى برنامجا للسكرتيرية - ولا في ليلي ذات الهدوء الذي لا ينم عما بداخلها... والى جانب هذا كله، لم تكن كيري تقر البتة بعض آراء الاسرة عن ستيلا.
ما كان ثمة ريب في أن ستيلا جميلة، كان لشعرها الاسود المصقول لمعان جناح الغراب الاسود، الامر الذي لم يكن مرتقبا في أسرة شعر افرادها أحمر، وكانت قسمات وجهها وبشرتها الخالية من أي عيب - والتي يعرفها رواد السينما - أقصى ما تشتهيه فتاة.. ولكن هذا كان أقصى ما توافق

كيري به على اسطورة أسرة ديرموت، التي كانت اسطورة زائفة تماما. فان ستيلا كانت أنانية، لا تعني الا بنفسها، وما كانت شخصيتها في جمال جسمها. وفي أية حال، فان كيري كانت ترى - بينها وبين نفسها - أن ليلي كانت الجميلة الحقيقية في الاسرة. كان جمال ستيلا من النوع الظاهر، أما جمال ليلي فكان في قسمات وجهها الشبيهة بنحت أزميل فنان، وفي وضع رأسها الاشم، الهادىء، وتاج شعرها اللامع الذي لا يقل تألقا عن شعر ستيلا... وفوق كل شيء آخر، كان في ليلي جوهر عميق، ثابت، من الاخلاص الصادق الذي كانت ستيلا تفتقر اليه بالتأكيد. كانت الممثلة المشهورة تتلقى كل التزلف والاعجاب اللذين يوجهان اليها - حتى من أسرتها - وكأنها حق واجب لها، وما كانت تمنح شيئا سوى ابتسامة لطيفة غير صادقة، لا معنى لها!
كان هذا رأي كيري، ولكنه كان آخر ما يمكن ان تقدم على مصارحة ليلي به. وتساءلت ليلي: هل ذكرت ستيلا كم ستمكث؟ فهزت كيري رأسها قائلة:
"الواقع أنها لم تقل كثيرا اذ كانت متعجلة لحضور مؤتمر صحفي أو شيء كهذا. اتصلت بالبيت، ولكن الرقم كان مشغولا، فاتصلت بك هنا، بدلا من أن تنتظر خلو خط البيت".
فابتسمت ليلي قائلة:
"هكذا هي ستيلا حقا... اشتكت مرة انهم لا يتركونها تخلو بنفسها ابدا، ولكني أخال أنها تستمتع بكل دقيقة يحيطونها بها".
ووافقت كيري - في نفسها - على ان هذه الكلمات كانت صريحة خالية من الرياء. كانت ستيلا نهمة الى الشهرة والاهتمام، فلا بد من أن تكون مركز الجاذبية باستمرار. كان لابد من أن تستحوذ على كل ما تبغي، واذا كان ما تبغيه ملكا لغيرها فانها كانت تأخذه دون أي تأنيب ضمير، ودون أن تفكر لحظة فيما قد تسببه للغير اصابعها الطامعة. ولو أنها تراجعت لحظة، فمن المحتمل ان يقتصر ترويها على هزة غير مبالية من كتفيها.
وعندما استقرت ليلي في عزلة مكتبها، جلست الى منضدة المكتب لتطبع على الالة الكاتبة ما أعطاها رويز آلدوريت من عمل، ولكنها لم تستطع إيقاف افكارها، برغم انسياب اصابعها على مفاتيح الالة بكفاءة: ترى هل ستعجب ستيلا ببروس؟ طبعا! وأضافت في سرها، وفي عينيها

ابتسامة: من المستحيل ألا تعجب به!

وعادت الى العمل وهي تكبح رغبتها في الانسياق لأحلام اليقظة عن بروس، وهي رغبة كانت مطردة الازدياد والتسلط في الشهور القلائل الاخيرة، وهو أمر مفهوم، ماداما قد اصبحا خطيبين. كان من المستحيل - برغم كل رصانتها - ألا تحب بروس من النظرة الاولى، وأن لم يظهر عليها ذلك. وغشيت عينيها رقة لطيفة، وهي تفكر فيه... في بروس العزيز، الضخم غير المصقول! لم يكن لها مفر من أن تحبه حين دخل مكتبها، وابتسم لها، وسلمها مجموعة من التقارير من القسم الهندسي في المصنع موجهة الى رويز الدوريت.

ولقد أقرت الاسرة اختيارها عندما رأته... ابتدأ من أبيها المحامي الخشن، الى أمها المتزنة - والتي مازالت جميلة - الى جولي المراهقة، الى التوأمين الجامحين، اللذين اعربا عن تحبيذهما، بطريقتهما العابرة: لا بأس به! وكان هذا منهما بمثابة اطراء بل أكثر. وقد داعبوها جميعا أما جولي فقد استهوت فكرة العمل في شركة آلدوريت، خلال العطلة الدراسية الاخيرة، ولكن كيري كانت ترى انها قد تعدل رأيها، بعد لقاء واحد بصاحب الشركة الموقر! وعلى أي حال... فكان من الرائع ان تعود للبيت بعد أيام قلائل، عندما تحين العطلة الدراسية. وبمجيء ستيلا كذلك، ستسنح فرصة لالتئام الاسرة تفوق كل ما كان متوقعا. سيكون وجود ستيلا وجولي معا مناسبة بديعة حقا.

وفجأة تذكرت موعد الغداء، فنهضت لترتدي السترة السوداء الانيقة، سترة البذلة المحكمة حول جسمها الرشيق. والتقت بكيري خارج باب حجرتها الملحقة بقدس اقداس رويز آلدوريت. فسارتا متجاورتين على البوابة البيضاء للمصنع الحديث النظيف، ومضيتا في الطريق الى المطعم... على الباب العادي، كتب عليه ريكي. كان داخل المطعم عليل الهواء، فسيحا، اصطفت على طول احد جانبيه مقصورات صغيرة، أسدلت عليها ستائر.

واستقبلتهما ريكي نفسها، وكانت امرأة متوسطة العمر، ذات شعر أسود وخطه الشيب قليلا، وقادتهما الى احدى المقصورات، وهي تقول مخاطبة ليلي:

"بالمناسبة، اختك هنا."

ورددت ليلي مشدوهة: اختي؟ واذ ذاك ازيحت ستارة احدى المقصورات، وخرجت منها في حركة رشيقة فتاة يافعة،

في العقد الثاني من العمر ذات شعر برونزي عقص على شكل ذيل الحصان، وعيناها العسليتان ترقصان بضحك ماكر.

ورمقتها ليلي مصعوقة، وهتفت:

"جولي! ماذا تفعلين هنا؟"

"تفشت الحصبة في المدرسة بشكل وبائي، فأرسلونا جميعا الى بيوتنا، من لم يصب بها من قبل، على الاقل. لقد انتهى الفصل الدراسي تقريبا، على أية حال."

كانت جولي تدرس في مدرسة داخلية للسكرتيرية اشتهرت بتفوق برامجها، ومناهجها العامة. ولم تلبث ان اردفت، في مرح:

"عندما ينحسر الوباء، سنختتم الفصل الدراسي، وتقام حفلة توزيع الشهادات، وحتى يتسنى هذا فأنا هنا."

واحتضنتها ليلي بحنان مغتبط، ثم ألقت نظرة على حقيبة الملابس المستقرة على الارض، وقالت:

"ألم تذهبي للبيت بعد؟"

فهزت جولي رأسها قائلة:

"لم أذهب بعد. خطر لي انني سأصل الى هنا قبيل وقت الغداء، فرأيت أن أفاجئك هنا."

قالت ليلي بشيء من الجفاء:

"لقد فاجأتني قطعا. والاسرة أيتوقعون مجيئك؟"

فرمتها جولي بابتسامة ماكرة أخرى، قالت:

"كلا. كان المفترض أن ابرق لهم، ولكني رأيت أن افاجئهم هم الآخرين" ودخلت المقصورة معهما فتهالكت على المقعد، وزفرت في ارتياح، قائلة:

"ها قد عدت نهائيا.. اني لمصممة على العمل بشركة مريديت. فعقبت ليلي بجفاء:

"امازلت على فكرتك القديمة."

برقت عينا جولي، وقالت:

"بالتأكيد.. انني وقعت حقا في حب مديركما."

ولم تبد ليلى أي ردة فعل، اذ كانت على دراية بأختها، وقالت: "ولكنك لم تره قط."

"بل رأيته، لم احدثه طبعا، ولكني رأيته فعلا، عندما مررت بالشركة في طريقي الى هنا، كان يهم بأن يستقل سيارته التي تساوي ثروة ولابد، فأدركت من هذا ومما وصفتماه به أنه هو."

قالت ليلي وفي صوتها رنة دهشة جافة:

"اذن فقد وقعت في هواه يا صغيرتي؟ أتسمحين بأن تخبريني ما الذي استهواك؟"

تنهدت جولي في نشوة المراهقة، وقالت:

"انه جذاب، اسمر، رومانسي."

قالت ليلي في برودة:

"وعاطفي كقطعة من جليد... حان ان تكبري على نزوات الطالبات!"

"ولكنه رائع! لابد أنك لاحظت هذا، فأنت تعملين معه منذ ثلاث سنوات."

وعلقت كيري بضحكة خفيفة:

"ألا ترينها سريعة في تفكيرها؟"

وخالت ليلي ان اختها تمزح، ولكن شيئا من القلق جعلها تأخذ الامر مأخذ الجد. فقد كانت جولي في سن تجعلها سريعة التأثر. ومع أنها نزوة لا بد أن تنقضي مع الزمن، فان ليلي لم تشأ لشقيقتها المراهقة ان تقع فريسة لجاذبية سمرة رويز آلدوريت، وان تكن جاذبية غير انسانية. وقالت في تؤدة:

"ان رويز آلدوريت جذاب جدا، واني لأوافقك على ذلك، ولكنه كرجل فهو آخر من ينبغي لفتاة ان تقع في هواه!"

"لماذا بالله؟ ما اظنني رأيت شخصا مليحا منذ سنوات، حتى بين اولئك الذين تمثل ستيلا معهم!"

فقالت ليلي باقتضاب:

"بهذه المناسبة، ان ستيلا قادمة غدا." وانتظرت رد الفعل، فصاحت جولي:

"ستيلا قادمة؟ كم ستمكث؟"

"لست ادري بعد. احسبها ستخبرنا حين تصل."

وكان في عيني ليلي وميض الفرح، الذي ظهر حين سمعت النبأ لأول مرة، فأحست كيري فجأة بخوف من اجلها.. كان في ذهنها شك في أن ستيلا ستجرح شعور اختها.

"انني موزعة بين الولاء له، والاعجاب بستيلا، ثم الارتياب القطيع في أنه سيغوص بنظراته في كيانها. انه قد يكون نصف أسباني، ولكني على يقين بأنه يعتبر النساء - كنساء - شرا لابد من احتماله، لمجرد بقاء النوع. ولو وجدت مؤسسة علمية تعكف على البحث عن طريقة للاستغناء عن النساء، فانني متأكدة من أنه سيتبرع لها بجزء طيب من ارباح شركة مريديت!"

وضحكت جولي، ولكنها أردفت على الفور:

"لا يحتمل ان يفكر على هذا النحو وقد اوتي هاتين العينين!"

وفي تلك اللحظة بدأ الرجل الجالس في المقصورة المجاورة بالاصغاء الى حديثهما بمزيج غريب من الانزعاج والحنق، وان لم يكن قد سمع شيئا ينال منه كرجل. كان من الواضح ان الفتيات لم يكن لديهن فكرة عن وجوده هناك، وبدا ان سكرتيرته نسيت تماما أنه كان قد اعتزم تناول غدائه في مطعم ريكي. وكان قد أودع سيارته شارعا خلفيا فلم يكن ثمة ما يذكر ليلي بأنه جالس في مقصورة مجاورة، منذ وصلت جولي، والا لاستطاعت ان تنذر الآخرين، ولما تحدثت هي نفسها على هذا النحو غير المتحفظ..

ولقد شعر مديرها في البداية بحرج من استراق السمع دون تعمد، ولكن لم يكن من سبيل لتفادي ذلك. ثم جد ما جعله يصغي لكل كلمة، اذ انبعث صوت ليلي جافا، وان لم يشبه ذلك الصوت الهادئ الذي اعتاد سماعه منها:

"هذا هو يوم المفاجآت حقا. حدثيني يا صغيرتي. الامر الوحيد بشأن عينيه هو أن لهما قدرة على الايحاء باستياء سيادته."

هتفت جولي في دهشة من قصر نظر شقيقتها:

"لابد انك لاحظت، فأنا لم اره الا في لمحة مقتضبة، اما أنت فتعملين لديه منذ زمن، ولا أدرى كيف تسنى ان تفلتي من الوقوع في حبه!"

فاعترضتها ليلي قائلة:

"ما كنت لأجسر." وتبينت الوميض المداعب المتراقص في عيني اختها، فأدركت ان جولي لم تكن جادة، ولكنها قررت المضي فيما بدأت فيه. فما كان ينبغي لجولي - اذا جاءت للعمل في الشركة - ان تشعر، خطأ، بجاذبية صاحبها. كانت بعد في سن الحرج، وقد تصبح كلماتها المداعبة جادة. لذلك مضت ليلي تقول لجولي:

"كنت أكثر انشغالا بعملي من ان اوليه اهتماما. وعندما ازدادت معرفتي به، تبينت أن من الخير الا تساورني اية افكار عاطفية نحوه. انه رئيس جاد جدا" وهنا اولى المستمع غير المشتبه في وجوده، كلماتها شكرا ساخرا، وهي تستطرد:

"هذا اذا استطعت احتمال اطواره، ولكني اعترف بأنني لا اوافق على انه عاطفي على الاطلاق!"

وأخذت تعدد ميزاته على اصابعها:

"انه طويل، رشيق، ليس في هذا شيء غير عادي. وهو

شديد السمرة، امر عادي كذلك، فمعظم الرجال ذوي الدم اللاتيني سمر، اما أنه عاطفي! وضحكت وكأنها تطرد آخر وهم قد يكون ساور جولي وقالت:

"انني اسفة اذ اخيب تصورك يا صغيرتي، ففي ساق المقعد الذي تجلسين عليه الآن من العاطفية اكثر مما في مديرنا المحترم، انه لا يعرف كيف يطارح فتاة الحب لو حاول!"

وضحكت كيري في خبث وقالت:

"كم اتمنى ان أري وجهه لو سمعك تقولين هذا!"

فابتسمت ليلي قائلة:

"لا قدر الله، انه قد يعتبر هذا نوعا مستغربا من الاطراء.."

فغمغم شاغل المقصورة المجاورة لنفسه: أواه، هذا محتمل!

واردفت ليلي:

"ليس للنساء مكان في حياة رويز آلدوريت اكثر من أنهن أدوات لامساك الاقلام، وكتابة ما يمليه عليهن، واداء الواجبات الكتابية الاخرى للشركة!"

وضحكت جولي نفسها، متخيلة عن مداعباتها، ثم اضطرب الحديث ازاء عبير الطعام الذي طلبته. وبعد فترة من الصمت، انبعث صوت جولي:

"هل تسدين لي صنيعا يا ليلي؟ فأجابت هذه بمكر، وهي الخبيرة بأختها:"

"هذا يتوقف على ما تريدين" فضحكت جولي قائلة:"

"عندما تعودين لمكتبك، تأملي رويز آلدوريت مليا، ثم أخبريني في المساء عما اذا كنت لا ترينه مليحا بعد."

"ولأي داع هذا؟"

"لأسباب لدي!"

فهزت ليلي كتفيها قائلة:

"لم أقل انه غير مليح.. انما قلت انه يكاد يكون عدوا للنساء، فأكملت لها جولي العبارة: وفي ساق المقعد اكثر مما فيه من عاطفة!"

لم تطمئن ليلي للمكر المتراقص في عيني اختها، ولكن ما من شيء قيل عن رويز آلدوريت بعد ذلك.

نهض شاغل المقصورة المجاورة بعد قليل، فدفع حسابه وانصرف، دون أن تفطن الفتيات اليه. ولكنه في الطريق الى مكتبه، لم يستطع - وان شغل ذهنه بأمور غير شخصية كعادته - أن ينسى الصوت الهادئ، وصاحبته تتناول مظهره قطعة فقطعة، موضحة بجلاء انها لا تؤمن

بحب السكرتيرة والمدير.

وكانت فترة بعد الظهر فترة موفقة، أتم فيها المدير توقيع عقد براون وكينتون، ثم عكف على بقية أعماله، متناسيا الحديث الذي تناهى لأذنيه، حتى جاءت سكرتيرته الى مكتبه، لتعنى ببعض الملفات. ووجد نفسه يراقبها - على الرغم منه - وهي تتحرك دون ما صوت. كانت السكرتيرة المثالية التي عهدها، والتي لا تنم اساريرها عن شيء، حتى كاد يقتنع بأنه تصور ذلك الحديث في خياله، وبالرغم من تأكده بأن ما سمعه كان صوتها. وادهشه ان يسائل نفسه عما يكون قرارها النهائي اذا ما فعلت ما طلبته اختها. ولكن وجهها وعينيها لم تكشف شيئا مما كان يساورها، برغم انه كان يراقبها عن كثب، كأنما كان فينظرها مجرد قطعة اثاث أخرى... وهذا ما كان يبتغيه.. ولم يكن أى طراز آخر من السكرتيرات ليناسبه..

ووجد نفسه - هو يراقب تحركاتها في مكتبه بهدوء، ورصانة، ورشاقة - يسائل نفسه عما اذا كانت قد شعرت يوما بانفعال عاطفي حقيقي. كانت تبدو أشد سيطرة علي نفسها من أن يراودها شيء من الشهوات الحارة التي قد تمزق الادميين.

وتحولت ليلي عن آخر خزانة للملفات، وألقت نظرة على ساعتها، ثم تطلعت اليه قائلة:

"اوشكت الساعة على الخامسة. هل تريد أي شيء آخر هذا المساء؟"

فقال:

"كلا.. طابت ليلتك."

وردت التحية بهدوء، وخرجت مغلقة الباب خلفها بنفس السيطرة على نفسها التي كان يبدو انها سمة لكل تصرفاتها. وان هي الا دقائق، حتى ساد الجو نشاط سريع، مع رنين جرس الانصراف. وبعد توان، كان المكان قد خلا، وساد الظلام، عدا الضوء الوحيد الذي ظل في حجرة رويز آلدوريت، الذي بقي هناك وحيدا لساعات، وعيناه السوداوان على الاوراق التي أمامه. ثم نهض أخيرا، وأودع احدى خزانات الملفات أوراقه، وضغط زرا للتليفون الداخلي، وقال:

"لك ان تأتي وتقفل الأبواب."

وحياه حارس الأبواب الخارجية، وسيارته الفارهة تنطلق في الظلام، وهو يدرك أن أمسيته هي نفس امسية البارحة.. سيذهب الى البيت - وان كان لم يعتبره مسكنه يوما

بيتا ! - كان ثمة مكان واحد، يمثل في نظره البيت دائما ...
مكان لم يكن بوسعه قط ان يعود اليه.. المبنى الابيض، الممتد الارجاء، الذي كان يذكره بجلاء تام، وان كانت قد انقضت أعوام منذ رآه آخر مرة. وتشبثت يده بقوة بعجلة القيادة - لمجرد تفكيره فيه - حتى اصبحت سلاميات اصابعه في بياض الكاراسترانو. ثم خف تشبث قبضته، اذ أجبر ذهنه على تناسي الموضوع. والسيارة تمضي به الى مسكنه الفخم، والى الزوجين العجوزين اللذين يعنيان به. كانا من الدقة والحرص والتجرد الذاتي كيفية عناصر حياته، ومع ذلك فقد كان يحس احيانا بأن الاصداف الصلبة الباردة تتشقق احيانا، فتزحف الوحدة متسللة منها، ويضطر لأن يضغط على ذاكرته، كما ضغطت يداه على عجلة القيادة.

ان أي شيء كان يمكن ان يسبب ذلك الشعور... ولكن بعض الاشياء كانت أكثر تأثيرا من سواها، شجر نخيل المنطقة الحارة في بعض الاعلانات السياحية، أو لمعان ضوء الشمس على مبنى ابيض.. ولكن الموسيقى أكثر من كل شيء.. فعندما كان يسمع العذوبة المتراخية لأغنية أو رقصة من اسبانيا القديمة، مع الوقع اللحوح الذي يشد الحواس تحت جاذبيته الناعمة، عندما كان يسمع ذلك كانت تعود الذكريات أقوى ما تكون.

ولكنه كان يكبح الذكريات بالشدة الباردة التي نماها في نفسه، ويردها الى اغوار ذهنه حتى لا تعود لها أية معان تقريبا. لعله كان على وجه ما يستحق التحليل الذي أثارته به سكرتيرته، فقد تعمد عبر السنين ان يعود نفسه على هذا النسق، ولكن ذكرى صوتها البارد، البعيد، راح يتردد في ذهنه في تلك اللحظة على نمط غريب!

كان الضجيج الذي أثارته عودة جولي غير المرتقبة، والانفعال الناجم عن الزيارة المتوقعة لستيلا، لا يزالان قائمين - وان أخذا في الهدوء قليلا - حين وصلت الى البيت في ذلك المساء.

واستقبلت مرغريت ديرموت ابنتها الكبرى عند الباب، وهي تطوق جولي باحدى ذراعيها كانت لا تزال جذابة، بل ومحتفظة ببعض خبث جولي ولشعرها الانيق ما لشعر ليلي من تألق يمتزج فيه "اللونان البني والبرتقالي، ولا تتخلله شعرة بيضاء واحدة، وحيت مرغريت ابنتها الكبرى ليلي قائلة:
"ما رأيك في هذه الفتاة اذ تعود كالتلميذة الهاربة

من المدرسة؟"
صاحت جولي محتجة:
"تلميذة هاربة؟ لقد بلغت السادسة عشرة!"
قالت أمها في سخرية وحب:
"يا لها من سن كبيرة!"
واذ ذاك اندفع التوأمان من جانب البيت وانطلقا الى البهو.. ما كان ثمة وصف غير هذا، يناسبهما فما اعتادا ان يدخلا أي مكان، انما كانا يندفعان، ومعا دائما، كأنهما شقان لاعصار غير متوقع. كان شعرهما خشناً واشبه بالجزر الاحمر. وكانت جولي شقراء ذات شعر جميل نحاسي اللون بينما للام والابنة الكبرى جدائل يختلط فيها اللون البني بالبرتقالي، بينما شعر كيري - وهي زائرة دائمة للبيت - يدخل في نطاق الاحمر الذي تشعبت منه كل هذه الالوان. ولهذا السبب أصبحت كيري كيريفان جزءا من آل بيت ديرموت.
وقف التوأمان أمام جولي، وتطلعا اليها بوجهين يكسوهما النمش، ولهما انفان افطسان. قال توم باغتباط عفوي:
"اذن، فأنت قد جئت؟ وأومأ برأسه لتوأمه قائل:"
"هيا بنا، والا تأخرنا. فحيت تيس أختها العائدة باقتضاب، واختفت لاحقة بتوأمها. ووضعت جولي يديها على ردفيها في استياء غير جدي، ثم ابتسمت قائلة:"
"ان الطفلين لم يتغيرا البتة.. فضحكت امها قائلة:
"ما أظنهما سيتغيران يوما. والتفتت الى ليلي- وهي تغلق الباب الأمامي- وسألتها:"
"كيف كان العمل اليوم؟"
فهزت الفتاة كتفيها قائلة:
"كالعهد به دائما الى حد كبير."
وتغيرت أساريرها فجأة، قائلة:
"أليس من الرائع ان ستيلا قادمة؟"
أقبل الأب وكان محاميا معروفا ومحترما، ومعه حقيبته مليئة بالاوراق، فرفع حاجبيه اذ رأى جولي، وبدا مشدوها قليلا لنبأ مقدم ستيلا، ووافق في شيء من الجفاء - على أن مجيء جولي، والوصول المترقب لستيلا في اليوم التالي - لن يمكناه من أن ينصرف لشيء في العمل.

٢ - زيارة ستيلا

وصلت ستيلا الى البيت حوالي الساعة الثامنة من مساء اليوم التالي، تقود سيارتها الثمينة، ذات اللون الأزرق الياقوتي، التي لم تكن تقل عنها اناقة وأبهة!

وشعرت ليلي بغصة في حلقها عندما نظرت الى أختها التي تصغرها عاما واحدا· ورمقت أمها فأحست من اسارير مرغريت بأنها تحس بالاحساس نفسه· هذا ما كان يحدث دائما عندما تريان ستيلا، سواء مثلت بشخصيتها أو على شاشة السينما· كانت الفتاة أكمل ما تكون رونقا وبهاء·

وهمست مرغريت، وهي تحيط ابنتها الممثلة الرائعة الاناقة بذراعيها: ستيلا يا عزيزتي" ومست شفتاها الخد الناعم، فاذا نفحة من عطر غال تجعل انفها يختلج في تقدير· وما لبثت ستيلا ان خلصت نفسها ورمقت جولي في عجب وحيرة، وهتفت:

"يا الهي! أهذه جولي الصغيرة؟"

هتفت جولي محتجة:

"صغيرة؟ أنني الان في السابعة عشرة كاتبة اختزال مبتدئة ومؤهلة·"

فقالت ليلي مازحة:

"قلت لها ان من الخير ألا تدع رويز يرى شيئا من عملها، اذا كان هذا ظنها·"

كانت مضطرة لأن تخفف من لهجتها، اذ كان التئام شمل الاسرة ذا أهمية للجميع· ورفعت ستيلا حاجبيها متسائلة، فقالت: "تعملين مع ذلك الشيخ البغيض الصارم؟"

"قالت جولي: انه ليس بغيضا، ولا شيخا، وان كان على شيء من الصرامة·"

وابتسمت في خبث قائلة لاختها ذات الشهرة: "لقد فكرنا في انه يجوز ان نقدمك اليه فتلطفين طباعه قليلا·"

عادت الابتسامة المميزة تبدو على فم ستيلا الجميل، وقالت:

"أهو من مبغضي النساء؟ انهم عادة صنف ظريف· اتظنين

ان بوسعي ان اعالجه؟"

فابتسمت جولي قائلة:

"بل متأكدة·"

وفي تلك اللحظة انفع التوأمان للحجرة، فألقيا نظرة نحو اختهما، وهتفا بتحيتهما الموجزة:

"أهلا!"

ثم انصرفا لأمور أخرى· كانت ستيلا تضحك دائما لطريقتها الموجزة غير المبالية·

قالت تيس - احدى التوأمين - وهي تتحسس المعطف الفرائي القصير الذي ألقته ستيلا على ظهر أحد المقاعد في غير اكتراث: لا بأس به!· وهمس توم التوأم الآخر، مبهوتا وقد ألصق انفه بزجاجة النافذة: هذه سيارة ممتازة· كان في عمر تشغل السيارة فيه الأولوية بين افكاره، حتى قبل الفراء الثمين· فأولته ستيلا الابتسامة المشهورة في طول البلاد وعرضها، وقالت:

"سأصطحبك في جولة، اذا كنت حسن السلوك·"

فهتف في كبرياء:

"أنني حسن السلوك دائما، ألست كذلك؟"

والتفت لأمه في اقتضاب: احيانا! وتأملت ابنتها ستيلا، وعيناها تتحليان من ذلك الجمال الخالص· لكم كان يحيرها دائما انها استطاعت ان تنجب ابنة كهذه· واستدركت نفسها، فقالت لقد تأخر ابوك في المكتب، عطله امر لم يستطع تفاديه· لقد اتصل هاتفيا منذ دقائق· فابتسمت ستيلا قائلة:

"لا عليك، سيتيح لي هذا أن أصلح ماكياجي من أجله·"

وضحك الجميع لفكرة ان تتجمل ستيلا، لأنها كانت بديعة بلا تجمل· وان هي الا دقائق حتى اصطحبتها جولي الى الطابق الأعلى، وانطلق التوأمان الى مكانهما المفضل، الحديقة، ووقفت ليلي وأمها عندا اسفل السلم تشاهدان جولي وهي تثب الدرجات كأنها في سن تيس، وقد تساقطت السنون أمام الانفعال الطروب، وستيلا تداعبها في حب طاغ· حتى اذا اختفيا، التفتت الام وابنتها الكبرى كل للأخرى، وابتسمتا· وقالت ليلي برفق:

"ما أطيب أن تعود ستيلا الينا!"

فردت الام قائلة:

"انها جديرة بأن نفخر بها·"

"ولم تتغير، وهذا أروع ما فيها!"

مسحت مرغريت، الأم دمعة افلتت خلسة، ثم تحولت نحو مطبخها مستودة نشاطها، وقالت:

"ارى أن نتناول بعض الشاي، فهو مفيد لاعادة الناس الى دنيا الواقع. ووضعت الابريق على النار، والتفتت الى ليلي وهي تحضر الاقداح والاطباق وتضعها بعناية، وقالت: انك تبدين متعبة قليلا. هل ألدوريت يزداد صرامة؟"

فابتسمت ليلي قائلة:

"اعتقد ان ما بي نتيجة الانفعال.."

"أهو متزمت في صرامته؟"

"أظن هذا، بدرجة ضئيلة على أية حال.."

"فلماذا لا تغيرين عملك اذن؟"

"لا يضايقني العمل تحت امرته.. ما أن تتعودي عليه حتى تجدي ألا غبار عليه.."

وقطبت جبينها، وهزت رأسها ورمقت امها بنظرة حائرة واردفت:

"بل أنني احيانا أشعر بأسف لأجله.."

ووضعت امها طبقا مليئا بالبسكويت، ونظرت بدهشة، فأومات ليلي قائلة:

"أعرف أن هذا سخف.. فهو من الثراء بحيث يحظى بكل ما ينبغي، ومع ذلك فانني - أحيانا - لا أتمالك ان أشعر بأنه في داخله غير سعيد. وفي اللحظة التالية، اذا هو كالعهد به دائما، فاتر، حاد، منطو.. فأوقن انني كنت واهمة، وأن من المحتمل انه يستطيب ما هو عليه.."

"ربما.. أو لعله تحت مظهره غير سعيدا حقا.. حتى الاغنياء لهم مشكلاتهم.."

وارسل الابريق صفيرا، فأنصرفتا الى الشاي. وعندما تركتا المطبخ، وجدتا جون ديرموت، رب الاسرة، يدخل من الباب الامامي.. وفي اللحظة، ظهرت ستيلا على السلم، فهبطت مسرعة، وبسطت ذراعيها لأبيها.. واحتواها كأنه دب كبير، وضحك اذ احتجت بأنه يفسد استواء ثوبها المخملي، وقال مداعبا:

"المخمل لا يفقد استواءه في هذه الايام. تستطيع ليلي أن تحدثك عن الاقمشة التي ينتجونها اليوم في مصنع مريديت.."

فرمقت ستيلا أختها بنظرة مازحة، وقالت:

"يا لمديرها الشهير!.. لا بد لي من أن أقابله.."

قالت ليلي برجفة مصطنعة:

"لم تخسري شيئا بعدم لقائه يا عزيزتي.. أن له اسلوبا رهيبا في النظر، فكأنه يكشف اعماقك!"

وفي تلك اللحظة رن جرس البيت، فجرت تيس الى الباب، صائحة بأعلا صوتها، بمجرد ان فتحته، معلنة عن وصول كيري. ودخلت كيري وسط هذا الاعلان الصاخب، والتقت عيناها عبر القاعة بعيني ستيلا فأومضت بينهما لمحة نفور. وأخفت ستيلا ما بها بسرعة، بخبرة تشهد مقدرتها على التمثيل. ولكن كيري لم تكن أقل منها مقدرة، وقالت بصوت ناعم:

"أهلا يا ستيلا سمعت بأنك قادمة اليوم."

اضافت جولي بسعادة، وهي تهبط السلم:

"ستقضي اربعة عشر يوما كاملة.."

وفكرت كيري في نفسها باكتئاب: اربعة عشر يوما، ما أطولها! وساورها شعور غريب مقبض. لم تكن تميل الى ستيلا ولا كانت تطمئن اليها ولعل الممثلة كانت تحس بهذا، مما يفسر التنافس المتبادل بينهما!

تأملتها في انتقاد متوار، محاولة العثور على أية امارات لما كانت تخشاه، ولكنها لم تر شيئا. كانت ستيلا تبدو في أكمل منظر، وكأن عمرها لم يتجاوز الثامنة عشرة عندما اخبرت أسرتها انها افلحت في اجتياز اختبار للسينما، وظفرت بدور في أحد الافلام. فسماتها المتناسقة، وشعرها الاسود اللامع وعينيها الخضراوين المائلتين قليلا، كل هذه تعاونت ولا ريب، مع مقدرتها على التمثيل، لرفعها الى قمة السلم.

وبرغم ثرائها وشهرتها، فانها لم تنس أسرتها قط، ولهذا ازداد الجميع حبا لها، غير أن هاجسا أوحى لكيري وحدها بأن لعودة ستيلا ديرموت للبيت سببا آخر، ولو انها تهورت وذكرت بأن الممثلة ما جاءت لتزور اسرتها الا لسبب، وليس لأنها كانت تحفل بهم، لأنكروا هذا في شمم، ولا نقطعت صداقتها لليلي، وهي ما كانت لتريد ذلك. لهذا لزمت الصمت، برغم انها كانت مقتنعة تماما بأن ستيلا لم تكن تجد وقتا لأسرتها اللهم الا خدمة لمصالحها، فقد يكونون يوما ذوي نفع لها، ولهذا لم تقطع صلتها بهم تماما، ثم ان هذا كان يخدم الدعاية لها، فقد كانت تحب ان تظل في عيون الرأي العام حسناء البلدة التي لم تنس اسرتها برغم شهرتها، لولا

هذا لنفضت ستيلا ديرموت عن نعليها غبار كورفيستون، البلدة الصغيرة في أقليم كنت التي نشأت فيها، ولنسيت انها عاشت فيها، أو رأتها، يوما!

وها هي قد جاءت لأربعة عشر يوما، ولسوف تسبب شرا ما، لم تكن كيري تعرفه نوعه بعد، ولكنها كانت موقنة بأنه سيحدث، بقينها من غروب الشمس كل مساء!... وكانت ليلي محور القسط الاكبر من قلقها. وما كانت كيري تعرف ولكن حدسها أخبرها بأن ستيلا قد تكون أشبه بطفلة تمد يديها بطمع الى لعب اختها، وانها تحظى بها دائما لأنها بارعة الجمال، والكل يهيمون بها، وبعد فترة، تفقد عادة اهتمامها بما تكون قد اخذته، وتهمله لصاحبته الحقيقية، لتأخذه ثانية اذا شاءت، ولكن اللعبة تكون قد تلفت. كانت كيري موقنة من هذا، ومن ان ستيلا ما كانت لتعاقب أو تؤنب، برغم ذلك، لمجرد انها كانت ستيلا، ستيلا الجميلة!

* * *

بعد حوالي عشرين دقيقة، رن جرس الباب ثانية، وأسرعت ليلي لتفتح الباب لبروس. كان شابا متين البنيان، خشن الوجه، في السادسة والعشرين أكبر من ليلي بعام واحد، وما كان ليوصف مهما تساهل التصور والخيال بأنه وسيم ولا كان ذا رشاقة تميزه، ولكن ليلي كانت ترى دائما ان في جوهره شيئا ينم عن اخلاص صادق، وعن أنه أهل للاعتماد عليه. وكان لكيري رأيها الخاص ازاءه هو الآخر. كانت ترتاح الى بروس كثيرا، ولكنها تخال أحيانا فيه الضعف، بجانب العند الذي يبرز اكثر ما يبرز الحب، فلاذت كيري بالصمت مرة أخرى.

قدمته ليلي الى ستيلا بزهو باسم. وعند ذلك أدركت كيري ما كانت تخافه، لأن ستيلا نظرت الى الشاب ذي الشعر البني والوجه الخشن، ثم ابتسمت في نعومة وصمت. وراحت كيري تصلي باستماتة في قلبها:

"لا تجعله هو يا رب هدفا لها ... ليس هو الآخر!"

اللعب.. الدب، والدمية المحطمة، والآن الرجل الذي احبته ليلي قد تأخذه ستيلا هو الآخر!

٣ - الأرث

تسلم رويز الدرويت خطابا خلق له أزمة وحطم حاجزا نفسيا حاول جاهدا بناءه لمدة عشر سنوات وعاوده الماضي بأكمله: الحنين الى ذلك البيت الابيض الجميل المحاط بالأشجار الباسقة والزهور المتكاثفة، والى الهواء البارد ينساب فوق الجبال...

وعاد يقرأ الخطاب، فاذا به ينبئه بما انباه به من قبل، كان ثريا، بعد أن آلت اليه ثروة آل ميريديت ولكن الخطاب كان يمنحه المزيد بشرط واحد: كان في وسعه ان يرث ثروة خرافية، سبق أن نبذها، بوسعه أن يعود الى البيت الابيض الذي ظل يحلم به دائما، ولكن الشرط كان بعد قائما.

كان عليه أن يتزوج قبل أن يعود، ويجب ألا يتزوج من مرشيديس لاسترو! فاذا حاول اعتراض الوصية، خسر الميراث فورا، ليؤول الى جمعيات معينة بدلا منه. وكان الشرط يمهله ثلاثة أشهر، يجب أن يتزوج خلالها وأن يحضر عروسه الى كاراسترانو، أو يتنازل مرة أخرى عما نبذه في الماضي!

كان الشيخ دييغو الدرويت على معرفة جيدة بحفيده، عندما أدرك أن الشاب سوف يبذل ما في طاقته ليمتلك البيت والضياع التي كان يحبها منذ كان طفلا!

عاد رويز يتأمل الخطاب ثانية، محاولا التفكير بروية للتملص من الشرط الواضح في الخطاب. إذ أنه لابد من أن يكون متزوجا، في خلال ثلاثة أشهر، وكان رويز يعلم المقصود من هذا: ان يغدو وريثا لقصر كاراسترانو!

زم شفتيه النحيلتين. كان يطمع في الكاراسترانو، ولكنه لم يؤت اية نية لأن يجبر على التخلي عن القرار الذي اتخذه منذ زمن بعيد، بألا يكون لأية امرأة وزن لديه مرة أخرى!

ضاقت عيناه وهو يقرأ الخطاب بتمعن، لعل هناك مخرجا. لم يكن ثمة ذكر لمستقبل زواجه، ولا لنوع المرأة التي ينبغي ان يتزوجها، اللهم الا انها لا ينبغي أن تكون مرشيديس لاسترو، وما كانت لديه أية رغبة في أن يتزوج من مرشيديش لاسترو بل ولا رغبة في الزواج اطلاقا. ما كان شيء أبعد

عن رأسه بالأمس من هذا. وكان من ناحية اخرى يريد قصر كاراسترانو!

وتذكر - وقد زم شفتيه الرفيعتين ثانية - الرجل الذي وضع هذا النص اللعين المقيت في الوصية. لقد كان دييغو آلدوريت دائما صارما، قوي الارادة، وما من شك في أنه كان يظن ان بوسعه تنفيذ ارادته، ولو بعد موته!

لابد من طريقة تنفذ كل كلمة من ذلك النص الوارد في الوصية، فترد اليه البيت الذي أحبه كثيرا، وتتيح له - في الوقت ذاته - استرداد المناعة العاطفية التي كان يعتزبها كثيرا، تدبير تجاري محض بين شخصين، يمكن كلا منهما من استعادة حريته وطريقه الخاص، بمجرد تحقيق الغاية من الزواج. فلم يكن الاذعان الفارغ لشروط الوصية هو الذي شغله في تلك اللحظة. كان شديد الغيظ - لكنه غيظ بارد - لأن اليد التي كانت تملك التحكم في حياته يوما، وحرمانه من كل ما اعتاده- بل هدم اسس حياته ذاتها - تمتد لتحاول اعتراض حياته مرة أخرى، لمدة طويلة من العمر، بل الى ما بعد الوفاة!

لمعت في عينيه ابتسامة باردة. فلقد ارتكب دييغو آلدوريت خطأ لمرة واحدة في حياته اذ كان ينبغي ان يضع ذلك النص في تفصيل أوفى. أما الآن فمن السهل التحايل للتهرب منه، غيرانه كان لزاما ان يفكر في الفتاة التي تكون مستعدة لابرام عقد غير عاطفي كهذا، فتاة تكون مثله، لا تحفل بالحب، ولا مكان له في حياتها، ويمكن الاعتماد عليها في ابعاد المشاعر العاطفية عن الاتفاق طيلة المدة التي يتعين عليهما قضاؤها في المكسيك! ولكن أكانت هناك فتاة كهذه؟

وشدته الفكرة بحدة الى.. الفتاة التي في الغرفة الملاصقة! انها هادئة الاعصاب، مسيطرة على نفسها، حتى انها أحيانا لا تكاد تبدو من البشر. ما أبدت قط لمحة من أي شيء يشبه الضحك الفارغ الذي تبديه بعض الفتيات اللائي يعملن في بقية أرجاء المكتب، واللائي يضايقنه احيانا بثرثرتهن التي لا معنى لها - وان لم يكن قد اصغى اليها قطا- أما هي، سكرتيرته الخاصة، فما كان يسمع اذا ما خرج الى مكتبها سوى صمت ملتزم. وما من شك في أن الفتيات كن يثرثرن عن اصدقائهن، وعن الحب والحياة العامة.. ما عدا ليلي يرموت، فانها كانت تبدو بعيدة تماما عن

العاطفة السقيمة التي كانت تثير حنقه، وكانت عيناها مشدودتين دائما الى عملها، وما من ريب في انها كانت من جلاء الذهن بحيث ترى فوائد اتفاق عملي من النوع الذي يبتغيه!

ومد يدا الى زر الجرس الموضوع على مكتبه. وبدون اقل ارتياب في ذهن ليلي يوحي اليها باختلاف الغاية من دعوته اياها الى مكتبه في هذه المرة عما اعتادته، التقطت كراسة الملاحظات، والاقلام، ودخلت اليه.. ثم جلست في مقعدها المعهود، وفتحت الكراسة، مدركة انه سيملي عليها رسائله كالعادة في مثل هذا الموعد من كل يوم، ثم يتركها وشأنها بقية اليوم، ما لم يجد شيء عاجل.

* * *

لكنه قطب جبينه وعبث بالورقة التي بين يديه، ثم شرع يتكلم و ليلي تسجل ما كان يقول، تلقائيا، دون ان تتبين ما هو، وقد شرد فكرها هذه المرة غير مركز على عملها.. ثم ترجمت لنفسها ما كتبته بالاختزال.. وراقبها، رويزالدوريت بامعان، ولكن علامة الدهشة الوحيدة التي استطاع تبينها، كانت ضيق خفيف في مقلتيها! أما ليلي فقد كانت تسائل نفسها عما اذا كانت قد اختبلت تماما.. لكن هذا الوهم لم يكن اسخف أو ادعى للضحك والسخرية مما كتبت وهي شاردة الذهن.. وتمالكت نفسها، وتطلعت اليه قائلة:

"اخشى انني لم أحسن التقاط ما أمليته يا سيد آلدوريت.."

واكتست أساريره شيء من المزاح وقال:

"بل اظنك التقطته. لقد سألت عما اذا كان بوسعك تدبر عرض للزواج قائم على مجرد المصلحة؟"

فعادت تنظر الى كراستها، كان هذا ما كتبته حقا، ولم تكن واهمة. وقبل ان تستجمع شتات ذهنها، استرسل يقول:

"قد ينبغي ان ازيدك وضوحا قبل أن تقولي شيئا. لقد ترك لي جدي أخيرا عقارات في المكسيك، ولكني ملزم بتحقيق شروط معينة قبل المطالبة بها، والا آل كل شيء لجمعيات خيرية معينة."

سمعت صوتها - هادئا، رصينا - وهي تكرر كلمتي: شروط معينة؟ وعجبت في نفسها كيف تكون بلا شعور بالارتباك بعد عرض للزواج قائم على مجرد المصلحة، مثل هذا! بينما كان هو يستطرد: لابد لي من أن اتزوج، وسيكون هذا تدبيرا!

وقتيا طبعا. وعاد يتأملها فشعرت باختلاجة فضول وجيزة تساوره: أكانت هي حقا بلا مشاعر ولا اكتراث كما بدت أم أن وجهها اكتسى قناعا بالغ الاتقان؟ ان أي شخص- ولو كان مجردا من احاسيس البشر- كان خليقا بأن يبدي دهشة لاقتراحه العجيب، ولكنها لم تبد أي تأثر، عدا تضييق عينيها قليلا، وكأنما كان يحدثها عن الطقس!

وجمعت ليلي شتات ما تبقى من وعيها المهتز، وأجابت بهدوء، غير كاشفة عن الاستحسان الطفيف الذي شعرت به، وهي تخاله قد توقع ان تتقبل اقتراحه بجدية: أنني آسفة، فأنا مخطوبة.

وكان هو الذي شعر في هذه المرة بصدمة حيث فوجيء بما لم يكن يتوقعه. وعاد يتأملها، وفضوله يزداد، وهو يتذكر صوتها في مطعم ريكي وقد كان أخف جمودا، وأينع شبابا، وأكثر تشوقا للحديث. وعجبت ثانية، وهو يسائل نفسه، ترى أكانت ترتدي قناعا من البرود في المكتب؟ واستبعد هذا، باستنكار ذهني، فما كان مهتما حقا بشخصيتها. وقال: اذن فالامر مستحيل في هذه الحال. وبالنسبة لخطبتك، اتعتزمين مواصلة العمل بعد الزواج

"بل سأتركه عندئذ بطبيعة الحال. ولكن لم يحدد بعد تاريخ للزواج، ولهذا لم اتخذ اية اجراءات، وكنت اعتزم ان انذرك قبل ذلك بوقت كاف لتتمكن من العثور على من تحل محلي."

فأوما مفكرا، وقال:

"طبعا. ولكني لا أدري تماما ما سيحدث. لقد قررت قبول عرض لبيع المصنع. وسيكون لأصحابه الجدد الحرية في اتخاذ تدبيراتهم بصدد المستخدمين، وقد يريدون ان تمكثي أطول ما تستطيعين."

"أننا لا نفكر في ابرام الزواج قبل عامين."

عادت الابتسامة الهازئة الى وجهه ثانية، وقال:

"يبدو أنكما تؤمنان بالخطبة الطويلة."

"أرى أن ذلك من الحكمة، مهما كان الاثنان متأكدين تماما من مشاعرهما. فالزواج أكبر من ان يتم بتعجل. كما أننا ندخر كلانا بقدر ما نستطيع حتى نتمكن من الحصول على بيت مناسب."

فكرة عملية ومعقولة تماما، وأصبح من الواضح بأنه كان على صواب بشأنها. فليس لديها الا القليل من العواطف. وساءل نفسه لحظة عن الرجل الذي كان مقدما على

الزواج منها، أكان رزينا وعمليا مثلها؟ ثم استبعدهما معا عن ذهنه، وتناول الخطاب، وشرع يملي عليها وكأن شيئا غير عادي لم يدر بينهما.

أما ليلي فلم تستطع أبعاد الامر عن ذهنها، حيث شعرت بتغير مفاجيء في أعماقها ونظرت لمديرها بعينين جديدتين، متبينة للمرة الأولى الجاذبية السمراء التي داعبتها جولي بشأنها. كان اكثر من عرفتهم من الرجال جاذبية، بما أوتي من قوام وخفة حركة وطريقة لوضع رأسه تنطق بالشمم. كان شعره وعيناه داكني السواد، لكن العينين لم تكونا تشبهان في شيء العيون المخملية لأهل الجنوب، كما يصفها الروائيون ذو الشاعرية. كانتا حادتين، عميقتي الأغوار، باردتين كثلج اسود تزينان قسماته الجذابة الحادة كأنما نحتتها يد فنان. واذ قدر لهذه البرودة أن تنحسر، فأنما كانت تتحول الى شيء من الهزء يوحي بمرارة وراء المظهر.

ونظرت الى يديه حين التقط رسالة أخرى، ورأت انهما رفيعتان، متناسقتان بشكل جميل، لهما طابع ارستقراطي، واصابع طويلة بديعة، ثم عادت تتأمل وجهه وهو يتحدث بالهاتف وساءلت نفسها، هل غشي العينين السوداوين شيء من اللطف يوما ما، وهل دق ذلك الصوت الحاد ذات الرنة الموسيقية العميقة لامرأة مثلا؟ في يوم ما أكانت امرأة هي التي جعلته هكذا؟ ومع ذلك لم يكن يبدو محتملا ان اية امرأة اوتيت هذا القدر من المقدرة على تغييره، لو كان التقوس الجامد لفمه في رجل آخر، لأخذ على أنه دليل مشاعر قوية، عميقة، طال كبتها. ولكن رويز آلدرويت لم يكن هكذا، ولو كان قد تعرض يوما لحب عميق.

واستغربت اذ وجدت نفسها تتساءل عما كان يحتمل ان يحدث لو أنها في وضع يسمح بقبول خطبته الباردة. لعل الموقف كان يكون بشعا، ثلاثة أشهر يتفادى كل منهما الآخر، ثم الغاء سريع لارتباطهما، عقد مصلحة، من البداية الى النهاية، ابتذال لكل معنى للزواج. وقالت لنفسها باكتئاب: ما أجدر الفتاة التي تقبل مثل هذا العقد، بالرثاء! ومع هذا، لم تستطع اقصاء فكرها عنه بقية فترة الصباح، وأن واصلت عملها بكفاءة، لأن المرأة اذا صدمت بما يدعوها للتفكير في رجل ما كزوج محتمل، لايعود يبدو لها كما عهدته، ولو كان الموقف بينهما باردا، تجاريا، غير عاطفي، من البداية للنهاية.

كانت ليلي في بهو البيت تتأهب للذهاب الى عملها، حين اقبلت جولي من حجرة المائدة، وأخذت تراقبها بعين منتقدة، ثم قالت:

"لا أدري لماذا تصرين على ارتداء ثياب لا تروق لأحد. انك تبدين دائما، شديدة التزمت".

قالت ليلي بشيء من الجفاء:

"لا أستطيع الذهاب للعمل بثياب متحزلقة، أتحاولين أن تقولي أنني أبدو غير انيقة، نابية الذوق؟"

فبادرت جولي:

"كلا، طبعا. وتأملت اختها التي كانت ترتدي كالعهد بها تنورة نظيفة، وبلوزة لا تشوبها شائبة، وسترة صيفية خفيفة وأردفت:

"ولكنك تظهرين دائما بمظهر سكرتيرة مثالية".

"هذا ما أحاول أن أكونه يا صغيرتي، والا ما ظللت طويلا في عملي. كان مديري خليقا بأن يطردني".

"لكم أود رؤية وجهه لو انه فاجاك في جولة مع التوأمين، فقد يغير هذا من آرائه قليلا".

لوت ليلي احدى خصلات شعر أختها، في تحذير مصطنع، وقالت:

"لا تحاولي السعي لأن تكوني زوجة له. فلن تسنح لك فرصة. بل أنني لا أعتقد أن جميلتنا ستيلا تستطيع هدم الجدار الفولاذي المحيط به، اما أنا فأود أن أتزوج بروس لا جبلا جليديا يسير على قدمين".

فقالت المراهقة الجريئة:

"ولكني لا أظنه الرجل اللائق بك".

بادرت ليلي في عجب يفوق أي شيء آخر: لا تظنينه؟

فهزت جولي رأسها وقالت مقطبة:

"كلا. بل أنني أحيانا أظنه يهابك ويخشاك قليلا".

"بروس يهابني ويخشاني؟ لا تكوني سخيفة يا جولي!"

"ليس بالمعنى الحقيقي، ولكنك تلوحين في بعض الاحيان، السكرتيرة القديرة، اكثر مما ينبغي".

"انك عاطفية خيالية، واذا ظننت رويز آلدوريت ذا قلب يخفق، فأنت لا تحسنين الحكم على الرجال حقا!"

"أذن فأنت لا توافقينني على رأيي بصدد بروس؟"

عادت ليلي تبتسم، وقالت:

"مهما يكن، فاني اشكرك اذ نبهتني. سأرتدي ثوبا يكشف

جزءا من محاسني عندما أذهب للقائه في المرة التالية".

واذ اتجهت الى الباب، قالت جولي مودعة:

"مازلت ارى أن رويز آلدوريت رائع".

فردت ليلي وهي تخرج:

"أذن فلا تدعية يسمعها منك، اذا جئت للعمل".

ومع ذلك، فأن عبارة جولي اقلقت خاطرها، فظلت تفكر فيها في طريقها الى العمل. لقد كانت ثمة غرابة بسيطة تحف ببروس في الفترة الاخيرة. ترى.. الى أي شيء تشير؟

أكان فيما قالت جولي ايعاز بشيء ما؟ أكان ما تتخذه من مسلك السكرتيرة المثالية قد أصبح يلازمها، ويجعلها مسرفة في رصانتها، وفي سيطرتها على نفسها، حتى بالنسبة لبروس؟ اتراه كان يشعر حين يقبلها بأنها تفتقر الى شيء ما؟ لعلها كانت تبدو اذا قيست بستيلا، مجردة من الشعور، بل ذات شخصية متعالية. ولكنه رآها تعمل في الحديقة، مرتدية بنطلونا قصيرا قديما، وبلوزة والتراب يلطخ وجهها، أي وهي بعيدة كل البعد عن شخصية السكرتيرة المثالية التي تعيبها عليها جولي. وفي صمت أقسمت ألا ترتدي ثيابا متزمتة عندما تكون مع بروس.

* * *

تأخرت فترة بعد موعد الانصراف للغداء، فلما وصلت الى مطعم ريكي كانت كيري قد سبقتها، واستقرت في مقصورتها مع جولي، التي كانت تطوف بالمتاجر، ووعدتهما أن تلتقي بهما لتناول الغداء. ولاحظت كيري وهن تتداولن بشأن أصناف الطعام أن ليلي كانت شاردة الذهن، حائرة تعض شفتيها احيانا دون أن تفطن. أكان مجرد شعور عام بشيء ما لا يدعو للارتياب أم أنها علمت بأن بروس كان يلتقي بستيلا سرا؟ لعلها لا تعرف، فقد كان محض مصادفة أن رأتهما كيري معا، دون أن يشعرا. كانت تقيم في الماضي في مزرعة وكان الحنين يدفعها احيانا الى الذهاب اليها، والسير على غير هدى في الحقول، وفي دروب الريف الهادئة. وفي أحد هذه الدروب، لمحت سيارة ستيلا واقفة، وهي تجلس فيها مع بروس. وكانا يجلسان متباعدين ولكن منظر ستيلا كان يوحي بأنها لتوها تلقت قبلة... أو قبلات. وانسحبت كيري بهدوء، عائدة الى حيث كانت تنزل وقلبها مثقل بالغثيان،

وصوت بروس يتردد في أذنيها خافتا أجش، كما سمعته في اللحظة التي برزت فيها من أحد المنعطفات فرأت السيارة، ولقد سمعته يتكلم ثانية، وهي تراجع عائدة، وسمعت ضحكة ستيلا الخافتة، المبحوحة، تشوبها رنة هادئة، ولم تنتظر كيري الى الوراء، ولكن الصمت المفاجيء الذي أعقب ذلك أشعرها بأنهما لم يعودا يجلسان متباعدين.

وراحت كيري تفكر في نفسها باكتئاب... كانت ستيلا جميلة حقا. ولكن جمال الأفعى الذي يخدر الحواس.

وارتدت الى الحاضر، اذ انفرجت ستار المقصورة، وبرز رأس جميل أسود الشعر، وهتفت صاحبته جانيس مارتين:
قالت ريكي انكن هنا، هل تمانعن في أن أنضم اليكن؟ ولم تلمح صدا، فجلست مبتسمة. كانت في حوالي الخامسة والثلاثين، ذات ابتسامة متوانية، وقورة، وكانت من أكفأ العاملات بالشركة ويقال انها أصيبت في الليلة السابقة لزواجها، قبل أعوام، وقيل أن خطيبها مات في حادث سيارة، في تلك الليلة ولكنها لم تتكلم عن هذا لأحد قط.

قالت مبتسمة، حين عرفتها ليلي بأختها:
"اذن فأنت جولي. كنت تواقة لأن ألقاك، فإن ليلي كانت تتحدث عنك باستمرار، حين كنت هنا قبل ثلاثة أشهر.
وشهقت جولي في أستغراب، فقالت جانيس:
"ألا تصدقين؟"
وابتسمت للأخرين متسائلة:
"هل حدث شيء ذو بال اثناء غيابي؟ فبادرت جولي: لقد خطبت ليلي."
أشرق وجه جانيس اغتباطا، وهتفت:
"تهاني! انه بروس طبعا، اذن فقد نطق أخيرا!"
قالت كيري في جفاء، انه طبعا بروس، فما راق لعينيها أحد سواه. وأضافت جولي:
"وستهبهما ريكي ايرني كهدية زواج... فرفعت المرأة حاجبيها متسائلة:
"من يكون ايرني."
واذ ذاك ضحكت جولي قائلة:
"سخان الشاي."
وسارعت كيري قائلة:
"اختار بروس العزيز أبعد الامكنة عن العاطفة الشاعرية كنا قد جئنا لتناول العشاء قبل الذهاب للمسرح. وكنا عند

طاولة الخدمة نتجاذب الحديث مع ريكي. ولا بد أننا شعرنا بموجات لاسلكية حولنا، فتحولنا قليلا، دون أن نفطن، تاركين المجال خاليا له ولليلي وابتسمت بمكر اذ لاحظت حمرة الخجل تضرج وجه ليلي فجأة، واستطردت:
"الظاهر أن سخان الشاي منحه جرأة، فسألها يدها في الحال. لذلك وعدت ريكي بأن تمنحها السخان كهدية للزواج."

* * *

لم يدر رويز آلدوريت ما الذي دفعه للذهاب ثانية الى مطعم ريكي. لعل الطعام كان ممتازا حقا، كما كان المطعم قريبا. ولكنه لم يكن متعمدا. ووجد نفسه مرة أخرى يسترق السمع، وقد أشرق وجهه، في هذه المرة، بابتسامة لا ارادية، اذ كان في تقدم رجل انكليزي لخطبة فتاة، بين أقداح الشاي والسخان، ما يثير الضحك. كان الامر كما تصوره تماما، اختارت سكرتيرته الجادة العملية رجلا بعيدا عن العاطفة مثلها، فيما يبدو.. ثم حاول ان يتناسى شاغلات المقصورة المجاورة، كما فعل من قبل، أو كان يتعتزم ذلك على الاقل، لولا أنه كان مضطرا للاستماع، كما في المرة السابقة... وانبعثت ضحكة خفيفة، تبين رويز لدهشته أنها من سكرتيرته، التي أردفت بقولها:
"يا لبروس المسكين يأبين أن يتركنه ينسى هذا."
فقالت جانيس مبتسمة:
"لا يمكن لكل فتاة أن تقول أنها خطبت بين ادوات الشاي."
ووجمت فجأة وبدا في عينيها ظل من ذكرى قاسية وهي تقول:
"أحيانا تكون الخطبة غير الشاعرية أفضل من خطبة تحت ضوء القمر.."
ولاذت الاخريات بالصمت. و لكنها استرسلت وكأنها تحدث نفسها:
"كان أدريان فنانا في هذه الامور حقا.. ولكن هذا لم يردعه عن الهرب مع ارملة ثرية، في الليلة السابقة على زواجنا بالذات!"
واذ أخلدت الى الصمت سألتها ليلي بصوت خافت:
"أمازلت تفتقدينه؟"
فتطلعت جانيس اليها، وحدقت في عينيها وقالت:

"اظنني سأظل افتقده دائما... ولو أنهما قتلا في حادث سيارة، في الليلة التي غدر فيها بي بالذات."
وسرت قشعريرة في جسد جولي فاردفت جانيس مبتسمة:
اراني اثير فزعك يا طفلتي المسكينة.
هزت جولي رأسها، وقد اكتسى وجهها الضاحك عادة بالوجوم ما لم تره أحداهن من قبل. وقالت:
"كلا. انما جال بخاطري أن من الفظيع ان تستمري في حب شخص، وأنت تعلمين انه ما من أمل لك في رؤيته."
فابتسمت جانيس، وقالت:
"انه امر فظيع في البداية يا عزيزتي، ولكن الزمن يلئم الجروح. ولكن.. أما من واحدة لديها موضوع أكثر بهجة؟"
أومأت ليلي براسها، وقالت:
"لدي انباء عن مصنع ميريديت، وقد تريان بيانا بعد ظهر اليوم، ولكن قد يحسن أن أخبركما الآن، أنه سيباع. فهتفت كيري يباع؟"
كان واضحا أن النبأ افلح في محو كل فكرة عن الموضوع السابق. وقالت ليلي:
"يبدو أن الدوريت ورث ثروة في المكسيك، وهو يبيع مشروعه ليعود الى هناك."
لم تشأ أن تخبرهن بشيء عن شروط الوصية، لأن هذا الأمر يخصه وحده. وهتفت جولي:
"يا للالهة!... لا تقولي انه من علية الاسبانيين حقا."
فقالت ليلي بجفاء:
"لم اسأله. معظم الثروات العريقة تقترن غالبا بلقب.. وان كان اسمه الكامل كافيا في حد ذاته رويز دييغوباليا دي الدوريت."
وارسلت كيري صفير دهشة، وقالت:
"ان له وقعا! كيف عرفت أسمه الكامل هذا؟"
"كنت أطبع أوراقا مختلفة خاصة به أحيانا، تتعلق باقامته في هذه البلاد. انه ليس انكليزيا كما تعرفن، ولا يزال يحتفظ بجنسيته الاصلية."
هتفت جولي، دون أن تتمالك نفسها:
"من الموسف الا تبدي تصرفاته شيئا من هذا."
فقالت أختها:
"هذا افضل، فلست انصور أن أعمل مع رجل يطاردك في غرفة المكتب."

وضحكت جولي قائلة:
"لا ادري. فانا أظن أن هذا ممتع، ولا سيما مع رجل مثل رويز الدوريت."
قالت كيري:
"رباه! أظن الفتاة مفتونة به حقا!"
فقالت ليلي بأستهانة:
"لو صح هذا، فانها سرعان ما ستتغلب على الافتنان. ما أظن انني أعرف نزواتك. أتذكرين بائع الحليب، وأنت في الرابعة عشرة؟ كأنما الدنيا كانت قد أنتهت، عندما نقل من المنطقة، ولكن سرعة التئام الجرح كانت عجيبة."
فقالت كيري قائلة:
"ما احسب أن رويز الدوريت سيشعر بالسرور لمقارنته ببائع الحليب!"
وفي تلك اللحظة اقبلت ريكي بالطعام، فهمست:
"بالمناسبة... اتعلمن أن مديركن يشغل المقصورة المجاورة؟"
فصاحت جولي:
"ماذا؟ وساد صمت مرتاع. وأخذت كل منهن ترمق الاخرى، وتحاول تذكر ما قلن.
هدأت ليلي نفسها بأن مسترقي السمع لا يتبينون بجلاء عادة ما يقال. ثم تذكرت المرة الاخرى، التي اعتزم فيها المجيء للمطعم، وسألت ريكي بصوت منخفض:
"هل جاء هنا يوم الثلاثاء الماضي؟"
واومأت ريكي برأسها، وقالت:
"اردت يومئذ أن أحذركن، ولكني شغلت اذ ذاك."
تساءلت ليلي في يقين ورهبة عما اذا كان قد شغل في المرة السابقة المقصورة التي يشغلها اليوم:
"أين كان يجلس؟"
فقالت ريكي معززة الهاجس:
"نفس المكان الذي يشغله اليوم، فآمل الا تكن قد قلتن أي شيء غير مستحب عنه."
وخرجت تاركة فترة صمت يشوبها الفزع.. ونقلت جانيس نظرها من واحدة لأخرى وهمست:
"أتصور من الصمت المرتاع انكن قلتن شيئا بغيضا" فأومأت ليلي برأسها، وهي تحاول في جزع تذكر ما قالته يومذاك! بينما غمغمت كيري، وهي ترمق ليلي بنظرة عطف ماكرة:
"انصراف تام الى الغداء منذ الآن. ارثي لك

اضطرارك لمواجهة صاحب السيارة بعد ظهر اليوم."

قالت ليلي تطمئنها بهمس خفيض:

"لا أظنه يتنازل بأن يشير لهذا. لو انه كان قد سمع شيئا من قبل، أنه تجاوز عنه كأمر لا يليق بكرامته أن يعلق عليه. وقد يفعل الشيء ذاته هذه المرة."

وبرغم هذا، وجدت ليلي نفسها تتأمله بامعان، حين دخلت حجرة مكتبه بعد الظهر. ولكنها لم تتبين أي اختلاف البتة، فقد تلقى نظراتها بعدم الاكتراث البارد المعهود من عينيه السوداوين، فشعرت بالحرج ينحسر، بعد مخاوفها في البداية من مواجهته.

* * *

تبينت الأسرة بأسى أن زيارة ستيلا بلغت منتصفها، ولن ينقضي اسبوع آخر حتى تكون قد رحلت، عائدة الى حياتها الحافلة بالنشاط الذي يبهرها. وكان الصحفيون قد حاصروا البيت القديم، ملتقطين لستيلا صورا وهي في قاعة الجلوس البالية، وأن كانت مريحة، وواقفة تعبث بارجوحة التوأمين، أو متكئة في أغراء على جزع شجرة تفاح عتيقة. لكنها صرفتهم بحزم لطيف، مصرة على رغبتها في أن يتركوا أسرتها في هدوئها، واعدة بأن تؤثرهم بلقاء آخر قبل عودتها الى لندن. واعتادت بعد ذلك البقاء في الفراش حتى يقترب موعد الغداء، فتنهض متكاسلة، وقد تصطحب التوأمين في جولة في السيارة، بعد انصرافهما من المدرسة، احيانا. وبالتالي تقدم الصحيفة المحلية في الصباح التالي صورا للممثلة الشهيرة مع شقيقها وشقيقتها الصغيرين. أو صورا لها وهي تحيط جولي بذراعها في محبة، أو هي مع ليلي وبروس. كانت ضاحية كورفستون، وكل اسرة ديرموت تحب هذا

وفي أمسية اليوم الذي تبينت فيه ليلي أن تعليقاتها على رويز الدوريت قد تناهت لسمعه، فتحت الباب الخلفي للبيت، وسط صرخات رعناء من الداخل، وتطلعت الى أمها وجولي، وهما تعدان الشاي في المطبخ، وقالت بابتسامة واهنة:

"كأني بالهنود الحمر يهاجمون البيت" ولم تتم كلماتها، حتى وثب عليها توم وقد خط وجهه باحمر شفاه استولى عليه من مكان ما، ملوحا ببلطة من الورق المقوى، وتشبث بخاصرتها ليتمالك توازنه، ثم دار حولها، مطاردا تيس وقد

خطت وجهها مثله، اذ اندفعت من الردهة، مؤرجحة حفنة من الخيط الاسود ربطت عند قمتها، وكأنها خصلة مدلاة من رأس أحد الهنود.

رمقت ليلي الخصلة بجفاء، وقالت لاختها الصغرى:

"يالك من قبيحة!"

فابتسمت الصغيرة لا مبالية. اما جولي فقد ساورتها أفكار أخرى. كانت قد ابتاعت أخيرا اول أصبع لاحمر الشفاه أذن لها بشرائه، فامسكت بأخيها وهي تصيح باستنكار:

"أحمر الشفاه هذا من عندي."

فأنكر توم متملصا، ثم اندفع، قائلا:

"ليس هذا احمر شفاه، أنه طلاء الحرب لدى الهنود"

ثم أندفع للحديقة وراء تيس، مطلقا صرخة مروعة، وجولي وراءه تطارده من أجل اصبع الطلاء المستولى عليه.

واذ ابتعد الضجيج، ظهرت ستيلا في مدخل المطبخ، متسائلة:

"أهما بهذا الصخب دائما؟"

"لا بأس بهما اذا كانا يتربصان، أما اذا انطلقا من كمين، فان الضجيج لايطاق."

وصعدت ليلي الى غرفتها لتعلق سترتها، فلما هبطت، كانت ستيلا في قاعة الجلوس. وسألتها:

"ماذا كنت تفعلين؟ آمل الا تكوني قد شعرت بضجر."

فرمقتها ستيلا وفي عينيها وميض هازيء:

"ضجر ليس بعد، ولكني ولابد ساحس به، فيما أظن، اذا أطلت البقاء. ألست تسأمين حياة الريف؟"

وابتسمت ليلي، وهي تهز رأسها، قائلة:

"أحسب أن بقية آل ديرموت خلقوا لحياة الريف. ويناسبنا أن نستدفيء بوهج مجدك."

ورمقتها ستيلا بنظرة ساخرة، وغاصت في مقعدها، قائلة:

"ترى كيف تكون القناعة والرضا؟"

سألتها ليلي في هدوء:

"ألست راضية؟"

فأطلقت ستيلا ضحكة قصيرة، قاسية، وقالت:

"راضية؟ لا يشعر المرء بالرضى الا وهو ميت."

فنظرت اليها ليلي مذهولة، ولكنها عادت ترميها بالنظرة الساخرة:

"أيذهلك هذا؟"

وهزت كتفيها، واسترسلت:
"ان لدي الكثير، أليس كذلك؟ وخليق بي أن أكون راضية، ولكن هناك دائما الكفاح لأجل المزيد، الحاجة دائما للبقاء. أنا نفسي ناضلت بهذه الشدة لأبلغ ما وصلت الي."
وسألتها ليلي في هدوء:
"لماذا لا تتخلين اذن؟"
فرمقتها ستيلا مأخوذة، ثم هزت كتفيها قائلة:
"اتخلى؟ هذا اسواء فقد اموت ضجرا."
"لن يحدث هذا اذا تزوجت وصار لك بيتك الخاص. أما كان هناك قط شخص وددت أن تتزوجي منه؟"
هزت ستيلا كتفيها ثانية، وقالت:
"احيانا، الى أن كنت أضيق بهم."
وأطلقت ضحكة عجيبة، ملتوية، وقالت:
"أحسبني اذا عثرت أخيرا على شخص، فانه سيكون من حق انثى غيري سبقتني اليه."
نظرت ليلي الى شقيقتها الجميلة مذهولة، وقالت لنفسها في حكمة أن النجاح ليس كل شيء، فيما يبدو، فان ستيلا برغم كل شيء اوتيته، وبرغم مرحها لم تكن سعيدة بعد. كان هناك شيء ينغص حياتها، كما كانت حال رويز آلدوريت. فبالرغم من كل ثرائه ومركزه، كان ثمة شك يلازمها في أنه لم يكن سعيدا حقا. هو الاخر كان ينشد المزيد، ولكنه أخفى حالة وراء قناع بالقناعة، وليس بالمرح كما فعلت ستيلا. ومن الطبيعي انه لم يكن من السهل معرفة ما ينقص رويز آلدوريت، بل من الممكن أن يكون أمره مجرد خيال منها، وأن يكون في أعماقه صلبا، مجردا من العواطف، كما هو في ظاهره.
وبعد هذه الملاحظة العابرة، كادت ستيلا تفقد توازنها، اذ اندفع الى الحجرة كلب أبيض ضخم، موفور الحيوية، وقطع الحجرة في وثبة واحدة، وألقى مخلبيه الأماميين على كتفيها. كان الكلب المعروف باسم سنوكس، قد أدرك أنها موجودة، فجاء يحييها بطريقته المعتادة، فلم تعد بعد ذلك ثمة فرصة لأى حديث جدي. وقد سرت ستيلا لذلك، فقد عاودها الشعور العجيب بأن شيئا ما لا يسير على ما يرام!
توالت أيام الاسبوع، تتخللها الاحداث اليومية العادية ممتزجة بمتعة وجود ستيلا وكانت جولي قد استقرت حتى لكأنها لم تبتعد قط عن البيت الى المدرسة الداخلية. وأهدت

فليكس قطة البيت الجميع مجموعة من القطيطات ذات اللونين البني والابيض، وجرح أحد مخلبي الكلب سنوكس وكان لزاما أخذه الى الطبيب البيطري. ومضى العمل كالعهد به، والحياة في مسيرتها العادية، الى ان كانت الامسية السابقة على يوم عودة ستيلا الى لندن. حيث انقلب كل شيء رأسا على عقب.
كان بروس قد حظي بيوم للراحة بدلا من يوم عطلة كان قد قضاه في العمل منذ بضعة أشهر. وقرروا أن يذهبوا لحفلة راقصة في ذلك المساء. وسمع رويز سكرتيرته تكلم كيري عن هذا ويبدو أنه أصبح يسمع عفوا، في أبعد الاوقات عن المتوقع، ففاجأها بأن دعاها للانصراف قبل موعده بساعة، ليتسع لها الوقت كي تتأهب. ولم تدر فيما بعد أكان جديرا بها أن تشكره او أن تكرهه لأنه صرفها قبل الموعد.
كان البيت يبدو هادئا، ساكنا، حين وصلت. واوحى الهدوء بان ستيلا كانت هي الأخرى خارج البيت، أو مستلقية، أو مستغرقة في القراءة.
وفتحت باب قاعة الجلوس، فسمعت:
"لا نستطيع أن نفعل بها هذا. لن اسمح لك. انني أوثر أن اشقى بقية عمري على أن أؤذي ليلي."
وقفت ليلي في المدخل لحظة، تقاوم ادراكها أن الصوت الذي سمعته كان صوت ستيلا، ثم تبينت الرجل الذي ضم اليه قوام ستيلا النحيل، الرشيق، واحنى رأسه ليلصق خده ببشرتها الناعمة، في زمجرة خافتة، كانت أكثر ايضاحا من أية كلمات.
انه... بروس!

٤ - الحل الوحيد

وقفت ليلي لحظة والألم يعتصر قلبها ، ثم أنسحبت بحركة تلقائية ، وبنفس الهدوء الذي اقبلت به ، واسندت ظهرها الى الباب المغلق ، وكأنها لا تقوى على الحركة . لقد سمعت عن تلك اللحظات التي يسكن فيها كل شيء جامدا ، ولكنها لم تتصور أبدا أن تعاني واحدة منها ، وأن تعرف الشعور بأن كل ما كانت تحلم به يتلاشى في لحظة وجيزة !

لم يكن بروس يحبها ... كان يحب ستيلا !

لم يكن للمشهد الذي فوجئت به معنى آخر ، فقد كان كل منهما منصرفا للآخر ، حتى انهما لم يحسا بوجودها . ووقفت عند الجانب الآخر للباب لحظة ، وهي تضغط شفتيها بيد متشنجة ، محاولة الحركة ، ولكنها بدت كما لو كانت قد تجمدت في تلك البقعة ، والبيت من حولها صامت ساكن . كان موعد عودتهما للبيت عادة فترة ضجة وحركة ، ولكن كل شيء كان اليوم مختلفا . لم يكن اليوم ككل تلك الايام التى انقضت من قبل .

لم تشعر بأي نذير هاجس ، حين تركت العمل ، ولكن جو التوتر والانتظار الذي ران على البيت كان خليقا بأن ينذرها . فلم يكن الكلب سنوكس هناك ليخف لتحيتها بوثباته الطويلة ، أنه كان لسبب ما لا يحب ستيلا ومن الواضح انه أعتزل بنفسه في مكان ما في الحديقة . حتى فيلكس وقطيطاتها كانت نائمة في المطبخ ، ولم تتحرك عند دخولها . ولعلها لو دخلت من الباب الامامي ، بدلا من المدخل الخلفي ... لعلها لو لم تترك العمل مبكرة ، لما كانت قد رأت ستيلا في احضان بروس ... ولسمعا صوت مفتاحها في الباب الامامي ... ومن المحتمل أنهما ما كانا يسمعانه ، فهما لم يسمعا صوت باب قاعة الجلوس يفتح !

أخيرا ، تمكنت من التحرك ، فتحولت ببطء وعادت الى المطبخ ، ومن ثم الى الحديقة ، الى الطريق ثانية . وهناك توقفت واخذت تتلفت حولها مخدرة الحس . ماذا ينبغي ان تفعل الآن ؟ ما كان لها أن تقف امام البيت كأحدى

شجيرات الورد التي كانت الاسرة تعني بها . كلا ... كان الوقوف خطأ ... هكذا أخبرها عقلها المذهول ، المصدوم ... ماكان لها أن تقف هناك ، فان الناس قد ينظرون اليها ... كان يجب أن تتحرك وأن تمشي .. فسارت بخطوات سريعة ، وحركات تلقائية ، دون أن تعرف وجهتها !

كيف تسنى لها أن تكون عمياء الى هذا الحد ، وأن تكون مطمئنة باعتداد الى سعادتها ، غير مدركة أن أثنين ممن تحبهم كانا شقيين الى هذه الدرجة ؟ واستدركت حين ذلك الشعور الغريب بأن هناك شيئا غير طبيعي ؟ مسلك بروس المتوتر احيانا ، وفوق كل هذا ستيلا ، اذا أهتدت للحب أخيرا لتجده أذ ذاك من حق غيرها ، من حق شقيقتها بالذات . هل خطر لها شيئا عندما قالت ستيلا حتى أذا وجدت الرجل الذي تؤمن به وتثق فيه ، فستجده من حق أمراة سواها ، سبقتها اليه ؟

يالستيلا الحبيبة من مسكينة ! أنها بالرغم من شقائها وتعاستها فكرت في الاخت التي قد تسيء اليها اذا أخذت منها سعادتها . وكان واضحا أن بروس هو الاخر فكر في ذلك ، وابى أن يفصم الخطبة التي كان من المحتمل أن تدمر حياته هو الاخر لو أتيح لها أن تستمر . ولكن ما من سبيل الى استمرارها طبعا ، فما ينبغي السماح لهما بأن يدمرا حياتهما . مهما يكن الألم الذي سوف تقاسي منه ليلي فاية سعادة يمكن أن تتيسر لها من زواج تظل فيه على علم ، كلما قبلها بروس بأنه انما يحاول أن يتخيل أنها ستيلا ، وتكون فيه موقنة ، أنه كان بوسعها أن تتيح لهما أن يكونا سعيدين ؟

وتنهدت ، وقطبت جبينها وهي تسير بسرعة ، دون ما غاية . وخيل اليها كأن شخصا آخر كان يراقبها اينما تذهب ، ليحرص على الا تخطو أمام سيارة وما كانت من الجبن بحيث تفكر في ارتكاب شيء كهذا وعقلها مشغول تماما بما كان ينبغي عليها أن تفعل أزاء المفاجأة !

ماذا كان عليها أن تفعل ؟ أكان ينبغي أن تدخل الحجرة وهما معا ؟ كان هذا كفيلا بأن يفرض مناقشة الأمر . أما الآن فمن العسير اثارة الموضوع بأعصاب هادئة . ولكن أما كان عسيرا بالدرجة ذاتها ، لو أنها حاولت فسخ الخطبة في الحال ؟ كان من الممكن أن تظل ستيلا على رفضها الزواج من بروس وما كان ينبغي أن يحدث هذا بالتأكيد .

وتركز كل الحب الذي كانت تكنه لشقيقتها في حل

واحد في ايجاد طريقة للانسحاب. كان من الخير أن يسعد اثنان ويشقى واحد، بدلا من العكس. ومهما يكن، فهي لن تسعد الآن لو تزوجت من بروس.

واصلت السير بخطواتها الحادة، والتلقائية الآلية، ومدركة انه لا بد من التوصل لمخرج قبل أن تهدأ الصدمة ويسيطر اليأس. ومن العجيب أن ذهنها أصبح صافيا، وأخذ يعمل سريعا بجلاء ذكي غريب. وقالت لنفسها: لابد من البت فورا قبل أن تستسلم للدموع، ولكنها لم تستطع أن تهتدي الى اي مخرج!

وكان لزاما أن تعود - أخيرا - الى البيت، وأن تتظاهر بأن كل شيء على ما يرام. كانت بقية الاسرة قد عادت في تلك الاثناء، ولكنها تجنبت الذهاب للحفلة الراقصة. وكان الصداع عذرا كافيا. وانبأتها بديهتها بأن بروس قد سر بقرارها.

* * *

عادت ستيلا الى لندن في الصباح، و ليلي لا تزال تبحث عن طريقة لفسخ الخطبة دون أن تتيح للعاشقين سببا لأن يعتقدا أنها اكتشفت سرهما. ما كان بوسعها أن تفسخها دون ما سبب على الاطلاق، ولا كان بوسعها التظاهر بالاهتمام برجل آخر لأن الاسرة بأكملها كانت تعلم بأنه لم تبد يوما ميلا الى اي رجل آخر، بل أنها لم تكن على صلة وثيقة بأي شخص آخر بدرجة تسمح لها التظاهر بأنها وقعت في هواه. لم يكن في حياتها سوى رويز آلدوريت في العمل وبروس في الامسيات.

وفجأة، أومضت الفكرة... تردد في أذنها صوت جولي عندما داعبتها: لأدري كيف تسنى أن تفلتي من الوقوع في حبه. كان هنا الحل الشنيع... كان واضحا بحيث لا يدعو الى المزيد من التفكير.. فلتتزوج من رويز آلدوريت!

كان ثمة نفور متمرد، في اللحظة الاولى، من هذا القرار. انها لم تكن راغبة في الزواج من ذلك الرجل البارد المشاعر، الذي لم يكن بالنسبة لها طيلة أعوام ثلاثة، أكثر من صوت حاد قاطع. كانت تبتغي في حياتها الدفء والحب، لا الاستهزاء الأجوف لفترة ستكون دون شك محددة.. ثم تنتهي.

لم ترغب في التعرف عليه أكثر ولكن ما من ضرر من ذلك حيث سيعيشان في بيت واحد. كان ثمة شيء منفر في

تلك الشخصية الباردة، المنطوية، التي لم تكن تحتمل في العمل، فكيف تكون الحال في بلاد غريبة عليها، وهي وحيدة متزوجة من رجل كانت تكاد تكرهه؟!

ارتجفت ولكنها مع ذلك لم تتزحزح عن قرارها. ولم تكن قد قالت شيئا بعد لأسرتها، ولا لبروس، حيث أرادت أن تضعهم أمام امر واقع، فكان لزاما أن تتريث حتى تتحدث الى رويز آلدوريت.

لم تستطع أن تمنع انهمار بعض الدموع، حين خلت لنفسها في حجرتها ليلا. ولكن الرغبة في البكاء تلاشت في الصباح. ولكم سرت لشدة سيطرتها على نفسها، وعززت القناع المجرد من أية سمة شخصية، والذي كانت ترتديه دائما في العمل، حتى اذا استدعاها رويز آلدوريت طرقت بابه ودخلت ساكنة النفس. ولم تجفل الا للحظة حين خطر لها أنه ربما كان قد عثر على سواها، ولكنها هزت كتفيها مستبعدة الفكرة، لو حدث هذا فما عليها الا أن تبحث عن حل آخر.

ووجدت نفسها بطريقة غير ارادية تتأمله في ذلك الصباح بعينين مهتمتين بشخصه، فعاودها الذهول اذ اكتشفت أنه كان جد جذاب، بل أنه خليق بأن يكون مغناطيسي الجاذبية، لولا بروده وعدم اكتراثه. ورمقتها عيناه السوداوان عبر مكتبه وفيهما تساؤل، فجمعت اطراف شجاعتها، وسألته:

"أمن الممكن أن أتحدث معك لبضع لحظات، اذا لم تكن جد مشغول، يا سيد آلدوريت؟"

فأجاب:

"طبعا. واومأ برأسه نحو مقعدها المعتاد واردف: اجلسي!"

خطر لها وهي تجلس، أنه ليس ثمة سوى طريقة واحدة لأداء مهمتها، وهي أن تكون هادئة، غير مرتبكة، كأن الامر لا يتعدى مشروع المصلحة كما سماه... وكما كان في الواقع، وأن تناول أوثق رباط بين رجل وامرأة!

ترددت، وعضت على شفتيها بالرغم من تمالكها نفسها، وقالت:

"مشروع المصلحة الذي ذكرته من قبل، ألا يزال مطروحا؟ لأنني... لأنني... لو...."

فأكمل عنها قائلا:

"لأنك لو غيرت رأيك؟"

وتفرست العينان السوداوان في وجهها متفحصتين، وأن ظلتا لا تكشفان عن شيء، وأردف:

"وخطبتك؟"
وتقبلت ليلي تفرسه بجلد، وقالت:
"فسخت."
"حديثا... مساء أمس مثلا؟"
قالت مؤكدة:
"نعم."
وعادت تشعر بتفرس عينه السوداوين اللتين لا تشيان بشيء، وقال:
"هكذا. وهل بدلت رأيك بصدد اقتراحي؟"
عادت تقول:
"نعم." وهي تقاوم رغبة رعناء في أن تضحك كطفلة، لأن كلمة اقتراحي بدت غريبة. كانت بطريقة ما تقرن هذه الكلمة دائما بالشقراوات، والماس، والفراء، وعلاقات الحب المحرم، وما من شيء من هذا يصلح للموقف الراهن. بل أن علاقات الحب بالذات محرمة أو غير محرمة، فتساءلت:
"أحسب أن الناس لن يعلموا أنه مجرد مشروع مصلحة؟!"
صحيح أن فكرة اية علاقة غرامية بينها وبين رويز الدوريت تبدو لها سخيفة تماما، ولكن كان لابد من جعل بروس وستيلا يعتقدان عكس الحقيقة تماما. ولو تطايرت مجرد اشاعات عن الوضع الحقيقي لكان ذلك كفيلا بجعل الفكرة كلها عقيمة تماما وغير مجدية!
أجاب رويز بهدوء:
"على أية حال فليس لدي الرغبة في نشره على الملاء. وفي الوقت الراهن، لا يعلم بشروط الوصية سوى المحامين وانت وانا طبعا."
فتساءلت وهي تسيطر على صوتها بحرص ليبدو هادئا... تجاريا:
"ما المطلوب تماما؟"
"لابد من قضاء وقت قصير في قصر الكاراسترانو بعد الزواج، لتضفي عليه مظهر الزواج الطبيعي. وبعد أن تكون شروط الوصية نفذت، يمكن فيما بعد تدبير الغاء للزواج في هدوء. فلا سبيل هناك لأي نزاع قضائي بهذا الصدد. ومن الجائز لأي زواج أن يفشل!"
"هذا يبدو مقبولا تماما."
واهتز القناع المنيع على أساريره قليلا، وارتفع احد حاجبيه السوداوين في عجب ساخر وقال:

"الا تريدين معرفة بنود الاتفاق اولا؟".
فاجفلت ليلي مرددة:
"بنود؟"
"لا أتوقع طبعا أن تمضي في هذا السبيل دون مقابل... انه، برغم كل شيء، اتفاق تجاري."
قالت في بطء:
"ما فكرت في هذا، في الواقع."
ثم خطرت لها فكرة متهورة ومتواقحة، فهتفت:
"اذا، اذا تضمن الاتفاق أي ثمن، فانني أوثر أن يكون في شكل آخر."
وعاد القناع يخفي ما في نفسه، وتلاشى العجب الساخر، وسألها:
"مثل؟!"
"مثل أن تتظاهر بأنك تحبني؟"
وران صمت مذهل، وفي انحساره البطيء تمنت لو استطاعت أن تضحي بأي شيء لتسحب هذه الكلمات التي لا تغتفر ولم تجسر على النظر الى وجهه، بل ركزت عينيها على يديها اللتين التحمتا في حجرها، وهي ترتجف وتنكمش ازاء نفحة من الازدراء الجليدي في اية لحظة. ثم وجه اليها سؤالا كان آخر ما توقعت سماعه:
"لماذا انفصمت خطبتك؟"
وجعلتها المفاجأة تنظر الى وجهه بسرعة، ولكن ملامحه ظلت جامدة لا تشير لها بأي رد فعل لما طلبته... وتساءلت بدورها بعد لحظة:
"هل لهذا اهمية ما؟"
"كلا... ما لم يكن قبولك اقتراحي مجرد محاولة لاثارة غيرة خطيبك السابق!"

* * *

"اثارة غيرة بروس؟"
محاولة لتغيض سعادته مع ستيلا، وهي التي تحبهما معا حبا جما؟ كانت الفكرة بغيضة ومهينة، فبدأ الشرر ينطلق من عينيها، وكان أي امريء أكثر معرفة بها من هذا الرجل خليقا بأن يأخذ هذا على أنه انذار. ولكنه استأنف حديثه:
"اذا تورطت في هذا الاتفاق، فاني اتوقع أن تمضي فيه

حتى نهايته، لا أن تفسخيه في آخر لحظة!"

قالت وهي تكبح غضبها:

"انه مقدم على الزواج من اختي."

ثم انفجرت غاضبة بعد أن أدركت ما يخطر له وقالت:

"انك لا تفهم شيئا على الاطلاق. انني احب اختي حبا جما، ولكي أحملها على الاعتقاد بأنني لم اعد احب بروس، لابد لي من أن اخبرها بأنني ساتزوج بشخص آخر."

واطلقت ضحكة قصيرة خشنة، وأردفت:

"لا تقلق... سامضي حتى النهاية."

اضطجع رويز في مقعده بتؤدة وهو يتأملها، وظلت اساريره لا تظهر شيئا كالعهد بها، ولكن فضولا نصف متوار بدا في عينيه.. انها لم تكن المخلوق العديم الانفعالات العاطفية كما تصورها يوما. كانت عيناها الداكنتا الزرقة تبرقان بدموع مكبوحة... ولكنها عضت شفتيها بقسوة تقريبا، وعادت تتكلم بالصوت الذي اعتاد سماعه منها:

"اعتذر عما بدر مني. ولكنك تفهم الآن على الاقل كيف تقوم الامور. أنني مازلت أحب خطيبي، ولم أفصم الخطبة بعد... ولكن هذا سيتيح لي عذرا لذلك."

"امتأكدة كل التأكيد من ضرورة هذا؟"

أطرقت ليلي وقالت بهدوء:

"كل التأكيد... لقد تصادف أن... أن سمعت شيئا، ولست أنوي أن أدعهما يفسدان حياتهما بالتشبث بأفكار سخيفة عن واجبهما نحوي. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع اقناعهما بها، ولهذا فلن أكون الطرف الذي يتراجع."

قال:

"أنك تبدين تضحية رائعة في ظروف كهذه،."

فرمقته بدهشة:

"أصحيح هذا؟ لم أكن قادرة على التصرف بطريقة أخرى."

فقال لنفسه... لعلها ما كانت قادرة فعلا، وبدأ يتمثل صوره جديدة، تماما لسكرتيرته الكفء، المجردة من المشاعر الشخصية، كما كان يخال. ثم عاد لعينيه وميض الاهتمام المتهكم، وقال بصراحة متعمدة:

"انني لأعجب اذ تعتمدين علي لاداء دور كهذا، على ضوء الرأي الذي أفصحت عنه يوما في مطعم ريكي."

شعرت ليلي بالدم يتصاعد الى وجهها، وقالت:

"اذن فقد سمعت!"

قال بجفاء:

"سمعت كثيرا، كان ما قلت شجبا كاملا. أهذا ما تعتقدين حقا؟"

فبادرت منكرة:

"كلا بالطبع."

وراحت تحاول تذكر ما قالت في وقت الغداء، ولكنها لم تستطع أن تتذكر شيئا معينا، سوى أنها وافقت على كل ما قيل اذ ذاك، ولم تر مبررا لأن تغير اعتقادها الآن. وقررت أنه ما كان يجب ان تبدي الاقتراح الذي ابدته منذ دقائق. فالى جانب جرأة ما طلب، ما كانت تتصور لحظة أنه يستطيع اداء هذا الطلب. ولكنه فاجأها قائلا:

"أظن، برغم الآراء الموحية بالنقيض، فبوسعي أن استجيب لطلبك، ولكن ما موقفك انت؟"

فاجأها بسؤاله. فاذا بالدماء تتصاعد الى وجهها ثانية، وفكرت لأول مرة في موقفها هي كطرف في الصفقة.

لم تكن حين أبدت اقتراحها قد فكرت في الامر من ناحيتها الشخصية، كيف كان بوسعها أن تتظاهر بحب شخص مثل رويز آلدوريت؟ وكبحت مشاعرها وقالت بهدوء:

"أظن بوسعي هذا. أن الناس عادة لا يعرضون مشاعرهم علانية لذلك فلا أظن الامر سيحتاج لكثير من الجهد."

"في هذه الحال، نعتبر ان الاتفاق مستقر."

كان هذا كل ما ابداه بالنسبة لرجائها الغريب، وكانت تتوقع رفضا متعاليا. وبعد أن تأكد من أنها لم تكن محاولة لاثارة غيرة بروس، قال في نبرة مبالاة:

"من الممكن أن نتزوج في نهاية الشهر، اذا ناسبك هذا."

وأضاف وكأن الأمر لا يتضمن شيئا شخصيا:

"لا يبدو هناك أي نفع من الانتظار. والاجراءات تسير حاليا لبيع المصنع. ما أحسبك تعرفين شيئا من اللغة الاسبانية، لهذا فقد يحسن أن تتلقي بعض الدروس، فستجدين هذا مفيدا اذ أنك ستقضين بضعة أشهر، على الاقل، في كاراسترانو. وسأتكفل بكل النفقات طبعا، كما سأدبر تحويل مبلغ محترم اليك."

وشرعت تقول:

"ولكنني قلت أنني..."

ولكنه قطع عليها الحديث باشارة من يده الرشيقة، غير مألوفة بين الانكليز، مما ذكرها بدمه اللاتيني الذي

كانت تنساه أحيانا بالرغم من سمرته. وقال بحزم:
"لا مجال للجدل، فقد قلت أنه مشروع مصلحة".
فهزت كتفيها قائلة في غير أكتراث:
"أنني أترك هذا لك".
ووعد بتدبير دراستها اللغة، فقالت:
"أنني أتكلم الاسبانية..." ولأول مرة منذ عملت معه، شعرت بارتياح اذ رأت قسماته تكشف عن شيء للحظة، ولكنه تمالك نفسه في الحال وهتف:
"تتكلمين الاسبانية؟"
ثم سألها بالاسبانية:
"ما الذي جعلك تدرسينها؟"
وترددت ليلي اذ أدركت أنه يتوقع، وقد خاطبها بهذه اللغة، أن ترد بها، فقد يحتمل أنه اراد اختبارها والتأكد من مدى اجادتها اياها. وأجابت بحذر، وقد فوجئت بأن رأته يبتسم بطريقة غيرت ملامحه:
"كنت أعتزم ذات مرة ان أذهب، في العطلة الى اميركا الجنوبية أو المكسيك".
"أن لهجتك جيدة الى حد كبير".
أجابت وهي مازالت مذهولة بالتغيير الذي يمكن لابتسامته أن تفعله:
"شكرا لك".
كانت تلك أول مرة تراه فيها يبتسم دون استهزاء أو تهكم. وسألها:
"الم تذهبي الى هناك أبدا؟"
فهزت رأسها قائلة:
"كنت أعتزم الذهاب في العام الماضي، ولكن..."
وأسعفها قائلا، وهو يعود الى اللغة الانكليزية:
"ولكنك ارتبطت بالخطبة بدلا من ذلك؟ اعترف بأنني أكن للمكسيك اعتبارا كبيرا. وسيكون من الطريف أن اريك الاماكن التي عرفتها معرفة جيدة".

* * *

وفجأة تلاشى كل طابع غير شخصي، لم يكن ممكنا للصفقة أن تحدث مثل هذا التبدل ولكن المسألة لم تعد تبدو بشعة بمجملها كما كانت قبل فترة وجيزة، فأخذت تتأمله

بفضول لابد أنه تجلى على اساريرها. وجابهها بنظرة متسائلة قائلا:
"هل من شيء يحيرك؟"
أسرعت تنكر قائلة:
"كلا، في الواقع.. ثم اردفت: أنما خيل الي أنك تبدو مختلفا قليلا. لم يبد الامر باردا، وبشعا".
"بشع؟ أظنه كذلك بوجه ما، ولكن ليس ثمة ما يبرر ألا نكون صديقين، ثم حكم الضرورة اذا راعينا الدور الذي علينا أن نؤديه".
وخالط عبارته الأخيرة نوع من الفكاهة الساخرة أرسل الدم الى وجنتيها ثانية. فقالت بارتباك:
"نعم... نعم، طبعا. فعقب في تلطف حملها على أن ترمقه مأخوذة: أعترف بأنني أجدك غير ما توقعت تماما".
فقالت بعد لحظة، وهي في حيرة من حقيقة هذا الرجل الكامنة تحت مظهره:
"أحسب أننا جميعا لسنا كما تبدي مظاهرنا". كانت قد بدأت تشعر بأن رأيها عنه غير صحيح كل الصحة.
قال موافقا:
"هذا حقيقي، اري أنه كان يخلق بك أن تحدثيني قليلا عن أسرتك، فسيبدو وغريبا ألا أعرف شيئا".
واثار بهذا مشكلة أخرى. فلا بد من أن يلتقي بأسرتها، وما كانت تدري ما يكون عليه شعور كل من الطرفين ازاء الآخر. لقد ظل ثلاث سنوات يبدو منطويا، وأذا بها خلال دقائق معدودة ترى وجهين من شخصيته الحقيقية غير المعروفة. التلطف العابر عندما أطرى لهجتها في الحديث بلغة وطنه الاصلي، والسخرية الهازئة التي بدأت تكتشف ان لها قدرة على أن تخرق رباطة الجأش التي كانت تحرص على ألا تمسها اية ارتباكات أثناء العمل.
ثم انتهت الى نظرته المترقبة، وكأنها تنبهها الى أنه رجل جم المشاغل، وأنه يجب عليه العناية بمثل هذه التفصيلات الشخصية، فأسرعت بوصف موجز لأسرتها. حتى اذا فرغت عقب قائلا: وهل ستيلا هي التي كانت سبب فسخ خطبتك؟ لم يبد بادرة دهشة أو أهتمام بأن ستيلا نورديت الشهيرة كانت أختها!
وأومأت في تأكيد صامت، غير مطمئنة الى الكلام اذ شعرت بألم خطبتها المفسوخة، فاضطرت الى مواراته عنه، لا

سيما وقد خامرها شك غير مريح، أوحى اليها بأنه سيقابل كلامها باهتمام خال من المشاعر.
بعد هذا الحديث العجيب، ألح على أن يتناولا الغذاء معا، ليألف الذين في الادارة ما كان مقدرا أن يحدث، وادركت ليلي المفاجأة التي كان سيصاب الجميع بها.
على أنه كان لزاما أن يقع ما هو أسوء، ان تفضي بالنبأ الى بروس وتحمله على أن يصدقه. بل أنه كان ثمة ما هو أسوأ، عندما تضطر للبدء في اداء الدور الذي أصرت بنفسها عليه، كان هذا خليقا بأن يكون اقسى الامور جميعا، أن تكون باقية على حب بروس، ومضطرة للتظاهر بحب رجل ما كانت تشعر معه بالارتياح!

★ ★ ★

لم تقل شيئا حين عادت الى البيت، وأنما انتظرت حتى جاء بروس ليصطحبها لمشاهدة فيلم كانا قد اتفقا من قبل على مشاهدته. كان يبدو متعبا ومهموما نوعا ما، وقد سرها أن تكون أخيرا قادرة على أن تمنحه أملا جديدا.
ولم يكونا قد ابتعدا كثيرا عن البيت وبروس منصرف لقيادة السيارة حين خرقت الصمت المتوتر قليلا بينهما:
"أتسمح بايقاف السيارة؟ لدي حديث اريد أن أفضي لك به."
رمقها بروس بنظرة سريعة، ثم عرج بالسيارة الى شارع جانبي غير مطروق، وأوقف المحرك. واستدار اليها منتظرا، فقالت بايجاز:
"اريد أن تحلني من خطبتنا."
وشعرت به يجفل الى جوارها، وهتف:
"أحلك؟"
فهزت كتفيها بحركة سريعة، رجت أن تساعدها في شبه العتمة السائدة على التظاهر.
"نعم. كنت اظنها خطبة موفقة، ولكني ارى الآن ان ما من امل في نجاح الزواج بيننا."
صمت بروس فترة طويلة، ثم التفت ليرمقها مباشرة، وسألها:
"ما الذي دعاك الى هذا القرار المفاجيء؟"
"يخجلني أن أعترف، ولكني لم أحبك، حتى في بداية خطبتي اليك. كان هناك... شخص آخر."
وصمتت ثم أردفت:

"هذا كل ما هنالك لا أستطيع المضي."
سألها بروس باقتضاب:
"من هو؟ أجابت باقتضاب:
"رويز الدوريت."
كانت نظرته المذهولة أشبه باهانة للرجل الآخر، وقال:
"رويز الدوريت؟" أأنت جادة؟"
أجابت وقد عضت شفتيها مرة أخرى، وتبدي عليها انها توشك على البكاء:
"كل الجد!"
وكانت موشكة على البكاء فعلا ولكن لسبب آخر... واسترسلت:
"لم أشأ أن أؤذي مشاعرك، ولكني هويته ثلاثة أعوام، دون أن يفطن أحد، حتى رويز نفسه!"
وتعمدت أن تنطق بأسمه بألفة، وهي تسائل نفسها عما اذا كانت تستطيع ان تفعل ذلك امامه؟ ثم خلعت عن اصبعها الخاتم، بماسته البراقة الصغيرة، وكان من عادتها ان ترتديه في المساء، بعد انصرافها من العمل، وناولته أياه، واصبعها تشعر كأنها عارية تماما. فأخذه بروس بغير وعي تقريبا، وسألها:
"أرجو ألا يكون لهذا علاقة ب... ستيلا؟"
وتعمدت ان تجتذب قدرا كافيا من الحيرة والعجب الى صوتها:
"ستيلا؟ أي شأن لستيلا بهذا؟"
"الواقع، ظننت... أعني ليس لهذا علاقة بستيلا وبي؟"
رددت وكأنها لا تفقه ما يشير اليه:
"ستيلا وأنت؟"
فتردد في غير ارتياح، ثم اطلق ما بصدره:
"أنا وستيلا... اكتشفنا اننا متحابان، ولكنها أبت أن أخبرك."
رددت وكأنها مصعوقة تماما:
"ستيلا وأنت؟"
ثم اغتصبت ضحكة وقالت:
"هذا رائع!" الآن لا أشعر بالخجل من فسخ خطبتنا هكذا."
ثم اكسبت صوتها جدية من جديد، وأردفت:
"ماذا تعني، بأنها لم تشأ أن تخبرني؟"
فأجاب:

"ابت أن تحطم خطبتك، قالت أن من الخير ان تظل الامور كما كانت قبل مجيئها."

صاحت وهي تعض شفتيها في اسف واضح:

"وتركتها تعود الى لندن والامور بينكما هكذا، انني مستحية من نفسي اذ لم أفطن من قبل. لابد أنك تعيس، وكل هذا بسببي."

قال:

"لم يعد هذا ذا بال!"

ضمها بصدق فاق كل ما اعتاده، فكان هذا هو الذي هدم الوهم الذي شيدته. فقد تعلقت به دون ارادة منها، فلما أبعدها بعد لحظة، كادت تبكي في خزي واشمئزاز من نفسها.

قال بهدوء:

"كانت كل هذه أكاذيب... وكيف تسنى لرويز آلدوريت ان يدخل في الامر؟"

عضت شفتيها وقالت:

"رأيت أن هذا ييسر موقفك وستيلا... لذا، وافقت حقا على الزواج به."

"ولكنك لا تحبينه."

"كلا، ولكن لا قيمة لهذا."

"لا قيمة لهذا لا يمكن أن ترتبطي بزواج هكذا! أن ستيلا لن..."

فقطعت حديثه بحزم:

"يجب ألا تعلم ستيلا بشيء من هذا."

وبدا لها ألا سبيل لاقناعه الا بان تخبره بالحقيقة، فأفضت بها بعجلة واردفت:

"هكذا ترى انه مشروع مصلحة لن يستمر."

واستطاعت أخيرا ان تقنعه بانه لا بد للأمر ان يمضي كما دبرت. فما كان بوسعها الآن أن تتزوج منه. ولو علمت ستيلا بالحقيقة، فمن الارجح أنها ستأبى أن تتزوج منه. وكان الحل الوحيد أن يجعل أختها تعتقد بأن زواجها برويز زواج طبيعي... يجب الا تعلم بعودتي للبيت مبكرة واكتشافي ما بينمكا... لقد تقبلت الواقع. ثم انن لن أخذل رويز آلدوريت الآن. أنها عملية تجارية، لن تضيرني، ولن تغير شيئا ولكنها ستجعل ستيلا سعيدة، ولن تلوم نفسها، ويجب ألا تخبرها بانها عملية مصلحة عدني بذلك!"

عندما استقرت السيارة امام البيت، التفت بروس اليها بسرعة وسألها:

"اتودين أن أدخل واعلن النبأ عنك؟"

فهزت ليلي رأسها وقالت:

"لا... أفضل أن أعلنه بنفسي."

وقبل أن يجادلها، حيته وأسرعت بالدخول. وحياها سنوكس بوثبته المعهودة، فاستطاعت أن تهدئه بجهد كبير لتستجمع ارادتها. كان عليها أن تتظاهر بسعادة غامرة. وأن تبدأ من الآن.

سرها حين دخلت حجرة الجلوس، أنه لم يكن سوى أمها وجولي، اذ ذهب التوأمان الى الفراش.

تطلعت مرغريت بابتسامة، وقالت:

"حسبنا كما ذاهبين الى السينما. هل عدلتما؟"

قالت:

"نعم."

ثم تريثت، كان لا بد من مصارحة جريئة، كالتي استجمعت أعصابها لتجريها مع رويز ثم مع بروس، غير أنه كان لابد من أن يكون تظاهرها موفقا، في هذه المرة، فقالت بهدوء مصطنع:

"لم أعد خطيبة لبروس."

وبسطت يسراها لتريا اصبعها عارية. وبدا القلق على وجه الأم فابتسمت ليلي قائلة:

"قررنا أن ما بيننا كان غلطة..."

واسترسلت ضحكة مقتضبة، وأردفت:

"لا تنزعجي، أن الدنيا لم تنته!"

قالت الأم:

"ولكنك قلت..."

فقطعت حديثها بهدوء:

"يخجلني أن اعترف بأنني قلت أشياء كثيرة لم تكن صحيحة. انني لا أحب بروس، ولا أحببته يوما."

وساد الصمت لحظة، ثم قالت مرغريت بنفس هادئة:

"يحسن أن تخبرينا بما حدث."

فقالت ليلي:

"ليس هناك الكثير ليقال في الواقع."

حاولت ليلي أن تنسق وقائعها وتطلقها متتابعة، فأسوأ ما في الخداع أن يضطر المرء الى تذكر ما قاله من

قبل بحذافيره. ومضت تقول:

"حاولت فترة أن احمل نفسي على تقبل بروس، ثم حدث اليوم شيء، فادركت انه لابد من أن استجمع الشجاعة لأخبره بأنني لا أستطيع أن أتزوج منه، وأنني أريد الزواج من شخص آخر."

وتوقفت لحظة، ثم أردفت وهي تشعر بالجسور تحترق خلفها، فلا يبقى سبيلا للتراجع:

"هو... رويز آلدوريت."

صاحت جولي:

"رويز آلدوريت؟"

ورددت مارغريت الاسم بلهجة اكثر هدوءا، ولكن نظرة ذهول قفزت الى عينيها. ولعلها تذكرت وصف ابنتها لصاحب شركة ميريديت، فسألت نفسها كيف تود فتاة الزواج من ذلك الرجل البارد، المنطوي بالرغم من اعتباره جذابا فوق المستوى العادي. وأردفت الأم: هذا شيء لم يكن مرتقبا."

فرمقتها ليلي باعتذار، وقالت:

"تمنيت أن أشير من قبل، ولكن ذلك كان كان مستحيلا."

وسألتها جولي وهي لا تتمالك نفسها:

"هل ستتزوجينه حقا؟"

فأومأت ليلي بالإجابة، وقالت:

"سنعلن خطبتنا عما قريب جدا، ولا نعتزم أن يطول أمدها. وسنعقد القران في نهاية الشهر."

وكان عليها بعد ذلك، أن تروي بعناية وحذر القصة التي اعدتها للأسرة: أنها كانت من اللحظة الاولى لالتحاقها بالعمل تقريبا، قد أحبت رويز ولكنها لم تر جدوى من الامل في أن ينتهي ذلك الحب الى شيء، كان من الغريب ان تتبين سهولة اداء دورها، وادائه باتقان... وشعرت بالضيق اذ مكنت بروس الشعور بالأمر، ولكن الخطبة خليقة بالنجاح اذا لم تكتشف ستيلا الحقيقة.

كان غريبا بل رهيبا ان تتبين انها سترتبط في القريب برجل غريب تقريبا بالنسبة لها، من الناحية الشخصية برباط من أوثق الروابط بين أى رجل واية امرأة، وأن كان ذلك في الظاهر فحسب.. فما كانت لتتصور ان تطمئن الى حرص أي رجل على التجرد من الطابع الشخصي للارتباط، ولكن مجرد التفكير في ألا يحرص رويز آلدوريت أمر يدعو للضحك.

قالت جولي في فضول:

"ولكنك لم تبدي اتفه اشارة من قبل عن شعورك حتى أنك يوم تغدينا عند ريكي كدت تهاجمينه."

"كنت مضطرة. كان اتفه شيء كفيلا بأن يجتذب اهتمامه. وأنت تعرفين كيف تنتشر التقولات في مؤسسة كبيرة. أفترضي أن شخصا سمعني اقرك على ما قلت. وسرعان ما كانت الشائعة تنتشر بأنني أحبه."

ابتسمت مرغريت لابنتها الكبرى، وهي تهز رأسها، ومازالت الدهشة الحائرة واضحة على محياها. وعادت تكرر:

"الامر لم يكن مرتقبا يا عزيزتي ولكن اذا كان هذا ما تريدين حقا، فيسرني ما حدث."

والتفتت الى ليلي وابتسامتها تكتسب بعض الخبث وقالت:

"ومتى سنرى هذا الرويز آلدوريت المثير؟"

فأجابت الفتاة:

"عما قريب، كما آمل."

هتفت جولي في جزع مفاجيء:

"رباه! كيف سيكون صاحب العمل زوجا لاختي؟ ألا تشعرين بأن الموظفة تكون وقحة حين تناديه باسمه الاول؟"

فوافقتها ليلي:

"أحيانا؟"

وما كانت لتعتزم ان تبين انها لم تناده باسمه مجردا. بل كانت موقنة من ان جولي مصيبة في ما قالت. ولكن مجمل الموقف وتصنعها للحب كان موقفا سيئا.

وحانت في وقت لاحق مهمة اطلاع الوالد جون ديرموت على النبأ. وساءلت ليلي نفسها:

"ترى كيف سيتلقاه؟"

* * *

تقارب حاجباه الكثيفان حين انبأته زوجته مرغريت، وتساءل في حدة:

"ماذا؟"

وتضرج وجه ليلي وعضت شفتيها. ولم تكن لهجته مشجعة، ولو قوبل رويز بنفور متوار، لكان الموقف محرجا. ولكنها لم تكن بحاجة لأن تقلق، حدجتها عينا ابيها الذي قال:

"انه رجل طيب ما كنت لتختاري أحسن منه."

قالت زوجته مستنكرة:
"كان ينبغي أن تبدي شيئا من الدهشة..."
فسألها:
"لماذا؟ أنه من النوع الذي ينبغي أن تتزوجه. أما بروس فكان يحب الاتكال على سواه؟"
"اذن فهكذا كان بروس في رأيك؟"
ما أعجب ما يتبينه المرء عن المشاعر الحقيقية للناس عندما يحدث أمر كهذا! كيف سيتلقى الاب اخبار خطبة بروس وستيلا المقبلة؟ آثرت ليلي أن تخبر الاسرة بنفسها.
كان يجب ان تعاد القصة مرارا وتكرارا، وأحست ليلي بالخجل من أنها أصبحت تجيد الكذب. بل أنها أصبحت تضيف للقصة بعض الزخرفة وتذكرت ما أعتزمه رويز آلدوريت من بيع المصنع والعودة الى المكسيك، وأن هذا جعله يوقن من أنه لن يراها ثانية، وأذ لم يكن على علم بخطبتها لعدم ارتدائها الخاتم اثناء العمل فقد أخذها على غرة، وسألها فجأة ان تتزوجه. بل كان من السهل ان تقنع كل أمريء بأن تفريطها في بروس بدأ يسبب لها تأنيب الضمير بدرجة مؤلمة.
ولكنها استغرقت في البكاء، اذ آوت الى فراشها، حتى بللت وسادتها، ثم تمالكت نفسها، وكبحت دموعها، واستلقت على ظهرها محملقة في السقف. لقد أدت المهمة، وأصبح كل امريء يعرف أنها ستتزوج من رويز آلدوريت بدلا من بروس.
وفي طريقها الى العمل في الصباح التالي شعرت ليلي بمزيد من الغثيان، لأنها مضطرة للتظاهر بحب رويز عندما يكون معها. وراحت تتمثل حاجبيه السوداوين يرتفعان في عجب بارد، أذا ما نادته باسمه مجردا، فما بالك بالاضطرار لبعض النظرات الناعمة وكلمات الاعزاز. وتمنت من أعماق قلبها لو أنها لم تقترح قط التظاهر بالحب، ولكنها أصبحت ملزمة بالمضي في ذلك، لأنه السبيل الوحيد لنجاح الخدعة.
وشعرت بلحظة ارتباك، حين سمعت الجرس يدعوها اليه، بعد وصولهما الى المكتب. ولكن ما كان ثمة ما يدعو للانزعاج، اذ كان كالعهد به دائما، حتى أنه لم يذكر شيئا عن خطبتهما!
غير أن كيري اتخذت وضعا مختلفا تماما. فقبيل انتهاء عمل اليوم أقتحمت مكتب ليلي، وأثارت الموضوع مباشرة، بصراحتها المعهودة:
"هل علمت ان هناك شائعات بأنك ستتزوجين من

رويز آلدوريت؟ لقد بلغتني منذ لحظات فقط، والا لكنت أوقفتها... لكم أود أن أخنق الغبية التي أطلقتها! الله وحده يعلم ما سوف يقول اذا ما ترامت الى أذنيه!"
تطلعت اليها ليلي، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة ببطء متعمدة، وقالت:
"أنا التي أطلقتها."
فحملقت فيها كيري بغباء... وأردفت ليلي:
"أنها ليست شائعة أنني سأتزوجه!"
"انك مجنونة!"
"كلا، بل أنني أحبه حقا."
صاحت كيري في أستهجان، وأصرت على أن تعرف الحقيقة، فروت لها ليلي القصة التي أصبحت تجيد روايتها، و اذا كانت القصة مقنعة لكل امريء فانها لم تكن ذات أثر يذكر على كيري، التي قالت في أستهجان:
"هذا أسخف كذب مكشوف سمعته يوما! الآن الي بالحقيقة! أنني عرفتك أمدا طويلا، ونظرتي لأمورك مختلفة تماما عن نظرة أهلك."
أخيرا، هزت ليلي كتفها وقالت في أعياء:
"الحق، ما من أحد منا يهوى الآخر. أنه اتفاق مصلحة منذ البداية للنهاية. فهو مضطر للزواج والعودة للمكسيك ليرث ضياع الاسرة..."
وأرسلت كيري صفيرا خفيفا، وهزت رأسها قائلة:
"هذا أقرب للمعقول. ولكن ماذا يدعوك بحق السماء لا تفاق مصلحة؟ وبروس؟"
قالت ليلي معززة ما كان في خاطر صديقتها:
"بروس يريد الزواج من ستيلا" وشعرت بالارتياح في حديثها الى كيري، وهي لا تدرك ان صديقتها كانت تتحرق شوقا الى أن يخنق شخص ما ستيلا، وهي تصغي في صمت واجم الى ليلي وقد راحت تروي كيف أكتشفت الامر، وكلماتها المقتضبة تكشف عن مدى ألمها... واختتمت ليلي حديثها قائلة:
"هكذا رأيت أن شيئا كهذا كفيل بأن يساعدهما. فان ستيلا قد تلوم نفسها وتأبى الزواج من بروس، اذا لم تصدق أنني أحب سواه."
ودار بخلد كيري: ما كان محتملا لستيلا أن تلوم نفسها على شيء ما، وودت كيري في تلك اللحظة ان تفجر كل شكوكها في ستيلا، ولكنها كبحت جماح سخطها، مدركة أن ليلي

لن تصدقها، وبأن تعرف عن صداقتها، أو تستبقيها متوترة. لذلك عادت تلزم الصمت... ثم ازداد اشفاقها وجزعها فجأة، اذ خامرتها فكرة، فرمقت صديقتها بنظرة مترددة وقالت:

"هذا ال... الاتفاق التجاري... ألا يلزمكما بانجاب وريث للاراضي؟"

شعرت ليلي بالدماء تتدافع لوجهها بشدة، واسرعت تقول:

"كلا طبعا" وأن لم تتمالك ان تشعر بأن الوريث هو بالذات ما قصد به شرط الوصية، ولكن اذا كان رويز يؤثر ان يتغافل عن هذا الجزء غير المكتوب من الشرط، فليس لها أن تثيره ولا كانت راغبة فيه. فما كانت تتصور شيئا من أن تسلم نفسها لرويز ألدوريت البعيد عن المشاعر الآدمية. ولو كان هذا صريحا في الشرط، لما قبلت مهما تكن الظروف!

وتساءلت ليلي في شيء من القلق:

"اتظنين ان احدا غيرك سيشعر بالسبب الحقيقي للخطبة؟"

فهزت كيري رأسها وهتفت بحرارة:

"يا الله!... كلا انا نفسي لم أكن متأكدة."

وقالت:

"قد تعتقد الاخريات أنك كنت تحبينه طيلة الوقت، ولكن كيف ستتغلبين على أنه مجرد اتفاق تجاري؟ لو أستمر صاحب السيادة على سلوكه المتباعد المعتاد، فان امك أول من سيرتاب."

واقرت ليلي وقالت، وهي تحاول معرفة تأثير كلامها على صديقتها:

"لقد سألته عما اذا كان يمانع في أن يتظاهر بالحب."

ولم تخيب كيري توقعها، ففغرت فمها لحظة، واختلجت اهدابها، ثم هزت رأسها وهتفت:

"ماذا؟ لا داعي لأن تكرري ما قلت، فقد سمعته ولكن لم أصدقه."

وابتسمت ثم سألتها بصراحة، وفضول مغتبط، في تلك اللحظة:

"كم دام الصمت الجليدي، وكيف انفجر صاحب السيادة عندما تغلب على الصدمة المشدوهة؟"

قالت ليلي بهدوء:

"لقد وافق..."

وعادت كيري تحملق فيها، وتهز رأسها وتقول:

"ماذا؟ لا أصدق!"

هزت ليلي كتفيها وقالت:

"انتظري... وسترين."

فابتسمت كيري فجأة، وقالت:

"لا أستطيع الانتظار."

ثم ضحكت، وتحولت عن الخوف من مكر ستيلا الى الفكرة الجديدة المثيرة، فكرة تظاهر رويز ألدوريت بالحب لسكرتيرته، وقالت:

"أتمنى لو أختلس النظر خلال ثقب الباب، عندما يحتويك الرجل في عناق حار"

واتبعت كلماتها بابتسامة تستثير بها صديقتها مداعبة. ولدهشتها، تضرج وجه ليلي، ولو كانت الظروف غير هذه، لرمتها كيري بنظرة متفحصة، ومتألمة.

واسرعت ليلي قائلة:

"لا أكاد أظن أن هذا محتمل... ثم أننا لن نضطر لهذا ونحن وحدنا!"

فهزت كيري رأسها قائلة:

"مازلت لا أتصوره يتظاهر بالحب لأي امرئ، وأن كان الجدير به ألا يكون جبل الجليد الذي يمشي على قدمين، كما هو حقا اذا راعينا انه نصف أسباني."

وتطلعت الى صاحبتها، وابتسمت في مداعبة خبيثة، واسترسلت:

"لا أقول هذا لأنني أظن أن هناك ما يدعو للاكتراث بهذا الصدد، وانما لأنني لا أستطيع أن أتصوره يتحول الى هذا الطراز، وأن لم يكن بوسع المرء أن يتكهن بما قد تفعله به بلاده الاصيلة!؟"

رمقتها ليلي بجفاء، وامتنعت عن التعليق على الفكرة السخيفة، فكرة أن ينتهك رويز اتفاقا عذريا، افلاطونيا. بل كانت لا تزال مرتابة في أنه سيكون قادرا على أن ينفذ بنجاح الخدعة البسيطة التي لم يكن منها بد أمام الملأ. واختلست كيري نظرة جانبية، وهي تعجب... كيف سينتهي هذا الارتباط المتورط الرهيب؟. وودت لو تنصح ليلي بألا تتعجل الامور وأن ترجيء هذ الزواج غير العاطفي أطول ما تستطيع، فقد كانت موقنة بأن ستيلا ستدخل تغييرا جديدا على الموقف في القريب. كانت موقنة بأن ستيلا لم تحب بروس، وانما كانت تدفع الملل فحسب بانتزاعه من أختها. ولعلها

في الحقيقة كانت تعتزم أن تتخلص من بروس وتصده بمشهد عاطفي، قبل رحيلها الى لندن، وكان الامر بالنسبة لستيلا مجرد لعبة، ولكن ليلي ولا ريب قلبت الامور بوصولها الى البيت دون أن يفطن أحدهما، وما كانت ستيلا في رأى كيري لتستسيغ أن تجد بروس يلاحقها، ولم تعد تربطه الى ليلي أية خطبة، أذ كان هذا كفيلا بأن تضطرها الى أيضاح وتفسير لبروس، فقد كان آخر رجل تود ان تتزوج به، وقد أصبح لزاما عليها بعد تحرره من خطبة ليلي أن تتخلص منه. فعندما تقرر ستيلا الجميلة المشهورة أن تتزوج، فما من شك في أنها ستنتقي رجلا موفور المال، لتحظى بكل الرفاهية والترف اللذين تشتهيهما، دون أن تضطر للعمل باستمرار. أذ كانت ستيلا برغم حبها الشهرة، خاملة.

لم تكن كيري تملك سوى أن ترجو أن تحدث ستيلا نفسها تطورات في الموقف، قبل أن تمضي ليلي بعيدا مع رويز الدوريت، فلو رغب بروس في أن يعود الى ليلي، فلن يشدها رويز الدوريت بالتأكيد الى ذلك الاتفاق التجاري غير المعقول!

٥ - المدير... الخطيب

تنامت بلدة كورفيستون في سرعة فائقة. وحرصت بلديتها على توزيع الابنية القديمة والحديثة في تناسق. وتحيط بها طبعا الضواحي السكنية بمنازلها الصغيرة، بينما ظلت على الجانب الآخر للنهر الضواحي القديمة، محتفظة بطابعها الريفي الهادىء... وعلى قمة أحد المرتفعات، كانت دار أسرة ديرموت تحمل أسما مستغربا جينفلتوب. كانت دارا ذات طابع يوحي بالود، بنيت من الطوب الذي أضفى عليه الجو طبقة رمادية..

كانت مرغريت في المطبخ تغسل الاطباق بمساعدة أبنتيها، اذ كان يوم السبت، وليس من عمل يشغلها، كما راح التوأمان يساعدانهن، وأن كان الشطر الاكبر من مساهمتهما صخبا أكثر منه عملا، مما أنتهى بطردهما الى الحديقة. والتفتت الام الى أبنتيها مبتسمة فخورة بهما، وقالت منتقية كلماتها:

"يبدو أن احداثا تلم بهذه الاسرة أخيرا."

وما كانت الفتاتان في بهاء ستيلا حقا، ولكنهما كانتا جذابتين... جولي بشعرها النحاسي الطويل، ينساب معقوصا على شكل ذيل الحصان، وليلي بشعرها البرونزي المجدول في ذلك الصباح في ضفيرتين التفت كل منهما مع الاخرى في مؤخرة عنقها.

قالت جولي موافقة أمها:

"أنني أرى هذا، لا سيما اذ فاجأتنا ليلي باعتزامها الزواج من رويز الدوريت، وبروس يوشك أن يدبر أمره مع ستيلا."

فقالت مرغريت ضاحكة:

"أن الامور لا تسير في رتابة حقا."

كان نبأ بروس وستيلا يحير الاسرة منذ تسعة أيام ولكنهما لم يستطيعا بعد أن يعلنا خطبتهما. فقد ذهب بروس الى لندن ليقابل ستيلا، فوجد مسكنها مغلقا، وذهب الى شركة الافلام، فتلقى جوابا غير مشجع... كان من الواضح أن أحدا لم يدر بشيء عن الخطبة المتوقعة بين نجمتهم الاولى

وهذا الرجل غير المعروف الذي يوحي مظهره بانه غير ذي أهمية، فظنوه من أولئك الذين يلاحقون نجوم السينما، فرفضوا أن يعطوه عنوانها. كل ما تفضلوا به عليه ان اللقطات الأخيرة في الفيلم الذي تمثله كانت تلتقط في موقع أحداثه، ولكنهم لم يخبروه أين كان ذلك الموقع. وعاد بروس متوتر الاعصاب محبطا الى المدينة، وحاول أن يتبين ما اذا كان آل ديرموت يعلمون اين يستطيع الاتصال بستيلا. واضطر طبعا ان يحدثهم بما جرى. ولم يجد لديهم عنوانا، فاضطر في النهاية الى أن يكتب لها بعنوان مسكنها، أملا أن تصلها رسالته.

كبحت كيري تعليقا حادا، حين سمعت أن ستيلا سافرت لموقع أحداث الفيلم دون أن تسمع تحلل بروس من خطبته لأختها. ورأت في داخلها أن الاقدار كانت في صف ستيلا. كانت تأمل أن ترفض ستيلا الشاب صراحة، فيتوب الى رشده... و اتفاق المصلحة يزداد اقترابا من موعده.

وقالت جولي معلقة على ذلك:

"أن أمر بروس وستيلا مستغرب. ما خطر لي قط أنها تختار شابا مثل بروس"

وابتسمت وهي ترنو الى ليلي بخبث، مردفة:

"أما رويز الدوريت، فاوقن الآن بأنه خبير بمبادلة الفتيات الغرام."

وشعرت ليلي بدفء يثير الشك يتصاعد لوجهها، نذيرا بالخجل، وأن لم تكن تتصور حدوث شيء كهذا، ولكن ضحكة جولي أكدت ذلك وهي تقول:

"هذا هو الدليل! وأراهن بأنه لا يقل حرارة، ولعل لانتمائه للاسبان يدا في هذا."

وعاد التوأمان الى المطبخ، وأن هي الا لحظة، حتى تصاعدت صيحاتهما من الحديقة ثانية، منبئة بأنهما يمثلان حرب الهنود الحمر.. وكان جدار من الحجر الذي كسته الطحالب، يفصل الحديقة عن بستان الفاكهة ويحول دون رؤيتهما، ولكن صرخاتهما وضجيجهما كانا يعلنان أن الحرب الهندية أو رقصة الحرب مستمرة.

* * *

تناولت جولي كتابا وخرجت الى الحديقة، بعد تنظيف الادوات، بينما ارتدت ليلي سروالا قديما بلون

الكاكي، وبلوزة بيضاء بدون أكمام وأخذت تقطع الحشائش... واتجهت مرغريت بالسيارة الى الجزء الحديث من كورفيستون، فأودعت السيارة في موقف السيارات، ريثما تشتري لوازمها.. وأتمت مهمتها، ولكنها حين عادت للسيارة وجدتها لا تعمل فوقفت حائرة... فسألها حارس الموقف:

"أهناك مشكلة ما يا سيدة ديرموت؟"

والتفت فجأة عند سماع أسمها. رجل كان على بضع ياردات.. بينما أجابت مرغريت الحارس:

"لست أدري ماذا أصاب هذه السيارة المتعبة!"

ورفع الحارس غطاء المحرك، وتأمل ما تحته، وعبث بأصابعه فترة، ثم أستوى واقفا وهز رأسه قائلا:

"ما من شيء واضح فيها. يبدو أنه لا بد من أرسالها الى الكاراج."

وانبعث صوت عميق، ينطوي على أختلاف بسيط عن الاصوات المحيطة بهما:

"هل أستطيع تقديم أي عون؟"

فالتفتت مرغريت لترى أن الرجل الاسمر الطويل الذي كان يقف بجوار سيارته على بضع ياردات قد أقبل عليهما. كان له طابع مميز، ولاحظت عيناها على الفور ثيابه الانيقة، وقد ارتداها في عفوية الشخص الذي ألف هذه الثياب، وعزز ظنها أن الحارس أجابه باحترام بالغ:

"بعض الخلل في السيارة يا سيدي...."

لابد أنه كان رجلا ذا مكانة.

قال الرجل وقد أشرقت في وجهه الابتسامة النادرة:

"أذن فقد يكون بوسعي أن أقل السيدة ديرموت الى البيت،"

وأردف يخاطبها:

"أنني رويز الدوريت،"

وشعرت مرغريت بهزة دهشة تعتريها، ثم باهتمام طريف يغشاها. أذن فهذا الشخص هو الصهر الذي كانت ليلي تعتزم أن تقدمه اليها! ودبر، بروح الشخص الذي أعتاد اصدار الاوامر، وهو موقن من أطاعتها أمر نقل سيارتها الى الكاراج، فشكرته وهي ترمقه بنظرة أنثوية شاملة، يخالطها شوق الأم لمعرفة نوع الرجل الذي اختارته أبنتها!

ولاحظت بحاستها الانثوية على الفور جاذبيته السمراء، ودقة القسمات والعينين السوداوين، والشعر الأسود اللامع يتخلله وميض أزرق تحت الشمس، والاسنان البيضاء

القوية، والفم الدال على الحزم، والذقن الناطقة بعناد يكاد يبلغ درجة القسوة. وكانت بشرته شاحبة، لا عن مرض ولكن... كأنما كانت بحاجة الى لمسة من الشمس أشد مما ألفت خلال السنوات العشر الاخيرة. كانت عينا الأم أكثر خبرة من عيني الابنة، فلاحظت أمورا كثيرة ما كانت ليلي مدركة لها... فالفم الحازم كان حازما عن قصد، كأنما صاغته سنوات من السيطرة العميقة على النفس، ومع ذلك فقد بقي ظل واهن من توجس يكاد يبلغ مبلغ التجهم الصبياني، وبقي التقوس الغريب لشفته العليا، الذي خيل لليلي يوما على أنه شاهد على مشاعر قوية، وأستبعدته في الحال مستنكرة مجرد التفكير بهذا ولكن أمها رأت فيها أمورا أخرى... فها ذا رجل معتد وحيد، أصيب بجرح نفسي بالغ في وقت ما من الماضي، فانطوى على نفسه متظاهرا بأنه فوق ان يصاب ثانية بجرح من نزوات الدنيا وقسواتها. وتجلى للأم أن الكبت البارد الذي كسا قسماته وصوته ظاهرة غير طبيعية، فلم يساورها قلق مما قد يكون له من تأثير على ليلي. وعلى أي حال فان شكله كان يتغير تماما اذا ما أبتسم، ولعل هذه هي الناحية التي عرفتها ليلي فيه.

قال رويز أذ انسابت السيارة الفخمة السوداء بهما:

"آمل ألا تكون خطيبتنا قد وقعت موقع هزة مفاجئة!"

فهزت مرغريت رأسها، وقالت ضاحكة:

"هزة؟ الواقع لا أدري كيف أستطاعت أبنتي التكتم الى هذا الحد!"

ومرة أخرى لمحت ومضة الابتسامة الدافئة التي كانت تغير شكله، وهو يقول:

"آمل ألا تحمليها في نفسك ضدي."

فابتسمت وهي تهز رأسها ثانية، وقالت مطمئنة:

"سأصفح عنك..."

وعجبت من نفسها أن ليلي اوحت اليها بأنه كان جامدا... كان رجلا فاتنا، بالرغم من الفم الحازم الذي كان يوحي بقسوة، لكنها أدركت بغريزتها أنها لا يمكن أن تكون قسوة ظالمة. كان رجلا قادرا على أن يمزج الحزم باللطف. وأذ ذاك تبددت آخر هواجسها نحو الاختيار المفاجيء الغريب الذي صدر عن ليلي فبالرغم من قصر عمر المعرفة، أدركت مرغريت أن رويز الدوريت كان أهلا للثقة، وأنه كفيل بأن يسعد ليلي.

* * *

قطع على ليلي أنهماكهما في العمل في الحديقة، وعلى جولي أنصرافها للقراءة، قدوم التوأمين وقد خططا وجهيهما بأحمر شفاه جولي، وزينا رأسيهما بالريش، وأخذا يصرخان بجنون، وهتفت جولي:

"يا الهي! عاد الهندیان الى الحرب ثانية!"

فقالت تيس في صرامة:

"المرأة الشاحبة الوجه أسيرتنا."

وهتفت جولي بأن تبادر بالانسحاب. وأبتسمت الصغيرة أبتسامة متملقة، وقالت لجولي:

"ألن تقبلي؟"

فأومأت جولي بأستسلام. والتفتت تيس الى ليلي قائلة:

"وأنت الأخرى؟ أنك لا تصلحين أسيرة، فأنت تجيدين تسلق الشجر."

وتأملها توم بعناية، ثم قال لجولي:

"أنك تصلحين لأن تكوني اميرة هندية، أسرتها قبيلة أخرى."

وأوما الى ليلي: وأنت الزعيم الشهير، الذي يحاول انقاذها.

وكان لزاما أن يخطط التوأمان أختيهما بأحمر الشفاه. وتحمست جولي، وأخذت تعبث بشعر أختها الكبرى وهتفت تيس، مغتبطة:

"الآن تبدو هندية حقا!"

وأقبلت تزين جبينها بنطاق من الريش. وأخذ توم يرسم خطوطا على وجهها، غير آبه باحتجاجها. وأنصاعت ليلي وهي تشعر بأنها ما كان ينبغي أن تفعل ذلك. وأتكأت جولي على شجرة تفاح قديمة تتأملها صامتة، بينما غاب توم لحظات، وعاد يحمل صندوقا كبيرا من الورق المقوى، مصطحبا كيري التي بهتت لأول مرة، ثم انطلقت ضاحكة لزميلتها:

"ليتك ترين شكلك!"

جلس التوأمان القرفصاء حول الصندوق يتشاوران، بينما راحت جولي وكيري تتبادلان نظرات مغتبطة، تتعجلان الاحداث، وليلي ترمق الصغيرين بحذر... ثم رأت توم يقبل بقطعة من الطباشير الازرق، فيرسم خطا عريضا بعرض جبينها، وآخر على طول أنفها، وهي صامتة مستسلمة... ثم أحاط السروال الكاكي الذي كانت ترتديه بحزام جلدي، تدلت منه مدية، وأعطاها بلطة من الورق المقوى ووقف وتيس يتأملان نتيجة ما فعلا... وهتفت كيري وعيناها ترقصان:

"النتيجة النهائية تفوق ما يصدقه العقل... هذا منظر جدير بالتسجيل. والتفت الى جولي، وقالت:
"هل أحضر آلة التصوير؟"
صاحت ليلي معترضة:
"لا."
ولكن الصغيرين أخذا يلحان، فانصاعت مرة أخرى، ودخلت كيري الدار لتحضر آلة التصوير بينما أستسلمت جولي وهي مستمتعة بما جرى للصغيرين اللذين أخذا يوثقانها الى الشجرة بطريقة كان بوسعها أن تتحرر منها متى شاءت. وأبتسمت ليلي وقالت للتوأمين، وهي ترفع البلطة الورقية فوق رأس جولي:
"أتودان أن أقف مهددة، عند التقاط الصورة؟"
فصاحت جولي:
"المفترض أنك جئت لانقاذي."
وتأملت تيس المنظر ثم قالت لأختها الكبرى:
"أرى من الأفضل أن تتسلقي الشجرة."
وتحت الحاح الصغيرين، أضطرت لتسلق شجرة التفاح بمهارة اكتسبتها في ماضي السنين. وبسطت جسمها على أحد الفروع غير العالية، متشبثة بالشجرة باحدى يديها، ممسكة بالبلطة الورقية باليد الاخرى.

* * *

في تلك الاثناء، كانت كيري قد دخلت البيت، وعندها سمعت سيارة تقف في الخارج. وتناولت آلة التصوير، ثم خرجت معتقدة أن مرغريت ديرموت قد عادت... وأتسعت حدقتاها ذعرا، حين رأت الشخص الذي كان يصحبها!
هتفت مرغريت مبتسمة:
"مرحبا يا كيري! أظنك على معرفة بالسيد آلدوريت."
وغص حلق كيري انفعالا، وكان رويز قد رآها في العمل طبعا، ولكنه لم يولها أنتباهه، أما الآن فقد أدرك أنها كانت مع ليلي في مقصورة المطعم، يوم أوسعته هذه انتقادا...
تساءلت مرغريت:
"أين الفتاتان؟"
وأضطرت كيري وهي مترددة الى أن تقول انهما في الحديقة، وأن هي الالحظة، حتى أنبعثت صيحة حرب

منكرة، فضحكت مرغريت قائلة، وهي ترمق آلة التصوير:
"أتلتقطان صورا للهنديين؟"
فأقرت كيري ذلك متلعثمة، وهي تساءل نفسها... كيف تستطيع أن تنبه ليلي وقالت أخيرا:
"أرى من الافضل أن أخبر ليلي بأنك رجعت..."
وفي هذه اللحظة أنبعثت صرخة من الحديقة، وبدت أنها صرخة ليلي، فقالت مرغريت ضاحكة:
"اذن فقد أستدرجا ليلي الى أحدى ألعابهما الهندية؟"
فقالت كيري تنبهها، وهي ترمق رويز بنظرة جانبية:
"أجل. وقد أكسباها هيئة الهنود... يحسن أن أخبرها... أعني..."
ونظرت مرة أخرى نحو خطيب ليلي.
وهزت مرغريت رأسها، وقالت ضاحكة:
"أعتقد أن السيد آلدوريت لن يمانع."
وأبتسمت للرجل، وفي عينيها وميض ماكر، وقالت:
"أنه منظر جدير بالمشاهدة حقا... اذا كان شبيها بما فعله بها التوأمان في آخر مرة."
فقالت كيري في أرتباك:
"أنه أسوأ. ولكن مرغريت قالت:
"هذا أفضل، وتناولت آلة التصوير من كيري وهي تقول:
"وأني أوافق على أن نلتقط لها صورة."
وعندما خرج الثلاثة من البيت، كانت ليلي فوق الشجرة. وهكذا وصلوا الى الحديقة في لحظة مثالية، ليرى رويز آلدوريت اعجب منظر أذهله في حياته... فالى شجرة تفاح عتيقة، كانت ثمة فتاة حسناء موثقة بطريقة بدائية، والريح تعبث بشعرها، وعلى وجهها تظاهر بالخوف تخالطه الرغبة لا تقاوم في الضحك. ومن خلف شجرتين صغيرتين برز وجهان صغيران مخططان بالألوان، يعلوهما ريش، ولكن المشهد الرابع هو الذي سبب الشعور بالمفاجأة المذهلة الواضحة على وجهه... فعلى أحد فروع الشجرة كانت سكرتيرته الكفء - التي أعتادت السيطرة على نفسها - وقد تدلى شعرها البرونزي اللامع واصطبغ وجهها بالخطوط الحمراء والزرقاء.
والتفتت ليلي اذ سمعت ازيز آلة التصوير، فاذا الذعر يقفز فجأة الى عينيها وودت لو أنها تستطيع أن تغوص في جوف الشجرة... وأطلت غير مصدقة فالتقت بعيني رويز آلدوريت السوداوين اللتين تجلت فيهما الدهشة الطاغية مع

انبساط لا سبيل لأنكاره.

وإذ اقترب من الشجرة تحركت ليلي بغية الهرب بطريقة ما، ولو بالتسلق لارتفاع أكبر، والاختباء بين أوراق الأشجار، ولكن حيرتها وارتباكها افقداها توازنها... وحاولت أن تستعيد بالتشبث باليد التي كانت تمسك بالبلطة الورقية... وإذ بها تهوى فيتلقاها بين ذراعيه، وظلت لثانية واحدة بينهما وقد جمد حراكها من الصدمة.. ثم انتزعت نفسها متخلصة، وهي تغمغم بكلمات غير واضحة، وجرت بكل ما أوتيت من قوة، فلم تتوقف الا حين لاذت بحجرتها. وهناك، رأت لأول مرة كيف كان شكلها تماما!

كان البنطال والبلوزة قديمين، وعليهما آثار من التربة خلفتها عنايتها بالحديقة، وبضع بقع من طلاء اخضر منذ ساهمت في طلاء الكاراج... وعلى كل شفة ثلاثة خطوط عريضة من طلاء الشفاه الاحمر، وشريطان أزرقان عبر الجبهة وخط بفزع اى هندي حقيقي، بالاضافة الى عصابة خضراء تلف الشعر البرونزي، وفوقها ريشة مائلة. وكانت المدية تتأرجح عند خاصرتها... وانتبهت اذ ذاك فقط الى أنها كانت مازالت قابضة على البلطة الورقية التي طليت باللونين الاحمر الفاقع والاسود.. كانت صورة غنية بالألوان غير التي اعتاد رويز أن يواجهها!

* * *

ما لبثت ان ألقت بالبلطة، وجلست على السرير، وتملكها ضحك كضحك الاطفال. وهكذا وجدتها كيري حين دخلت الحجرة، فحملقت فيها في البداية، منزعجة، ثم عاودتها الابتسامة اذ أبصرتها وقالت:

"الحق أن منظرك عجيب!"

فقالت ليلي وهي تكاد تبكي:

"ماذا ترينني فاعلة يا كيري؟ لا أستطيع أن انزل وأواجهه!"

قالت كيري:

"يبدو أنك مضطرة لذلك... أنني آسفة اذ لم أنذرك، ولكن أمك سمعت صيحات الحرب، فأدركت ما كان يجري، وظننت أن خطيبك العزيزسيعجب بالمنظر."

فشرعت ليلي في الضحك ثانية، وهي تقول:

"ما رأيت على وجه أحد ما كان على وجهه من دهشة،

ولكنه ضحك!"

ونهضت فخلعت حزام توم ومديته، ونزعت العصابة والريش، وقالت وهي تغيب في الحمام:

"يحسن أن أشرع في ازالة اصباغ الحرب"

وعادت بعد برهة، كانت بشرتها ناصعة لامعة، وخصلات شعرها متهدلة على كتفيها.. فلما خلعت ثوبها، رأت صديقتها أنها كانت أكثر فتنة من أن ترتبط بزواج مصلحة، ولكن رويز ألدوريت كما تبادر لذهنها كان أبعد ما يكون عن العذرية المتزمتة.

وراقبت كيري ليلي وهي تتناول تنورة سوداء وبلوزة بيضاء، ثم قالت مبتسمة:

"ألا ينبغي أن ترتدي شيئا اكثر أنوثة؟ أنك لست في المكتب الآن... والمفترض أنه الحبيب المفضل."

فترددت ليلي لحظة، ثم اعادت القطعتين وتناولت ثوبا اكثر أنوثة، ذا لون اخضر ضاربا للاصفرار الليموني، كان خير ما يبرز لون شعرها. وراقبتها كيري في تقدير، ملاحظة التصاق الثوب بقوام صديقتها الممشوق، بينما كانت ليلي تفكر في أن هذا كله كان عناية ضائعة بالنسبة لرويز، فما كان ليلاحظ أي اختلاف فيما ترتدي. كان بروس هو الجدير بأن تتأنق له، وليس الرجل البارد العواطف الذي ينتظر بالطابق الأسفل!

وألقت على كتفيها وشاحا، وتحولت تعنى بشعرها البرونزي البهي المتموج على ظهرها، ولكن كيري تناولت الفرشاة منها، قائلة.

"دعي هذا لي، فذلك أسرع."

وبعد فترة وجيزة، كان شعرها تاجا براقا معقوصا حول رأسها، واكتسى وجهها بزينة خفيفة ذات لون طبيعي. وتهيأت ليلي للنزول، وهي موجسة تماما... كيف سيقدر لها اقناع أسرتها بأنها كانت تحب رجلا لا قيمة شخصية له لديها؟ والاسوأ أنه رجل مغلق بارد من الناحية العاطفية، اعتاد أن يبعث فيها اضطرابا، كتلميذ يخشى أن يبدر عنه ما يعتبر قحة!

كان التلطف الوجيز الذي ابداه في أول صباح لخطبتهما قد تلاشى، وعاد لطبيعته العادية الى حد كبير، مما جعلها تسائل نفسها عما كانت ستصادف في ذلك الصباح.

* * *

غمغمت كيري، وهما تغادران الحجرة:
"اعاننا الله... أن تيس على الاقل بعيدة عن طريقنا."
وتصاعدت صيحات التوأمين من الحديقة، فقد كانت لتيس عادة النطق بما يتبادر الى ذهنها.
واحدث ثوبها حفيفا وهي تهبط الدرجات... وشعرت أنه كان يجدر بها ارتداء هذا الثوب لبروس... واحست بحنين يفوق ما كان يخالجها في أي يوم قبل أكتشافها حبه لستيلا. كان الألم في أعماقها قاسيا، حادا وساءلت نفسها:
"هل ستكون مثل جانيس مارتن، تتحسر بقية عمرها على رجل ما كان من الممكن أن تحظى به."
لقد قالت جانيس مارتن، أن الزمن يلئم الجرح ولكن الوجع الصامت يظل كامنا حتى لحظة أثارة الكوامن. وكانت تلك هي اللحظة التي لا ينبغي لها أن تتذكرها. كان عليها أن تجبر نفسها على النسيان، بقدر ما تستطيع، وأن تركز أهتمامها على ما ينبغي ان تفعله. كان هذا صعبا والموقف على ما هو عليه، دون حنين الى الرجل الذي أحبت، لا الرجل الذي تظاهرت بحبه، لأن عليها أن تكون ابرع اداء من أية ممثلة. بل أن دورها أصعب أذ أنها تمثل في الحياة وليس على المسرح.
أجتازت البهو وكيري الى جوارها، ودخلت قاعة الجلوس الكبيرة وكانت دائما مريحة، نظيفة، يسودها جو البيت الحقيقي، بما للبيت من معنى الطمأنينة والسكن.
وكان أبوها قد عاد في تلك الاثناء، وأنضم الى الأسرة. ولاح أن رويز كان يتحدث اليه بقدر من عدم التكلف. ولكنه نهض واقفا اذ دخلت الفتاتان وعيناه السوداوان تتأملانهما... كانت الرابطة الوثيقة بينهما واضحة له، ثم صادفت نظرته عيني كيري، فرأى بأنها مثل ليلي لم تكن شديدة الاطمئنان الى مقدرته على المضي في التمثيلية... كانت موزعة بين قلقها على ليلي، واستغرابها فكرة أن يقوم بدور كهذا. وتذكر كلمات سمعها في مقصورته بمطعم ريكي.
أما ليلي، فكادت لا تجسر على النظر اليه، ولكنها لاحظت لأول وهلة بمجرد دخولها اذ رأته يتحدث مع أبيها، أنه كان ذا طباع لطيفة، اذا ما شاء أن يبديها، وكان جذابا بدرجة غير عادية. وبذلت مجهودا لترسم ابتسامة على شفتيها، ولدهشتها اذا به يحييها بابتسامة كانت كمفاجأة اذهلتها، ولكنها مفاجأة سارة ولو أنها أضطربت لها قليلا... ما

كانت تتصور قط أن تحدث أبتسامة كل هذا التغير... كانت ثمة مناسبات في العمل شهدته فيها يبتسم، ولكن الابتسامة في هذه المرة كانت تنطوي على شيء مختلف بدرجة كبيرة، حتى أنها جعلت أنفاسها تتهدج بطريقة غريبة، وأوحت اليها بأنه يستطيع أن يكون خطرا على راحة بال أية أمرأة بفتنته السمراء، ومغناطيسيته عندما يبتسم.
وقال وهي تجاهد لتفيق من هزة أبتسامته غير المرتقبة:
"مساء الخير يا عزيزتي..."
وبدا وكأنه كان يستخدم كلمة الاعزاز منذ سنوات طويلة... قد يكون أستعملها لأنه لم يكن يعرف أسمها الاول، فقد كانت متأكدة من أنه لم يفكر فيها قط الا ك... آنسة ديرموت. ثم ليزيد من دهشتها جذبها اليه واحاط كتفيها بذراع مسيطرة نوعا ما وكأن ذلك كان تصرفا طبيعيا بالنسبة اليه.
وأردف بلهجة جعلت الاسرة تضج بالضحك:
"لعلك تعرفينني بالآنسة التي قابلتها فوق الشجرة منذ قليل."
فقالت وهي تحاول أن تألف ملمس ذراعه حول كتفيها:
"ارجو أن تنساها."
وضحكت مرغريت قائلة، وهي تهز رأسها:
"كلا... لقد ألتقطنا لها صورة جميلة، وسأعطي خطيبك نسخة منها."
وأجاب رويز:
"شكرا لك. أستطيع أن أبرزها لها اذا حاولت الاسراف في الوقار معي!"
وأبتسم لها، بالطريقة ذاتها، فضحكت ليلي باضطراب، وتخلصت من ذراعه بالجلوس على الاريكة.
ضحكت أمها قائلة:
"أستطعنا أن نقنعه بأنه لا يتزوج هندية حمراء، ولكن هذا تطلب جهدا."
وأثار قولها الضحك من جديد، فسرت ليلي لذلك، لأنه كان كفيلا بتبرير الارتباك والحيرة اللذين تجليا على أساريرها. وقد جلس رويز الى جوارها، وأحاط كتفيها مرة أخرى بذراعه بنفس الحركة الطبيعية، المسيطرة، وما كانت بقادرة على أن تتقبل الشعور بذراعه وهي متمالكة الجأش... وزادها أضطرابا غريبا وجوده قريبا منها.

راحت مرغريت ترمقها مبتسمة·· وأنا كانت قد لاحظت بعض التحفظ في مسلك ابنتها، فكان من السهل تفسيره بأنها ما كانت ابدا ممن يكشفن عواطفهن أما الملأ·· وأذهلت ليلي اراء التبسط الذي انساق به رويز لدوره· وتبادلت مع كيري نظرة تظهر انها غير مصدقة، بينما قالت نظرة كيري صراحة: ما كنت أظنه ينطوي على شيء كهذا··· واعترضت نظرة رويز نظراتها، ولعل هذا ما دفع بابتسامة مفاجئة الى فمه الحازم· وسرها وادهشها سهولة اندماجه مع أسرتها، فلم يبد أن أحدا منهم كان يفكر في مركزه أو ثروته، لهذا خلا الجو من أي توتر··· بينما تجلى عليه شيء من الجاذبية جعل نظراتها تتعلق به مبهورة رغما عنها·

* * *

تحول الحديث بعد فترة الى موضوع وطنه القديم، فسألته مرغريت بابتسامة:

"حدثنا عن بيتك في المكسيك، أظنه كما قالت ليلي يسمى كاراسترانو·"

فأومأ برأسه قائلا:

"هذا صحيح· انني لم أره منذ عشر سنوات·"

وشردت نظرات عينيه السوداوين بعيدا، واختلجت شفتاه بابتسامة شبه حزينة، وكأنما نسي كل الموجودين، وهو ينظر الى ماض دفنه· فقالت ليلي باندفاع لم تتمالكه:

"ما أحسبك نسيت ابدا!"

التفت اليها وقد رقت نظراته بدرجة لم تكد تصدقها، فلم تدر أكان هذا جزءا من التمثيل، أم أنها كانت رقة صادقة لأنه كان يفكر في شيء مهم له··· وقال برقة:

"كلا، لم أنس قط··· وبدا في عينيه السوداوين للحظة عابرة الم مرير، جعلها تود ان تمد اليه يدها··· وأردف:

"ما أظنني سأنسى أبدا· وما كانت ثمة حاجة به لأن ينسى، وقد آل قصر كاراسترانو اليه·"

وما لبث أن ابتسم فادركت في هذه المرة أن ابتسامته تظاهر لأنها كانت الابتسامة الدافئة التي كانت تثير فيها اضطرابا، وقال:

"سنعود الى هناك معا، وهكذا أفضل بكثير من ذهابي وحيدا"

وقطع الصمت صوت صفير سليط: عندما تفرغ من أبداء

حبك لها، نودأن نسمع مزيدا عن المكسيك· فصاحت مرغريت وقد عرفت صوت ابنتها الصغرى دون أن تلتفت اليها تيس! كانت الصغيرة تجلس على حافة النافذة، مدلية ساقيها داخل الغرفة، وحول رأسها أحد اربطة عنق ابيها، تلتصق به ريشة، كان منظر تيس أو تيريزا ديرموت مضحكا، وأن لم يبلغ مبلغ اختها الكبرى قبل قليل· وابتسم رويز وهو يقول لها:

"ماذا تودين أن تعرفي؟·"

كانت ليلي جديرة بأن تنذره بأن اختها لا تقنع بالقليل· ورمقته تيس باهتمام صريح، ثم انزلقت عن النافذة، واقتربت تتأمله عن قرب· وارتجفت ليلي أشفاقا مما قد يصدر عن أختها التي لا سبيل لكبح جماحها··· وأخيرا قالت تيريزا الصغيرة:

"هل ينحدر أجدادك من سلالة الفاتحين؟"

"أجل، كان منشيء فرعنا من الاسرة دون اكزافيير ويقال انني أشبهه نوعا ما·"

هتفت تيس عجبا، وعادت تتأمله باهتمام وتساؤل، وقالت:

"ما شكل قصركم؟"

قال:

"كاراسترانو؟"

وابتسم بطريقة انبأت ليلي بأن أفكاره ارتدت الى هناك، وقال:

"انه كبير مترامي الاطراف، عتيق جدا، تحف به الزهور من كل جانب· وفي الفناء الداخلي نافورة يبدو كأنها تغرد، غني بالزهور، لا سيما الورود لأن أمي كانت تحبها أكثر من الزهور··· كانت انكليزية، ولكني لم أعرفها قط، لأنها ماتت عند مولدي··· وأغتيل والدي بعدها ببضع سنوات·"

وشعرت ليلي بجزع، اذ سكت خشية أن تسأله تيس عما دعاه لترك موطنه والاقامة في انكلترا· ولكن الصغيرة قالت:

وكأنها تسدي اليه صنيعا: "أتود أن تحضر حفلة عيد ميلادي؟"

همت ليلي بأن تعتذر نيابة عنه، ولكن رويز أدهشها اذ ابتسم لتيس وقبل دعوتها بجدية رصينة قائلا:

"شكرا يا آنسة ديرموت··· يشرفني أن أحضر، فلعلك تخبرينني اذا حان موعده·"

وأطرب تيس أن يدعوها الآنسة ديرموت، وبادرت باخباره بأنها وضعته فعلا في قمة معارفها من الكبار· وفي اللحظة ذاتها، التقت عينا ليلي بعيني خطيبها فابتسما···

وبسبب النظرة الوجيزة، والأبتسامة، أدركت ان الأمر لم يكن ادعاء، اذ شعرت بخجل لا تفسير له، غضت بصرها وبدلت موضوع الحديث.

وبعد تناول الشاي خرجت ليلي مع رويز الى البهو، وهو ما بدا أن الجميع توقعوه، كرغبة منها في الفرار من الحرج، ورغبة منهم هم في أن يخلوا لهما الجو، لتودع ليلي خطيبها، وبادرت ليلي بأثارة موضوع عيد ميلاد تيس، فقال بصراحة:

"أترين الا أحضر؟"

وأجابته:

"كلا... كلا، طبعا. أنما عنيت أنها لا تكاد تكون مناسبة مما يروق لك."

"لعلك لا تعرفين ما يروق لي... الا ترين هذا؟"

وظنت للحظة أنه ليس راغبا في الحضور، فقالت:

"بلى... لهذا اتيح لك الفرصة، أن شئت الرفض. وبوسعي أن أدعي أصابتك بانفلونزا طارئة. أن حفلات تيس عادة تنتهي بصخب."

فنظر اليها وأساريره تنم عما في نفسه، وسألها:

"أكان خطيبك السابق يحضر حفلاتها؟"

فلما أومأت بالايجاب، قال بحزم قاطع:

"اذن فلست أري ما يدعوني لرفض دعوة أختك."

وقالت في نفسها:

"اذن فلا يلومن الا نفسه، اذا تورط في دعابات تيس. على انها، وهي تفكر في احدى اللعب المحببة الى أختها، رأت ان تبذل جهدا أخيرا لتحذيره."

"من العاب تيس المفضلة لعبة العقوبات فهي توجه أسئلة، بحيث تفرض عقوبات على أحد منا. وفي عيدها يطلق لها العنان أكثر من المعتاد، وأذا أمكن فاننا ننفذ كل ما تقضي به. وسيكون مرتقبا منك أن تحذو حذونا."

أبتسم وسألها:

"ما الذي تخافينه بوجه خاص؟"

فقالت:

"لا أدري... ولكن لا يستغرب من تيس أي شيء!"

وتحولت نظرته اليها فجأة الى نظرة ثاقبة، متفحصة، وقال:

"اذن سنحاول الاندع أسئلتها توقعنا. وهناك امر آخر... تمثيلنا هذا... عليك أن تكون أفضل أداء، والا كشفت

انه تظاهر وادعاء!"

تضرج وجه ليلي وقالت:

"انني أسفة... من العسير..."

ومنعها صوته المتميز بشيء من السخرية، من أن تكمل، اذ قال:

"هذا صحيح، ولكنه كان اقتراحك، وليس لك ان تتراجعي في هذه المرحلة."

فنظرت اليه ورفعت رأسها في كبرياء، وقالت:

"ما كنت أفكر في التراجع يا سيد آلدوريت. أنني لا أبدأ عادة الا ما أوقن أنني سأكمله."

قال في رفق:

"انني متأكد من هذا."

ثم عاد يرمقها بتطفل ساخر بدا يضايقها، وأردف:

"أسمي على فكرة رويز... مثل لويس فيما عدا تغير الحرفين الاول والأخير في كل منهما. وسيبدو مستغربا أن تواصلي مخاطبتي بتكلف، لا سيما أمام اسرتك." وأومأت برأسها، وهي تشعر بشيء من الحرج اذ تضطر لأن تناديه باسمه.

وفجأة قال وقد عاودته اللهجة الهازئة، وكأنه شعر بما ساورها:

"انني أسمح لك تماما ان تناديني به، ثم هناك أمر آخر."

ودس يده في جيبه، وأخرج علبة سوداء صغيرة، وحدست بغريزتها ما جعلها تعقد يديها خلف ظهرها في حركة طفولية لم تستطع مقاومتها. كان تقديم الخاتم رمزا للحب وعهدا للمستقبل، ولكن هذا الخاتم بالذات كان وجها آخر من وجوه التظاهر.. كان الدليل الظاهري لصفقة فارغة لم يعرف حقيقتها الا كيري طبعا، وبروس.

أرتفع الحاجبان الاسودان في أستغراب هازىء واضح، وأمسك باحدى يديه الرفيعتين رسغها الايسر، وقال:

"يؤسفني أنه شر محتوم. أنني أدرك هواجسك، ولكن لا داعي لاعتباره رمزا لا رتباط باق."

فرفعت رأسها بتحد وهي تتساءل عما عساه كان يساور افراد الاسرة لو رأوا هذا المشهد. رويز يقف ممسكا بمعصمها باحدى يديه لا يفلته، بينما يمسك بيده الاخرى علبة وقد أرتفع غطاؤها عن خاتم ذي حجر من الياقوت العميق الزرقة، وقالت أخيرا:

"ما كنت أفكر على هذا النحو... أنما بدا لي أنه... تبذير

لا داعي له.»
«ولكني أظنك توافقين على أنه اجراء طبيعي... فستتوقع أسرتك أن ترتدي خاتما.»
واقرت رأيه وهي تقف بلا حراك بينما أحاط أصبعها بالخاتم، بعكس ما توقعت من أن يعطيها العلبة ويطلب منها أن ترتدي الخاتم. كان هذا اكثر تمشيا مع اتفاقية المصلحة التي ابرمتها معه، ولكن هذا لم يخطر له، واذا كان قد خطر فانه آثر أن يتجاهله، لتكون الخطبة أقرب الى ما هو متعارف عليه، وادهشها أن الخاتم ناسب أصبعها تماما، وكأنه صنع خصيصا لها!

قال وفي عينيه نظرة غامضة المعنى، وجدت أن من العسير أن تصمد لها:
«أتمنى أن يكون فألا حسنا...»
ولم يذكر لأي شيء هذا الفأل، ولكنه زادها ذهولا أذ أنحنى ومس بشفتيه النحيلتين يدها، قائلا بفكاهة ساخرة:
«وهذا أيضا متعارف عليه عند تقديم خاتم الخطبة.»
بينما تحاشت ليلي النظر الى وجهه!

* * *

تمتمت أخيرا:
«أنه خاتم جميل جدا!»
قال وفي صوته رنة التهكم ثانية:
«لعله كان ينبغي أن أقول انني أخترته ليناسب لون عينيك.»
فعقبت على الرغم منها:
«ما تصورت أنك تعرف لونهما!»
رفعت يده ذقنها فجأة للحظة أمسكت فيها أنفاسها، اذ خامرتها فكرة رعناء بانه يوشك ان يقبلها. ولكنه اكتفى بأن ابتسم في شيء من الاستهجان- أراه حدس ما جال بخاطرها- وتركها قائلا:
«لابد أنني اعرف الآن ان لونهما لون الختم تماما. أنني على الاقل لم أفكر في أنك قد تفضلين الماس.»
ما كانت تظنه يعرف شيء عما تفضله، ولا عن لون عينيها... كان أعجب رجل حقا. وقالت متلعثمة:
«أنني... أفضل الياقوت.»
قال وهو يوجه بصره الى باب قاعة الجلوس المغلق خلفهما:

«حسن. أترين من المناسب الآن أن أنصرف؟ أترينهم أنهم أفسحوا لنا وقتا كافيا؟»
وشعرت ليلي بالدم يتدافع الى وجهها ثانية، وسخطت في نفسها اذ خطر لها أن أي أمرىء خليق بأن يظنها تلميذة طائشة... ما الذي أصاب هدوء اعصابها واتزانها اللذين اعتادت الاحتفاظ بهما مهما تكن الازمات؟
قالت في تردد:
«أظن... أظن ذلك.»
وأجفلت على الرغم منها، أذ مد يدا قوية الى شعرها، فعبثت بتناسقه، قائلا في أقتضاب:
«هذه أضافة ضرورية! لا سيما لفتاة المفترض أنها كانت تودع الرجل الذي تحبه!»
ومرة أخرى شعرت بوجهها يتضرج، ولم تجد كلمة واحدة تقولها، وهي بعد تشعر بلمسة شفتيه الجامدتين ليدها. وأخيرا، رفعت رأسها في كبرياء غير متعمدة، وقالت:
«طبعا، أذا كنت تعتبر أن التأثير غير واقعي بدرجة كافية...»
لم تكن ثمة حاجة الى التهكم في صوته أذ قال:
«انني أعتقد أنه واقعي بدرجة كافية.»
وتلاشت تحت تهكم صوته ونظراته الكبرياء التي خالطت صوتها. بينما أردف هو:
«أذن، أرى الوقت قد حان لأقول... أديوس.»
وذهلت للمفاجأة مرة أخرى، أذ أستعمل الكلمة الاسبانية للوداع، ومع ذلك فقد لاحت مناسبة تماما، في تلك اللحظة!
ردت ليلي بالكلمة ذاتها، وهي تعجب مما جعله يستعملها، فما عهدته ينثر الكلمات الاسبانية في حديثه. أترى فكرة العودة الى كاراسترانو تحطم حاجزا ما؟ وأذا صح هذا، فماذا كان خلف الحاجز؟ وقال:
«أليس لديك شيء آخر تضيفينه؟»
فقالت والحياء يغلبها:
«أديوس... يا رويز.»
وقفت بعد أنصرافه مستغرقة في التفكير، لا تدري حقيقة رأيها به. كانت الشخصية الباردة المتباعدة في المكتب مألوفة لديها، حتى الطريقة الساخرة، الهازئة... أكان هكذا في كل معاملاته مع النساء، اذا تجاوزن التكلف المحض؟ ولكن الشخصية الثالثة لرويز آلدوريت هي مبعث

الدهشة الكبرى لديها، شخصية مجهولة منها تماما... شخصية الرجل الذي ابتسم لها في دفء متكاسل، والذي جعلتها لمسته تفطن بقوة الى جاذبية شخصية شديدة، ما كانت تعلم انه أوتيها!

* * *

كانت عيناها توحيان باستغراب في التفكير، حين عادت الى قاعة الجلوس لتقابل بنظرة مبتسمة من أمها، وهي تبادرها قائلة:
"أعرف أنك ستوجهين سؤالا لامناص منه، وسأوفر عليك العناء... أنني أميل اليه.. كثيرا جدا."
فتحولت ليلي الى أبيها تسأله:
"وأنت؟"
قال جون ديرموت، وهو يهز رأسه، مقطبا نوعا ما:
"رجل بديع، لا أتمنى سوى أن أتأكد من أن الامور ستنتهي خير انتهاء بالنسبة لستيلا وبروس."
فسألته وهي تحرص على الا يبدي صوتها الفضول العادي:
"ولم لا؟"
قالت مرغريت:
"أننا لم نصارحك من قبل، ولكنا كنا غير مطمئنين قليلا حينما خطبت الى بروس."
فعادت ليلي تتساءل:
"من حيث؟"
فقال أبوها:
"لقد قلتها مرة من قبل، حين فسخت الخطبة... انه ضعيف، يريد الاتكال على الناس."
فقالت:
"لم ألاحظ هذا أبدا."
قالت أمها:
"انه شيء متوار، تحدسينه أكثر مما تعرفينه عن يقين. لهذا دهشنا حين قيل أن ستيلا وقعت في هواه."
فقالت جولي:
"لعله دبر هذا اصطناعا."
فبادرت ليلي باندفاع غير ارادي، وهي تتذكر ما رأته حين فتحت باب قاعة الجلوس بهدوء:
"كلا... أعني أن هذا شيء سمعت ستيلا تقوله."

وإذ نظروا اليها في تساؤل، لم تشأ أن تذكر لهم السبب الحقيقي في تأكيدها، وقالت:
"لم أشك في البداية، ولكن الامر تجلى لي فيما بعد."
علقت جولي قائلة:
"هذا غريب حقا، عندما يفكر المرء فيه... ما تصورت قط أن ستيلا قد تود الزواج من شخص مثل بروس، ولكن، قد يكون هذا رد فعل لما تلقاه من الرجال الذين تمثل معهم."
واضطرت ليلي لأصطناع ابتسامة واهنة، وهي لا تدري ما يدعوها لتقبل هذه الملاحظات عن بروس وهي ساكنة النفس. ومالبثت أن قالت:
"أعتقد أنه عادي... والامر كما قلت رد فعل من ناحية ستيلا، ولكني أثق بأن كل شيء سينتهي الى خير نهاية."
وفكرت كيري مكتئبة:
"سينتهي الى خير نهاية لستيلا، فهكذا حظها دائما."
يبدو أن فكرة صغيرة، غريبة، خطرت لها في تلك اللحظة.. كان من المؤسف ازاء الاداء الذي مثل به رويز الدوريت دوره في ذلك اليوم الا ينتهي الزواج الى زواج حقيقي. اذا كان الرجل الذي رأوه في ذلك اليوم هو رويز الدوريت الحقيقي، وليس مجرد ممثل، فقد داخلها شعور بأنه كفيل بأن يفوق بروس بكثير في أسعاد ليلي.
ابتسمت مرغريت فجأة في تخابث، وقالت:
"أليس صاحبك رويز فارسا أسبانيا عظيما حقا؟"
فتضرج وجه ليلي وقالت:
"نعم، أراه كذلك. الواقع أنني ما لاحظت هذا من قبل. لقد أعتاد... أن يكون باردا متباعدا، منطويا، حتى أنك لتنسين أنه نصف أسباني."
فابتسمت جولي قائلة:
"أراهن أنه يدعك الآن تنسين هذا."
ماكان من سبيل لتفادي حمرة الخجل، وهي تتذكر الدفء الذي كان في عينيه اليسوداوين، والذي كان أبعد الأمور عن التوقع. وتساءلت كيري وهي ترمقها:
"أصحيح هذا؟"
والتقت نظراتهما، فابتسمت ليلي ابتسامة ضئيلة، وقالت:
"لن أتكلم!"
ولكي توقف تدفق الاسئلة، أرتهم اخيرا خاتم الخطبة. وكانت حتى تلك اللحظة تبقي يدها متوارية لسبب لم

تدر كنهه، وهي خجلى مترددة. وصاحت جولي في أعجاب ردده الآخرون، وهم يتأملون الحجر الياقوتي المربع، والحجرين الماسيين الدقيقين اللذين أحاطا به.

* * *

عندما أستلقت ليلي في فراشها في ذلك المساء وجدت فكرها يستعيد كل دقيقة من تلك الامسية. الفارس العظيم كما وصفته أمها، كيف سيكون في كاراسترانو؟ كان يبدو بالتأكيد انه يتمتع بالشهامة والمجاملة التي فطرت عليها العائلات الاسبانية العريقة، ولكنه لم يؤت الخصلة الاخرى التي أشتهر بها عنصره... ثم تذكرت اللمحة الخاطفة التي مرت بها في البهو، حين خالت انه يوشك أن يقبلها... أكان ذلك مجرد توهم، ام أنها كانت نزوة لم يشأ أن يستسلم لها؟.

ثم بدأت تتذكر الفكرة التي ساورتها قبيل انصرافه. أكان التفكير في العودة الى كاراسترانو يحطم حاجزا أخفى نفسه وراءه خلال السنوات العشر التي قضاها في انكلترا؟ وأذا كان الامر كذلك، فكيف كانت حقيقته أكان الرجل البارد المشاعر المتباعد، الذي عرفته في العمل؟ أم الغريب الساخر؟ أو كان هناك رويز آلدوريت ثالث، لم تحدث وجوده قط قبل اليوم، ولا عرفت عنه سوى أنه كان قادرا على أن يبتسم وفي عينيه ذلك الدفء التمكاسل؟

وعندما، فطنت الى أنها طيلة الوقت الذي قضاه معها، لم تفكر في بروس، وكان هذا أغرب الامور جميعا!

٦ - التوأمان

لم يرد أثناء العمل يوم الاثنين التالي أي ذكر للتمثيل الذي أدياه بعد ظهر يوم السبت، فيما عدا تساؤل متهكم اذا كان كل شيء في البيت على ما يرام، فاستطاعت ليلي أن تجيب في رصانة كاملة بأن كل شيء بخير وعندها انغلق رويز على نفسه، واستأنف املاء خطاباته. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، أخبرها بأنه كان معتزما السفر الى كاراسترانو في يوم الاربعاء، وأنه كان يتوقع أن يغيب حوالي أسبوعين. وتلقت ليلي هذا النبأ على الفور على أنه طريقته لتفادي حفلة تيس، وهذا ما لم تلمه عليه، لأن أي أمريء لم يألف هذا النوع من الامور، كان خليقا بأن يراه ثقيلا على أعصابه. ولكنه بادر بتبديد هذه الفكرة، اذ أردف قائلا أنه عائد في وقت مناسب لحضوره الحفلة!

جاء بروس بعد ظهر ذلك اليوم ببعض تقارير لرويز، كما حدث حين التقت به لأول مرة. وحشدت ليلي صلابتها لتسيطر على نفسها، ولكن السحر كان قد غاب للمرة الاولى. وقالت في نفسها لعل هذا طبيعي، فأن السحر قد تهشم على أيه حال يوم عادت الى البيت فوجدته وستيلا بين ذراعيه! وما خطر لها أن ألم ذكرى تلك الامسية لم يكن بالغ الحدة، أو أنها تذكرت قول جانيس ان الزمن يلئم الجروح، اذا ما اتيحت له فرصة مما خفف عليها.

وسألته:

"الم تتلق بعد نبأ من ستيلا؟"

وأستغربت في نفسها أنها أستطاعت أطلاق السؤال دون أنفه تهدج في صوتها! فأجاب في شبه اكتئاب:

"كلا... يبدو وأن خطابي لم يصلها بعد."

فقالت تطمئنه:

"لا تقلق، فهي ستتلقاه، وعندها ستتصل بك على الفور."

وهزت رأسها، وأردفت:

"انني آسفة لأنني لم أفاتحك في... في اليوم ذاته، ما كان ينبغي أن أرجيء ذلك الى أن ظننت أنني أوتيت عذرا

معقولا لفسخ الخطبة!"

وكاد بروس يقطب جبينه ولكن لسبب غير الذي خطر لها في البداية وقال:

"أنا لست مرتاحا لما تفعلين. ألا بد لك من الزواج منه حقا؟"

فهزت كتفيها قائلة:

"أحسبنا تحدثنا في هذا من قبل، فلسوف يسهل ذلك لستيلا الامور، ولن يضيرني."

وأضافت محاولة ان تمزح:

"أنا في أية حال سأقضي بضعة أشهر للراحة في المكسيك دون مقابل."

قال في شيء من التجهم:

"أمل ألا يضيرك ذلك، ألا تدركين.."

فقاطعته بهدوء:

"أنك تعرف رويز آلدوريت ليس لدي أتفه شك في أنه سيلتزم بالاتفاق. ومهما يكن ما يخالجك حين ترانا معا، فثق أنه مجرد تمثيل. وهو لم يتغير في الواقع لا يزال تحت مظهره بارد العواطف كالعهد به دائما."

وساءلت نفسها:

"ترى ألم يتغير حقا؟ كان هذا شيئاً لا تستطيع الجزم به."

ووافقها بروس على مضض قائلا:

"ربما ولكني مازلت لا أرتاح لذلك." سواء ارتاح أو لم يرتح. فلم يعد هناك ما يملك ان يفعله. لقد اختارت المخرج ورفضت ان تعدل عنه. وقالت معقبة:

"على أية حال، فانني حين قبلت الاتفاق وعدت بألا أرجع عنه في اللحظة الاخيرة. انه أوتي فترة معينة لتنفيذ شروط الوصية ،ولو تخليت عنه فسيكون عليه ان يبدأ من جديد."

"سيكون الوقت متسعا ليعثر على سواك."

"ربما، ولكن ما من ضرورة لذلك، بجانب هذا، كيف تتقبل ستيلا الامر في رأيك اذا أنا فسخت الخطبة الى رويز؟"

"لابد من أن تفسخ بعد مدة، لابد من فصم الزواج على الاقل."

فهزت كتفيها قائلة:

"سيكون هذا بعد شهور على الأقل، وكثير من الزيجات تنفصم بعد ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر. ولا تنس أن لدي عذرا مشروعا تماما. فان رويز في وسط لاتيني، ومع أنه قضى في انكلترا عشر سنوات، فسيكون من المفهوم أن تتجدد اذا ما عاد للمكسيك كل الآراء والأفكار القديمة مما يسبب

عدم التكافؤ. أن للمكسيك تراثا أسبانيا قويا، ولديهم آراء عن تبعية النساء للرجال. وأنا شديدة الاعتداد بالاستقلال. انني أكره خداع الاسرة طبعا، ولكن..." وتوقفت عن الكلام، وهزت كتفيها ثانية. فتمتم بروس:

"ما أزال غير مستريح لذلك. وعلى أية حال، فلست أفهم كيف اقتنعت أسرتك بهذه السهولة. أنا شخصيا لم أقتنع."

"أنك تبينت الحقيقة عفوا. ما كنت أعتزم ذلك. أما بالنسبة الى الاسرة.. فأرجو الا أجرح غرورك بنفسك اذا قلت أن في المحيط سمكا آخر، وهم يظنونني عثرت على واحدة."

وتضرج وجهه في ارتباك، بينما استطردت هي:

"ما كنت أقصد هنا، وانما كنت أمزح... ما قصدت أن تحمل قولي على هذا المحمل."

فتمتم وهو يغالب الارتباك:

"مازلت غير مستريح."

"ولا أنا... ولكني ماضية في الاتفاق. لو كان في الامر فتاة أخرى، لاكتفيت بفسخ الخطبة. ولكن لأنها ستيلا، فاني اعتزم ان أبذل كل ما يمكن لأجعل الامور تسير نحو نهاية صحيحة. فلندع الأمور على هذا النحو..."

* * *

اقترب يوم عيد ميلاد تيس ورويز مازال غائبا، واضطرت ليلي الى أن تجعل الجميع يظنونه رحل ليتفقد ممتلكاته، خشية أن تكون ثمة ضرورة لبعض التعديلات قبل أن يذهبا معا الى كاراسترانو. وما كان في الواقع قد قال شيئا من هذا القبيل، حتى أنه لم يخبرها بسبب ذهابه الى هناك. ولكن هذا الايضاح بدا مناسبا اذا ما صادف ان سألها شخص ما.

وحان يوم الحفلة، وما من نبأ من رويز عن عودته. بل انه لم يرجع الى انكلترا في الليلة السابقة. وكانت ليلي تهز كتفيها في غير مبالاة اذا ما سئلت وتقول:

"انني أتوقع وصوله في آخر لحظة."

ولم يعلق أحد على أنها لم تتلق منه خطابات، لأنها جعلت أهلها يعتقدون أنها تسلمت منه رسائل في المكتب. والواقع أن الرسائل وصلت منه للمكتب، ولكنها كانت مقتصرة على العمل. ومع ذلك، فانها حرصت على اختيار ثيابها وزينتها كما يفترض في فتاة ترتقب خطيبها، بالرغم من أنها لم تكن متأكدة من قدومه. كان ثوبها في هذه المرة أزرق يضاهي لون حجر الخاتم الذي اهداها اياه، مما ابرز تألق زرقة عينيها.

وعندما نزلت الى البهو ابتسمت جولي، ثم ضمت شفتيها في صفير اعجاب وتمتمت:

"لا عجب في أنه قرر أنه لا يستطيع العودة الى المكسيك بدونك."

فأومأت ليلي مهددة في مزاح بأنها ستقتلها، مما جعل جولي تضحك.

كانت تتوقع وجود بروس الى جوارها، حين بدأت التدابير للحفلة قبل مدة في حين أن رويز الدوريت هو الذي سيقوم بدور الخطيب الولهان الآن، وبدا ان الكلمتان الاخيرتان اثارتا تململا وعجبا... أما العجب فلأنها الى وقت قصير ما كانت تتصور أنه أوتى اقل فكرة عن أداء دور كهذا... أما التململ فلأنه كان عليها هي الاخرى ان تقوم بدور الخطيبة الولهانة.

وكان خليقا بتيس وقد أقامت حفلة للاطفال بعد الظهر أن تكون متعبة، مهيأة للنوم، ولكن أمورا كهذه كانت مستبعدة التوقع من الآنسة تيريزا ديرموت. بل أنها في الواقع كانت أكثر أشراقا مما أستيقظت في الصباح، وفي أوج النشاط، وأن لاحت وتوأمها في تلك اللحظة غير طبيعيين.. كانا في نظافة تامة، وشعر منسق ولكن الى متى كان مرتقبا لهذه الحال ان تدوم. كان الكل يسمونها حفلة تيس ولكنها في الواقع كانت حفلتهما معا، ومع أن توم كان يبدي ضجرا الحفلات، زاعما أنها تليق بالفتيات، وتاركا أخته توجه الدعوات، فكان بالطبع يود حضور الحفلة.

عندما دخلت ليلي غرفة الجلوس، كان الصغيران يركعان على الاريكة، وانفهما ملتصقا بزجاج النافذة، بينما كانت مرغريت ترتب الحجرة. وفجأة أطلق توم صيحة انفعال واعجاب:

"يا لها من سيارة ممتازة!"

فأضافت تيس:

"أنها تقف هنا."

وما كان التوأمان قد رأيا سيارة رويز في زيارته السالفة اذ كانا في الحديقة عند وصوله وعند رحيله. وكانت سيارة جديرة بالاعجاب... فخمة، غالية، دون ما تبهرج وفخفخة، كما كانت ثيابه. كانت تلك الاشياء هي التي تذكر ليلي بين آن وآخر بأنه واسع الثراء.

قالت مرغريت لابنتها:

"يحسن ان تذهبي لاستقباله يا عزيزتي... كانت تتيح

لها فرصة لتحية الرجل الذي كان مفترضاً أنها تحبه، بعيدا عن عيون الباقين، وأحمر وجه ليلي أذ ادركت ما تعنيه امها. وزادها ارتباكا ان لمحت جولي تبتسم، وكان من الافضل، أنها لم تنتبه الى النظرة التي قفزت فجأة الى عيني صغرى بنات ديرموت. وأذ خرجت ليلي الى البهو وأغلقت الباب خلفها، تسللت تيس من أحد أبواب الحديقة الخلفية فاختفت فجأة.. وعادت تدخل الدار من باب المطبخ، وتزحف في حرص خلال الردهة المؤدية الى البهو..

شعرت ليلي اذ فتحت الباب للرجل الطويل، الاسمر الذي ترجل من السيارة الفخمة بشيء من الدهشة، اذ بدا متغيراً. فان الاسبوعين اللذين قضاهما في كاراسترانو زادا من سمرة بشرته، وهتفت في ارتباك:

"اذن فقد عدت في الوقت المناسب؟"

فقال:

"لقد قلت أنني سأعود في الوقت المناسب..."

وكأنما كان قوله اذ ذاك فصلا. ثم أردف بابتسامة اضطربت لها:

"أنك تبدين جميلة جدا هذا المساء."

فشهقت ليلي وشعرت بالدفء يتصاعد الى جبينها، وهي تسائل نفسها عما دعاه لهذا القول...لم تشعر ليلي بأختها تراقبها في حين أن رويز لمح الوجه الصغير يسترق النظر.

أحاط رويز كتفي ليلي بذراعه، وكأنه يهم بالتوجه الى قاعة الجلوس، وأذا بصوت رفيع، تثقله خيبة الرجاء: الن تقبلها؟ هكذا كان بروس يفعل دائما!

ودت ليلي لو تصفع أختها، برغم حبها لها، ولكن صوتها نبهها على الاقل الى التصرف الذي أذهلها من رويز.. وراقبته وهي مبهورة بسهولة سيطرته على الموقف، قائلا هذا لا يجوز على مشهد منك. ولاح أن تيس رأت هذا الجواب معقولا، فقالت:

"اذن فسأنصرف."

أستدارت ليلي لتتأكد من أبتعاد الصغيرة عن مرمى البصر والسمع، ثم التفتت الى رويز وقالت:

"أرجو الا تلقي بالا الى تيس. أنها مفطورة على الجهر برأيها في أي وقت، وبما أنها تعرف أننا مخطوبان، فانها..."

وأمسكت حائرة، فأكمل عبارتها والتهكم في عينيه:

"تتوقع أن ترى مظهرا لذلك؟"

هزت ليلي رأسها، وهي تعجب من أمر تيس، فما كان من عادتها أن تتسلل لتستسرق النظر الى الناس، ومن ثم فلا بد أن في رأسها شيئا يتخمر، وما كانت تحب أن تفكر في كنهه. فكل شيء يحتمل حدوثه من تيس، لا سيما في عيد ميلادها، اذ تطلق لها الحرية أكثر مما تطلق في أي وقت آخر.

ما أن دخلا الحجرة، حتى توجهت عيون الجميع اليهما كانت تيس قد عادت الى الحجرة، حين خاب رجاؤها في مشاهدة موقف غرامي!

ابتسمت مرغريت اذ دخل رويز، قائلة:

"اذن فقد قررت أن تخوض المجازفة. أننا نقول دائما، أن من يخرج من حفلات تيس سالما، يكون قد تدرب على أن يخرج سالما من أي شيء، حتى القنابل الذرية".

فضحك رويز قائلا:

"اذن فهذه مقدرة ثمينة ينبغي للمرء اكتسابها".

وحيته جولي في رزانة أكثر مما كانت في العادة، ولكن روحها المتوثبة ما كانت لتسمح لها بأن تبقى طويلا مرتبكة أو مبهورة بأن أختها خطيبة صاحب ميريديث. فما لبثت بعد فترة أن أصبحت أكثر من أختها نفسها تبسطا معه. وظل توم ملصقا انفه بزجاج النافذة، يتأمل بأعجاب صامت السيارة العملاقة اللامعة، مكتفيا بالتفاتة وجيزة الى رويز عند دخوله.

أما تيس فكانت على النقيض، ولسبب كان يقلقها وتمنت ليلي صادقة أن تكتمه في نفسها، راحت تحملق في أختها ورويز باهتمام ملح، وتوقع، ورجت ليلي وهي التي تعرفها حق المعرفة ألا يكون أمر مستهجن يدور في رأسها!

وبعد برهة قدم رويز حزمة أجتذبت أنظار التوأمين.. حيث ضمت زوجين من الاحذية الحقيقية للهنود الحمر، كان قد أمر بصنعهما لهما اثناء رحلته! فتطلعت اليه ليلي خلسة وفي عينيها دهشة وتساؤل... أنه لم يحرص على العودة في الموعد المناسب فحسب، لكي لا يخيب رجاء ولد وبنت صغيرين، بل أنه تجشم عناء تدبير صنع الحذائين خصيصا لهما... متذكرا ولا ريب أغارتهما الهندية. هل تذكر كذلك هندية أخرى كانت معهما؟ تلك التي كانت على فرع من شجرة التفاح وهوت لتتلقفها ذراعاه؟

التفت فجأة، فرأى نظراتها.. ودلت اساريره على أنه تذكرها. اذ شاعت في وجهه أبتسامة مداعبة، لا تشبه في شيء الابتسامة المتهكمة التي رمقها بها في البهو، وقال:

"لعله كان جديرا بي أن آمر بصنع شيء لمدام جيرونيمو!"

وهتفت راجية، وهي تعجب كيف عرف الاسم الذي ابتكرته لها كيري في ذلك المشهد:

"لا... أرجوك، دعها تمت خزيا وخجلا".

فصاح وهو بعد محتفظ بالابتسامة الخالية من التهكم:

"لماذا؟ بل أوقن أنها جديرة بالتسجيل للاجيال المقبلة".

"كان الافضل أن تغوص في الشجرة وتغيب عن الابصار اذ ذاك".

قال بصوت خافت لم يسمعه سواها:

"يسرني أنها لم تفعل!"

كان الآخرون منصرفين الى الصغيرين وقد أرتديا الحذائين، وراحا يطوفان بالحجرة واردف قائلا:

"أنني اعجبت بما رأيت اذ ذاك".

قالت بصوت هامس:

"بهذه البشاعة المخضبة بالالوان؟"

قال برقة:

"الفتاة التي تحت الخضاب هي المهمة. أتعرفين ما كنت أظنه قبل ذلك؟"

فهزت رأسها، شبه مسحورة بينما أستطرد قائلا:

"كنت أظن سكرتيرتي من الكمال بدرجة لا تجعلها من البشر، كفاءة فوق ما ينبغي، خلو من الشوائب والنقائص. ثم قابلته فتاة مختلفة كل الاختلاف، فتاة مستعدة لأن تفسخ خطبتها لتسعد اختها، وتأبى وأن شقيت أن يشعر أحد أنها تمادت في التضحية لكي لا يشوب شيء هناءة اختها، بل أنها لتمارس العاب الاطفال مع أخيها وأختها الصغيرين".

وقفت ليلي لحظة مسحورة ونظراتها لا تفقه ما كان يدور حولها... ثم دوى رنين جرس الباب، فتحولت الى البهو في ارتياح، قائلة وهي تقعد أمها عن الذهاب للباب:

"لابد أن هذه كيري".

ووقفت في البهو ثانية، وكأنها تفيق من أغفاءة السحر ثم فتحت الباب، فاذا كيري تحييها بابتسامة عريضة، وهي تقول:

"اذن فصاحب السيادة هنا؟ كيف تسير الامور؟"

قالت في تردد، وهي تتذكر عباراته الغريبة الأخيرة:

"أنني لا أستطيع أن أفهمه تماما".

فعلقت كيري في أقتضاب:

"أهناك تقصير من ناحيته؟ كان يجب أن نتوقع هذا...

وأن كان قد أدى تمثيلا جيدا في المرة السابقة٠"
فهزت ليلي رأسها بابتسامة حائرة، وقالت:
"كلا ... لا شيء من هذا اطلاقا٠ الواقع أنه أحسن اداء منه في المرة الماضية!"
"أذن، فما المشكلة؟"
"لا أدري... لعل خيالي هو الذي يصور لي هذا٠"
ما كان بوسعها أن تقر حتى امام كيري بانها كانت تزداد شعورا به كرجل فاتن٠
"هل قالت تيس شيئا منكرا؟"
عندما دخلتا الغرفة وجدت كيري نظراتها تتجه الى الرجل، محاولة اكتشاف أي أختلاف طرأ عليه، كان جذابا دائما، ولكنه بدا في هذه المرة- مفعما بالحيوية، تشعر النساء بجاذبيته المتوارية، بدلا من عدم المبالاة والبرود اللذين كانا يسببان الانكماش عنه٠ كانت حيويته السمراء خطورة جلية، كما وصفتها لنفسها٠ لعل هذا كان الاختلاف الذي استشعرته ليلي ولم تستطع أن تفهمه٠ ولعلها كانت بعد لا تزال على حب بروس، ولكن رويز آلدوريت أصبح من ذلك الصنف من الرجال الذي يجتذب من المرأة نظرة ثانية، ثم يظل في أفكارها بعد ذلك٠

* * *

صح ما حذرت ليلي منه رويز٠ فان تيس ما لبثت ان قررت أنها تريد لعبة العقوبات٠ كان عقلها قد شغل بالهدية لفترة، ثم ارتد الى فكرة تمتلكها في وقت مبكر وتوقعت واليوم عيد ميلادها ان يباح لها توقيع ما تشاء من عقوبات، اذا أوقعت بهم٠ وحذرتهما أمها قائلة:
"في نطاق المعقول" وبهذا بدأت اللعبة٠
قالت تيس لرويز:
"سنبدأ بك، فما أحسبك لعبتها من قبل، لهذا فسأخبرك بما يجري٠ سأوجه اليك بعض الاسئلة، فاذا لم تستطع الاجابة عن أحدها، أو باغتتك وأنت تغش، فسأوقع عليك عقوبة٠"
هز رأسه وقال مبتسما:
"ولكن لا تكوني شديدة القسوة علي٠"
فقالت متفضلة:
"سنبدأ بسؤال سهل كم عمرك؟"
أجاب:

"أربعة وثلاثون عاما٠"
"أين ولدت؟"
"في كاراسترانو٠"
قالت ليلي لنفسها، لا ضير الى الآن... وأذا تيس تقول:
"هل خطبت من قبل؟"
كان كل امرىء يعرف أن ليلي خطبت من قبل، فلم تر تيس ما يدعو لأن يتحرج اذا كان هوالآخر قد خطب مرة٠ وجمد رويز لحظة، وتردد، ولكنه في النهاية قال متباطئا:
"نعم... خطبت مرة من قبل٠"
رمقته ليلي ولكن أساريره لم تفصح عن شيء٠ أذن، فقد كان في ماضيه شيء جعل ذلك الحاجز الصلب حوله٠ سألته تيس بغتة:
"كم عمر ليلي؟"
وبدا عليه الجهل فورا٠ وشرعت ليلي تشير له بأصبعها في تلهف، اذ كانت تعرف عقوبة تيس٠ ولكن الصغيرة أعترضت، وعادت تلتفت الى رويز مؤنبة وقالت:
"أذن فأنت لا تعرف عمر خطيبتك؟" أذن فأعلم أنه خمس وعشرون عاما٠"
وهزت رأسها بما أوحى الى ليلي بما عزز شكوكها٠ وقالت تيس تدعم رأيها:
"سأدخر العقاب الى ما بعد٠ الآن دورليلي٠"
وأنتبهت ليلي الى اجاباتها بحرص مدركة أنها أذا أستطاعت أن تتجاوز الحد الزمني لأسئلة تيس، فستكون في مأمن٠ كان الخطر الحقيقي في الافتقار لمعلومات تجيب بها، كما حدث لرويز بالنسبة لعمرها، وأخذت تيس تطلق أسئلتها بسرعة، لتربك اختها:
"كم قضيت في العمل بالمصنع؟"
وأجابت ليلي:
"ثلاث سنوات٠"
"أين كنت تعملين قبل ذلك؟"
ولما أجابت ليلي، عادت الصغيرة تسألها:
"وقبل ذلك؟"
"كنت في المدرسة٠"
كانت تيس تعرف كل هذا، ولكنها كانت تستدرج ليلي بمكر الى شعور زائف بالأمان٠ ثم سألتها:
"هل قبلك يوما أي شخص عدا بروس؟"

قالت ليلي بصدق تام:
"كلا. ما كان أحد ليلقي هذا السؤال سوى تيس وما كان ينبغي في الواقع ان ينطق به لسانها الشيطاني."
ولكن جوابها كان أسوأ، فقد كان غير صادق، في رأي بقية الموجودين، اذ لابد ان رويز قد قبلها بوصفه خطيبها...
وبادرت تعدل اجابتها:
"اقصد... نعم."
ورمقتها تيس متشفية وهي تدرك أنها الفائزة، وقالت:
"ليس المهم ما قصدت، أنما الاهمية لما قلت."
وتماسكت ليلي أنتظارا لما يعقب ذلك... وأخيرا قالت تيس بجدية:
"أظنك تعرفين أنني أؤلف كتابا."
وكانت الاسرة قد صادفت دليلا كافيا، ممثلا في أوراق متناثرة في كل مكان تحمل خطها العشوائي، الذي لم يجعل الامر مفاجأة تذكر، وأستأنفت أبنة السنوات العشر المذهلة:
"ولكني أعاني صعوبة أزاء مشاهد الحب... وكأنما ران على قلب ليلي ثقل من الرصاص هوى به في شدة. أنها ما كانت بحاجة للذكاء لتعرف ما سيتلو ذلك، وأكملت تيس حديثها، وهي تنظر لأختها ورويز في أمل:
"خطر لي أنكما قد لا تمانعان في عرض هذه المشاهد."

* * *

جلست ليلي جامدة، وعقلها يعمل، محاولا التفكير في مخرج. كان بوسعها أن ترفض، وقد أدركت لماذا تسللت تيس الى البهو، عند وصول رويز... أخيرا قالت بحزم:
"لن أفعل شيئا كهذا، اختاري أي عقاب آخر" فأجابت تيس في عناد:
"ولماذا؟ ان للعبة قواعد."
لم تقو ليلي على النظر الى رويز في تلك اللحظة، ولو كان في ذلك حياتها وواتاها الرد، فقالت متظاهرة بالمرح:
"لن يعطيك هذا فكرة صحيحة، فان وجود جمع..."
فأتمت لها تيس عبارتها وكأنها خبيرة:
"أتعنين انه يقيد حريتكما؟" صحيح... ما رأيك؟ أي أمرىء جدير بأن يظنك لم تقبليه من قبل."
قال رويز:

"أنها خجلى."
ورمقته ليلي بجانب عينيها، فألفته يبدو مأخوذا في أنبساط.. كان هو الذي اتهمها بأنها التي تجد أن التظاهر صعب الاداء، وها هوذا يكرر الاتهام في صمت، وسرها ان ستيلا وبروس لم يكونا حاضرين، والا لتساءلا في نفسيهما ستيلا على الاقل من حقيقة موقفهما، لا سيما وأنها قالت أن أحدا غير بروس لم يقبلها. وأرتاحت حيث سمعت أمها تعنف تيس بشدة.
ومع أن الأمسية أستمرت بعد ذلك بشكل مرض فان ليلي كانت تشعر بظل من القلق يكتنف أمها. فأدركت أن أمها كانت تسائل نفسها عما اذا كان ثمة داع لرفض أبنتها تقبيل الرجل الجالس الى جوارها. وتمنت ليلي أذ ذاك لو تركته يقبلها، ولكن هذا بدا مستحيلا اذ ذاك... ولقد علق رويز على ذلك فيما بعد كما توقعت وأن لم يبد أية حركة لمساعدتها في الخروج من المأزق في ذلك الوقت.
كانا يقفان في البهو حيث، تركهما الآخرون للحظات الوداع كالعادة. وفجأة، رأت ليلي حاجبيه الاسودين يرتفعان في أهتمام ساخر أصبح مألوفا وقال:
"انني أسأل مرة أخرى من منا يجد هذا التظاهر صعبا؟"
أحمر وجه ليلي وقالت محتجة:
"تقبيل أي شخص على مرأى من الناس صعب بطبيعته، فما بالك أذا كان شخصا.."
وتوقفت محرجة، فتولى اكمال العبارة عنها:
"لم يسبق لك تقبيله؟"
خرجت مرغريت ومعها كيري بعد خمس دقائق، فوجدتا ليلي تقف جامدة في البهو. وقالت الام ضاحكة:
"أفيقي يا حبيبتي... انك تبدين مذهولة!"
وأجفلت ليلي ثم تدافع الدم الى وجهها، والتفتت الى أمها. وظهرت جولي وكأنما اجتذبها ضحك أمها وقالت ليلي:
"ما سمعت خروجكن!"
فابتسمت مرغريت وقالت مداعبة:
"لا تنزعجي، فقد أتينا للتو، حين سمعنا سيارته تنطلق."
غمغمت ليلي بشيء غير واضح، وأسرعت تغادر المكان.

* * *

ظلت ليلي مستلقية على فراشها معظم الليل، تحاول أن تستبين كنه ما حدث. طيلة عمرها لم تشعر بكيانها

مهتزا بهذه الدرجة وكان اعجب ما في الامر ان رويز آلدوريت هو الذي فعل بها هذا ·

ولم يكن قلبها مرتاحا في الواقع الى أن تكون باقية على حب بروس، وتنبهر مسحورة برجل آخر، ولم يكن لديها أتفه فكرة عما كان يقوله لها، عندما افلتها في النهاية من ذراعيه· كانت هناك صورة باهتة له وهو ينظر اليها، بنظرات غريبة باحثة، ثم يغمغم بكلمات لم تذكرها، ويستدير فينصرف· ولم يعد الى ذهنها شيء من التماسك وأدراك الواقع، الا حين خرجت الأخريات الى البهو، وأن ظلت أعصابها تشدو وتغرد، حتى الآن، وبعد انقضاء ساعات·

وعندما تبينت أن عليها أن تواجه رويز وذكرى هذه الامسية بينهما، بدا لها الامر مروعا· ولكنها لم تكن بحاجة للقلق، اذ بدا حين رأته كأن شيئا لم يحدث· فقد أستدعاها الى مكتبه، وأملى عليها خطابات كما أعتاد أن يفعل طيلة ثلاث سنوات، غير أنها لم تدر أنه، بعد أنصرافها مسرورة بأنها أستطاعت الحفاظ على رصانتها ورزانتها المعهودين، جلس لحظات طويلة يحدق في الباب الذي خرجت منه، وقد ارتفع حاجباه الاسودان في تقطيب خفيف·

وكان من الطبيعي أن تلتقي بكيري، في وقت لاحق من ذلك اليوم· ومع أن صديقتها تأملتها بنظرة غريبة، فانها أعرضت عن ذكر شيء عن التعبير الذي حمله وجه ليلي في المساء السابق، وأن كانت لابد قد أدركت كما أدرك الاخرون معناه·

أما بالنسبة الى بروس، فقد سرها وأن أستنكرت ذلك في نفسها، أن ألم فقدانه أخذ يخبو بسرعة· وكان الاستنكار لأنها ما كانت تعتقد أنها تقبل على الحب بهذه البساطة والسرور··· كانت تظن في البداية انها ستعيش على حنين الى شيء لاسبيل لأن تحظى به، كما فعلت جانيس، غير أن القدر فيما يبدو قرر غير ذلك، وما كانت تملك سوى أن تحمد له ذلك ولو أنها شعرت بشيء من الاشمئزاز من نفسها، لأنها كانت موقنة من قبل بأن الحياة بدون بروس خواء·

وشرعت تسائل نفسها، عما جعل الامر يحدث هكذا فجأة، بيد أنها ويا للغرابة! لم توغل في هذا التفكير طويلا، اذ تراءى لها ان فيه شيئا من الخطورة، وأنها ما كانت راغبة في مواجهة هذا الخطر أيا يكون في الوقت الراهن!

٧ - ردة الفعل

لا حاجة الى شرح مدى غضب ستيلا، حين وصل اليها خطاب بروس في النهاية· ضاقت العينان الجميلتان، وعلت الشفتين الرقيقتين قسوة للحظة· وبدت شرسة، ضارية، مختلفة كل الاختلاف عن الحسناء الفاتنة التي عرفتها الدنيا··· وبدت مقاربة لما كان بعض الناس مثل كيري يرونه المخلوق الحقيقي الذي يتوارى تحت كل اللطف والسحر والحسن البدني المفرط·

وتمتمت في حنق:

"اللعنة على الاغبياء!"

كان بروس آخر رجل تود أن ترتبط به· وكان بوسعها أن تتخلص منه بسهولة، ولكن هذا كان سيكتشف حقيقتها، وهي الحريصة لغرورها على الاحتفاظ باللطف الظاهري الذي كان الكل يعرفونه عنها· لم يكن لديها شعور مميز نحو أسرتها تماما كما أستشفت كيري من قبل ولكن أعجابهم الشديد بها كان متعة لها وضرورة، ولكن ما الذي دعا ليلي لأن تختار هذه اللحظة المعينة بالذات لتفسخ خطبتها؟ كانت هذه أبعد اللحظات عن أن تناسب أختها· فكان على ستيلا الآن أن تهتدي الى مخرج لا يضر ولا يبدد شيئا من الاعجاب الطاغي الذي كان ضرورة ماسة لغرورها·

لم يعد ثمة مجال لرفض الزواج ببروس، بحجة أنها لا تستطيع أيذاء مشاعر أختها، وهي الحجة التي صدته بها من قبل، لأن ليلي لم تكن تحب بروس، أو تراها -كانت تحبه، وساورها ريب ما··· أم الخبيثة كيري أخبرتها بشيء؟ ذلك أن ستيلا لم تكن تجهل ن كيري كانت تكرهها؟ وهكذا أخذت كلما امعنت التفكير تزداد اقتناعا بأن هذا كان تفسيرا ما حدث وأن من الغباء ان تضحي بذاتها، ولكن اذا كان الامر كذلك، فمن أين دخل ذلك الرجل المدعو رويز آلدوريت؟ كان من المفترض ان ليلي عانت من حب لا يلقى أستجابة أو جزاء، طيلة عملها لحسابه، ولكن الامعان في التفكير كان يبين لستيلا أن الارجح ان ليلي أكتشفت بطريقة ما أمرها

مع بروس، وكانت تقوم بتضحية ذاتية لتهون الأمر على أختها، وأن الارجح أن آلدوريت هو الذي كان يخفي حبا ميؤوسا منه فلما سمع بفسخ خطبة ليلي، أسرع باقتناصها··· وبغض النظر عن هذا، كان يبدو ان ليلي قد احسنت الى نفسها، اذ كان الشائع ان الرجل كان واسع الثراء·

واستقر رأى ستيلا على أن الشيء الوحيد الذي ينبغي أن تفعله، هو أن تزور أسرتها، وأن تحاول أستخلاص ما حدث فعلا، وأن تصلح أذا أستطاعت ما بين بروس وأختها وأن تباعد في سياق ذلك بينها وبين آلدوريت، ولم تنقص ساعات، حتى كانت سيارتها الزرقاء تقف أمام البيت العتيق الذي ترعرعت فيه·

* * *

كانت مرغريت هي التي فتحت الباب، فبدت مشدوهة أذ رأت أبنتها الشهيرة، ولكن وجهها أشرق بابتسامة مغتبطة بمجرد المفاجأة، وقالت:

"هذه مفاجأة بديعة يا حبيبتي!"

تخلصت ستيلا من عناق أمها، ودخلت معها حجرة الجلوس الصغيرة ،مصطنعة تظاهرا جميلا بالقلق والانزعاج··· فسألتها مرغريت:

"هل هناك ما يسوؤك؟"

فالتفتت اليها ستيلا بحركة تمثيلية وقالت:

"موضوع بروس طبعا·"

فابتسمت مارغريت قائلة:

"أهذا ما يزعجك؟"

ثم ضحكت بارتياح، قائلة:

"لا تشغلي بالك بهذا البتة· أن ليلي سعيدة كل السعادة مع خطيبها رويز آلدوريت·"

"ليتني أستطيع أن أتأكد من هذا! لست أحب لها أن تتزوج من شخص فظيع من أبناء اميركا الجنوبية لا تطيق أن تراه، وذلك بسببي···"

عادت مرغريت تضحك، وقالت: ما كنت لتقولين هذا لو رايته واني على يقين بأن يجعل قلبك الذي حنكته التجارب يخفق، ولو كان مستغرقا في حب بروس!"

وكانت كيري جديرة بأن تطمئنها الى أن الشخص

الوحيد الذي كان قلب ستيلا مستغرقا في حبه هو·· ستيلا ديرموت نفسها!

قالت ستيلا في أرتياح ظاهري، وهي تتحرق غيظا في داخلها:

"أذن فكل شيء على ما يرام؟"

وبدا كان خطتها الاصلية على وشك الاخفاق··· خطة ابلاغ بروس أن ليلي مازالت تحبه، وما ارتبطت بذلك الرجل آلدوريت الا لتيسر لهما أمرهما· كان هذا جديرا بأن يجعلها تقوم بتمثيل دور جميل للتضحية بأن ترفض السعادة على حساب أختها فترد بروس الى ليلي·

لكن مرغريت طمأنتها بقولها:

"كل شيء على مايرام طبعا" ثم التفتت اذ سمعت صوتا عند الباب الأمامي، وأردفت:

"يحتمل أن ليلي عادت من عملها· لك أن تكلميها بنفسك لتطمئني تماما·"

وسمعتا الباب يغلق، ثم أنبعثت في البهو خطوات سريعة، وأقبلت ليلي الى الحجرة مبتسمة، وهي تقول:

"خطر لي أنني عرفت هذه السيارة الرائعة·"

فقالت أمها دون مقدمات:

"ستيلا جزعة من جراء موضوع بروس، وقلت لها أن تكلمك كي تطمئنيها تماما ونهائيا· أن المسكينة تقلق نفسها عليك بسبب مشكلة لا وجود لها!"

رمقت ليلي أختها وعلى شفتيها ابتسامة واهنة، بينما أبتسمت ستيلا أبتسامة خفيفة· وبدت كأنها تعيش فترة ألم ذهني ملتاع، وأن معرفة أنها ربما جنت على مستقبل أختها كانت تثقل قلبها بأكثر مما تحتمل· وقالت:

"هذا صحيح أنني صراحة لا أصدق أنك كنت تتظاهرين بحب بروس، وأنت طيلة الوقت تهيمين بشخص غيره!"

ضحكت مرغريت وقالت:

"كنت تصدقينها، لو أنك رأيتها منذ ليال!"

فهتفت ليلي برفق محتجة··· وقالت مرغريت تذكرها:

"ولكنك يا حبيبتي وقفت في البهو خمس دقائق كاملة، بعد أنطلاق سيارة السيد آلدوريت··· وما رأيت شخصا في مثل غيبوبة السعادة المطلقة التي كنت فيها!"

كانت مرغريت مغتبطة لهذا· فقد أعتادت أن ترى ليلي رصينة الى درجة غير طبيعية تقريبا، في سلوكها نحو

بروس، وسرها أن تتبين أن أبنتها لم تكن دائما رصينة.

دهشت ليلي لردة فعل نفسها، فقد تضرج وجهها بشدة ولكنها لم تنكر. فاذا كان لابد من خلق قصة خيالية كاذبة، فعليها ان تمضي في تغذيتها، واذا أمكن لهذه القصة أن تضائل من شعور ستيلا بأنها جانية فان رابطة الأخوة تظل باقية وهي رابطة لا يملك المرء ان يتجاهلها.

صعدت ليلي الى حجرتها، وأخذت تتأمل نفسها في المرآة طويلا، وهي مستغرقة في التفكير... أكانت حقا في غيبوبة انتشاء واضحة، في ذلك المساء بعد أنصراف رويز آلدوريت، حتى أن أمها خدعت تماما؟ وهل كان ذلك مجرد خداع؟ أم كان في الأمر ما هو اكثر... واكثر بكثير؟

وتحولت بشيء من العجلة عن مرآتها، غير راغبة في أن تشاهد التعبير الذي انعكس في عينيها العميقتي الزرقة، بل غير راغبة في أن تصدق ان هذا التعبير موجود في عينيها... فلئن كانت سريعة التحول، الى درجة انها استطاعت نسيان بروس في هذه الفترة القصيرة من الزمن، فهي ليست ليلي ديرموت التي كانت تعرفها وأنما كانت فتاة مختلفة كل الاختلاف، وجديدة، ومثيرة لدهشتها اذ كانت كما رأت أمها مدلهة في الحب لأول مرة في حياتها!

٨ - شهر العسل

أستيقظت ليلي صباح اليوم المحدد للزواج على صوت الرعد... صحيح أنه لا شاعرية في هذا القران، ولكنها كانت تتمنى على الأقل ان تكون الشمس مشرقة في مثل هذه المناسبة، ولكن حتى الطقس كان يذكرها بعدم صحة زواجها... وما ان أنقضت ساعة على يقظتها حتى بدأ الطقس يتحسن وخف الرعد وتباعدت الغيوم واشرقت الشمس. وأضطرت ليلي أن تعترف لنفسها بانها لم تكن تشعر بخسارة فادحة لفقدان بروس الا ان رويز آلدوريت كان يشغل بالها أكثر مما ينبغي في الفترة الاخيرة. ولكنها حاولت الا تقر بشعورها السعيد والا تستنتج معنى هذه السعادة فتفكر باستمرار في زواجها المقبل وهي بعد على أهبة الاستعداد للذهاب الى مكتب التسجيل لتوقيع عقد الزواج.

أندفعت جولي الى الغرفة طالبة من ليلي أن تتناول فطورها في الفراش. وبدأت الامور بعدئذ تتلاحق وتتسارع وكأنما لم تستغرق وقتا يذكر حتى وجدت نفسها تغادر الفراش وتأخذ حماما دافئا معطرا ثم تضع اللمسات الاخيرة لزينتها، وتتأهب للذهاب الى مكتب التسجيل.

وقبل موعد الخروج وصلت ستيلا في موجة من العطر وسحابة من الفراء، فقبلت أختها بحب، متمنية لها الحظ كله. وكان وجهها ينم عن أن لديها أمرا آخر أو أثنين تود أضافتهما، أولا أن أباهما كان في البهو ينتظر، بفارغ الصبر وعصبية، فلم تشأ ليلي أن تطيل أنتظاره... فضلا عن أنها ما كانت لتجازف بترك رويز في الانتظار بمكتب التسجيل.

وقد كان رويز هناك بالفعل، عندما وصلوا وليس في مظهره ما ينم عن امتلائه بأية عواطف معينة. ونظر الى العروس بطريقة مبهمة، جعلتها تتساءل عما كان رأيه في أرتدائها الثوب الابيض لمناسبة لم تكن برغم كل شيء سوى صفقة عمل، غير أنها لم تشأ أن تصدم أهلها بأن تتزوج وهي مرتدية أي شيء سوى اللون الابيض التقليدي. وكان رويز في الواقع كالعهد به دائما... طويلا، أسمر، جذابا بدرجة مذهلة،

جعلت ليلي تعجب في داخلها لأنها لم تقدر من قبل كيف كان مليحا بهذا الشكل.

أكان من الممكن أن تصدق قبل شهر، ولنقل يوم سفهت أي اهتمام شاعري لجولي، بأنها ستقف يوما الى جواره، وتنطق بكلمات تربطها به بأوثق رباط بين رجل وامرأة؟ ما كانت لتصدق هذا، لأنه كان آخر ما يمكن ان تتوقع حدوثه لها. كانت في ذلك اليوم خطيبة لبروس، وها هي ذي اليوم تتزوج من رويز آلدوريت!

ورددت في نفسها الاسم الذي لم يبد شديد الغرابة: ليلي آلدوريت، ثم سمعت المسجل يقول مبتسما ان للشباب أن يقبل الآن عروسه. وبدون تردد، أحاطها رويز بذراعه، ورفع رأسها بيده الأخرى، وأحنى رأسه ليلصق فما جامدا بفمها في قبلة العرس التقليدية. والتقت عيناها بعينيه السوداوين فأحست بالدماء الحارة تندفع لوجنتيها. أتراه أدرك شيئا مما كان يدور بخلدها ويساورها؟ وفي الوقت ذاته، كانت ستيلا تسائل نفسها: ليلي... دون كل الناس تتزوج رجلا كهذا! رجلا طويلا، رشيق وصلب البنيان، وفم بادي القسوة يوحي بالعاطفة المشبوبة، وشعر أسود لامع يشوبه ظل من زرقة جميلة، وقد أوتي مغناطيسية كفيلة بأن تجعل أية امرأة تشعر للتوه بوجوده.. ثم العينان السوداوان اللتان أطلتا وفي اعماقهما ابتسامة على زوجته.

زوجته! أحقا تزوجت ليلي رجلا هذا شكله، أوتي ثروة ومركزا وشبابا وجاذبية مغنطيسية. وبقدر الدهشة شعرت ستيلا ب... الحسد! ولكنها أخفت كل ذلك، وابتسمت لرويز في مرح قائلة:

"آمل أن تعني بأختي يا سنيور آلدوريت".

وتعمدت أن تناديه باللقب الاسباني، وشفتاها تختلجان، فأطل عليها رويز بنظرة مبهمة، قائلا:

"سأحاول ذلك، وسأحاول أن أسعدها كذلك."

قالت ليلي مبتسمة:

"مجرد وجودي معك سيسعدني..."

كانت تبغي التمويه على ستيلا، ولكن الى أي مدى كانت جادة؟ ومرة أخرى، وسوس لها الشعور الغريزي الخطير أن في هذا القول من الحقيقة الشيء الكثير. وهتفت ستيلا بمرح:

"يا للسماء! انكما ترهفان عواطفي، حتى لأظنني سأبكي بعد لحظة!"

ولكنها كانت أبعد ما تكون في مظهرها عن البكاء، وقررت كيري التي كانت تراقبها منذ وصولها انها اذا ذرفت دمعة فلن تذرفها لأجل ليلي، وانما على الارجح حسدا لها! فما غفلت عن ان عيني الممثلة الحسناء ضاقتا عند تقديمها الى رويز ولم يفتها أتفه تغيير في أسارير وجهها.

فكرت كيري مكتئبة:

"أهكذا وضعت ستيلا عينيها على هذا الرجل أيضا؟"

الم تقنع بأنها انتزعت من أختها رجلا، فها هي ذي تشهر مخالبها الجشعة استعدادا لغزوة ثانية؟ ورويز؟"

ونظرت كيري اليه، ولكن تأثره بستيلا كان مستحيلا، فقد كان قادرا على أن يبدو غامضا أو مبهما حين يشاء. لعله بهر بها كأي رجل آخر... واذا كان هذا الزواج عملية تجارية محضة، فبأي حق جعل ليلي تبدو مسحورة في تلك الليلة، لأنه ضمها في البهو... لعلها كانت بالنسبة له اكثر من مجرد نزوة عابرة.

يا للحب والرجال! عنصران أولهما أذى وثانيهما لا ينبغي الركون اليه. ويحسن بأية فتاة عاقلة الابتعاد عنهما... أفكار كانت تدهش اولئك الذين عرفوا كيري كيريغان، أنها قد تضحك وتمزح بل وتشترك في بعض المغازلات الخفيفة، بيد أنها ما اعتزمت يوما ان تشغل نفسها جديا بالرجال. ولا بد أن لديها سببا لذلك، ولكن ما أقل الذين كانوا يعرفونه. الرجال! أنهم أكثر أيذاء مما يبدون! فهم يقلبون حياة أي أنثى بسهولة ولا يحفلون. فها هوذا بروس قد فتن وسحر وبدأ يتطلع الى ستيلا منصاعا، ثم ها هوذا رويز آلدوريت يشعر ليلي بالعاطفة لجمال ستيلا كأي شخص آخر... يا لعمى الرجال! لا يرون أبعد من الشعر الاسود اللامع، والعينين الخضراوين المنحرفتين قليلا... لا يرون ما وراء ذلك من فساد؟!

* * *

بعد عقد القران أقيم حفل استقبال صغير... وحانت لحظة الوداع، ومرغريت تبذل قصارى وسعها لتكبح دموعها فقالت ليلي مهونة عليها:

"أنني ذاهبة الى المكسيك فحسب، وليس الى القمر..."

وما كانت تعتزم الغياب طويلا، وأن لم تدر أمها أنها

كانت ترتقب العودة عما قريب· وقالت الام بابتسامة دامعة:
"آمل أن تكوني سعيدة يا حبيبتي··· أعتقد أن رويز أهل لأن تعتمدي عليه·"

أجابت ليلي موافقة:
"هذا يقيني انا الاخرى···"

ولأول مرة داخلها شعور خفيف عجيب، من الاستياء لأن هذا الزواج لم يكن حقيقيا، فهو قادر على أن يسعد امرأة، وهي جديرة بأن تعتمد عليه، ومهما يكن، فمع انقضاء الوقت بدأت تشعر بجزع، فلن تلبث ان ترحل بصحبة زوج يكاد يكون غير معروف لها·

كيف يكون الرحيل في شهر العسل حقيقياً معه، وللمرة الثانية وجدت نفسها تتمنى لو أن زواجها كان حقيقيا، ولكنها ظلت تأبى أن تنظر لما وراء هذه الرغبة التي لا تفسير لها، وأن تكتشف الداعي لأمنيتها بأن يكون الزواج حقيقيا··· لعلها كانت تعرف في عقلها غير الواعي ولكنها لم تشأ مواجهة السبب·

وخلال الرحلة في القطار الذي أقلهما للباخرة، وجدت نفسها تتأمل خلسة·· زوجها!

كلمة كانت ذات وقع غريب، وأن أعترفت بينها وبين نفسها بأنه كان وقعا مستحبا يرتبط برجل جذاب جدا· من كان يظن قبل شهر واحد ان الرجل البارد المشاعر المثير للنفور في المكتب كان قادرا على أن يتحول الى شخص قادر على ان يبعث قشعريرة انفعال سار في كيانها··· الرجل الذي كان يتذبذب على فمه الصارم في تلك اللحظة شبح ابتسامة ضئيلة وكأنه كان يعرف أنها تنظر اليه، دون أن يعتزم أشعارها··· وغاصت في المعطف الفرائي الثمين، الذي كان هدية الزواج شاعرة بأنها اكثر سعادة مما كانت الظروف توحي·

وأبتسمت لنفسها··· كاد هذا المعطف أن يسبب أول شقاق بينهما· فهو ثمين، وقد أعترضت على أن يبتاعه هدية لزواج مؤقت، ولكنه أصر في تشدد على أن تقبله قال ان الزواج في ظاهرة زواج عادي، ولهذا كان لزاما ان يقدم هدية زواج، كما كان يناسبه ان يبدو كأي زواج آخر· وانصاعت ليلي ازاء أصراره العنيد واستيائه البارد، وفوجئت باكتشاف انه لم يكن يحب الخلاف· ومنذ تلك اللحظة طرأ على علاقتهما تغير آخر· لم تعد ليلي ترى الوميض المتهكم في عينيه

السوداوين، وأصبحت ضحكة ود وصداقة··· لعل امرأة ما جعلته يشعر بأن الهدايا الثمينة منشودة، تستقبلها دائما بأصابع جشعة·· لذا فاعراضها عن تقبل هدية ثمينة حطم الحاجز القديم الخفي الذي كان يرسم التهكم والازدراء على فمه الفاتن·

وأذ صعدا الى الباخرة التي كانت تهم بنقلهما الى أميركا، تلفتت حولها مشدوهة··· كانت "السديم الازرق" سفينة أصحاب الملايين، ووقفت ليلي مذهولة لمظاهر الترف البالغ حولها، وأقرت لنفسها دون طمع بأن وفرة المال متعة سارة، وأنها جديرة بأن تهنأ ببضعة أشهر تقضيها في الرفاهية· وفي تلك اللحظة بالذات، خطرت لها فكرة·· لقد قالت لجولي مرة أنها ما كانت لتؤثر أجمل مليونير في الدنيا على بروس، ومع ذلك فها هي ذي زوجة لرجل أكثر من مليح، وكان واسع الثراء وأن لم يكن مليونيراً· وبالرغم من هذا فان امواله ما كانت ذات قيمة تذكر··· كان بوسعها أن تعترف لنفسها أخيرا بأن الرجل نفسه هو الاثير باهتمام منها، يفوق اهتمامها بأي شخص آخر·

* * *

وعندما بلغا الجناح المحجوز لهما، وقفت مبهوتة ازاء فخامته، فما خطر لها ان لمثل هذه الاشياء وجودا الا في الافلام··· كان هناك حجرة جلوس خاصة بهما، ولها بابان··· فلما فتحت احدهما كادت تسمع دقات قلبها فجأة، اذ رأت سريرين منفصلين··· وسرت في كيانها هزة غريبة، اذ شعرت بيد رويز على ذراعها، تديرها لتواجهه وقال:
"في الجانب الآخر لحجرة الجلوس حجرة أخرى سأستعملها، لقد تعمدت أن اطلب جناحا واسعا·"

ولم تسعفها قريحتها، ولو بكلمات تبعد عن باله فكرة انها فكرت لحظة في أن يتشاطرا مخدعا واحدا·

وقال فجأة:
"كان جديرا بي أن أعتذر لأنني ضممتك على ذلك النحو ليلة كنت في داركم··· أهذا هو ما يقلق بالك؟ لا داعي للقلق فلن يحصل شيء من هذا·"

وسادت فترة من صمت وجيز· ثم وجدت نفسها تسأله دون تعمد:
"أكانت تلك ردا على ما قلت في مطعم ريكي؟ فأجاب:

"الى حد ما. فما من رجل يتقبل تلك العبارات كاطراء ومجاملة، و...."
واومضت في عينيه ابتسامة واهنة، وهو يردف:
"انها كانت بعيدة جدا عن الحقيقة، فانا كأي رجل آخر، ثم انني نصف اسباني."
وساءلت نفسها:
"أكان هذا تحذيرا خفيا؟ بينما مضى يقول:
"ولعلك لم تضيقي بذلك كثيرا؟"
وشعرت بوجهها يتضرج، فتمنت لو قاومت هذا الشعور... لكنها تلميذة غريرة، أين ذهبت كل رصانتها وسيطرتها على نفسها؟ انه لم يجعلها تشعر بشعور كهذا، وهما يعملان معا.. ولكن مسافة طويلة كانت تفصل بينهما في العمل. ما تعرضت يوما لموقف كهذا في العمل بل أنها ما تصورت أبدا خلال سنوات العمل أنه كان ينطوي في أعماقه على هذا الرجل الغريب الاطوار... كانت العبارات التي قالتها في المطعم غير حقيقية، كما ذكر منذ لحظات.
وعاد ليسألها:
"هل ضقت بذلك؟"
ورمقته بنظرة مباشرة، وسريعة، ثم غضت بصرها، قائلة:
"كلا...."
لو أنها أجابت بغير ذلك، لكان جوابها بمثابة صفقة، ثم ان سؤاله كشف عن أنه كان يدرك انها كاذبة، لو أجابت بالنقيض. وقال بهدوء:
"اشكرك... يسرني انك حاملتني بأن كنت صادقة. فتطلعت اليه متسائلة:
"أكنت تدرك انني أكذب، لو لم أفعل؟"
هز رأسه مؤكدا. وتبينت انها ما كانت تحفل بعدد مرات خرقه تأكيداته.. وتساءلت في نفسها:
"يا للسماء! ما بالي؟ ما الذي دهاني؟"
كان ثمة شعور غريب يسيطر عليها ومع ذلك، فانه لم يكن شيئا يبعث على الخوف! بل أنها بدأت تستشعر نوعا من خيبة الرجاء، لأن هذا الزواج لم يكن مقدرا له أن يدوم!

* * *

بينما عنيت المضيفة باخراج ملابس رويز وطرحها

على السرير، ذهب رويز الى امين خزانة السفينة، فقررت ليلي أن تصعد الى السطح، وبعد قليل، لحق بها رويز.
قال بصوت خافت:
"آن للباخرة أن تبحر" وشردت نظراته بعيدا، وكأنما كانت افكاره تسابق السفينة، وكأنه نسي الفتاة التي كانت بجانبه. ولكنه في الوقت الذي خطر لها فيه هذا - اقترب قليلا، وابتسم لها، وامتدت ذراعه فأحاطت كتفيها. وبدون ارادة منها، مال رأسها الى الخلف مستندا الى كتفه، فاشتدت ذراعه حولها، بينما أخذا يشاهدان المسافة تتسع بين رصيف الميناء والسفينة، وكأنها هوة تفصل بين الحياة القديمة والحياة الجديدة.
وحاولت ليلي ألا تفكر في أن الحياة الجديدة كانت لفترة محدودة، أنها ستضطر ذات يوم الى أن تعبر الهوة لتعود الى الحياة القديمة.

* * *

تلفتت ليلي باعجاب، وهما يدخلان قاعة الطعام الواسعة، في ذلك المساء، وداخلها استمتاع ساذج بهذا النوع من الرفاهية الذي لم تعرفه من قبل. وشغلا مائدة صغيرة لاثنين، حتى اذا فرغا من العشاء، ذهبا الى قاعة الرقص. وبالرغم من أن السفينة كانت في أول أيام الرحلة، فقد بدا ثمة جو من المرح والاحتفال، ولعل ذلك كان لقصر الرحلة، نسبيا، ورغبة المسافرين بغية الترويح في الاستمتاع بأقصى لهو في عطلتهم.
واشتركا مع الراقصين، فتبينا أن خطواتهما كانت متناسقة. وراحا طيلة السهرة يضحكان ويتكلمات دون ما حرج، وبالرغم من أنهما لم يتزوجا الا في صباح اليوم ذاته.
وفي وقت لاحق من ذلك المساء، استلقت ليلي في غرفتها الفخمة، تنظر الى السرير الخالي، وهي تفكر... كانت تلك ليلة زفاف غريبة. فمنذ أشهر قلائل، كانت تتصور أنها ستقضيها مع بروس، ولكن لو كان بروس هو الزوج لما حظيت بجناح فاخر على السفينة، ولما شعرت كذلك بوحدة. اترى كان رويز هو الآخر، مستلقيا يتأمل السقف في غرفته، ويشعر بالوحدة، أو لعله كان يفكر في الفتاة التي أحبها يوما، من قبل.
وأثار هذا فكرة جديدة لديها: ترى كيف كان شكلها،

تلك الفتاة التي خطبها من قبل، وماذا فعلت لتسبب له هذا الجمود العميق الذي خالته يوما جزءاً جوهريا منه؟ لقد أدركت الان انه لم يكن من طبيعته، ولكن الصدمة التي أدت اليه كانت ولا بد حادة، أليمة أحدثت في اعماقه جرحا غائرا، وخلفت مرارة وعدم طمأنينة الى كل النساء. وداخل ليلي شعور من الارتياح الى عدم الثقة بدأ يتبدد، ولكنها تمنت ان تفعل شيئا أكثر من القليل الذي فعلته حتى الآن للتسرية عنه.

ومع خيوط الفجر غشيها النعاس. ولكن من أجمل ما في السفر في باخرة أن المرء لم يكن مضطرا لأن يستيقظ مبكرا لتناول الفطور.

ووجدت رويز في حجرة الجلوس وقال مبتسما:

"لقد امرت باحضار الفطور هنا."

فجلست في مقعد مريح وهي تقول:

"ما أجمل هذا! لكن أشعر بالكسل!"

فعاد يبتسم قائلا:

"أكنت تفعلين هذا لو انك في أنكلترا؟"

قالت:

"اتعني قبل أن يجري كل هذا؟"

اوماً برأسه، فنظرت الى ساعتها، وأرسلت ضحكة خفيفة، قائلة:

"كنت في مثل هذه الساعة أدق مفاتيح الآلة الكاتبة، وأنتظر شاي الصباح، أو ارتقب جرسا ملحاحا من سيد صعب عليه العثور على شيء يريده." وارتفع احد حاجبيه الاسودين، وتساءل:

"هل كنت ترينني رئيسا متعبا جدا؟"

فابتسمت قائلة في مداعبة:

"في بعض المناسبات."

"وهل كنت في تلك المناسبات تشعرين باغراء لأن تخبريني بما كنت تظنينه في؟"

قالت بصراحة:

"كلا. كنت اكتفي بتجاهل حالات غضبك الصغيرة."

وضحك ازاء ما بدا على وجهه، وهو يقول:

"يا لك من جريئة صغيرة!"

ما من أحد وصفها بهذا من قبل.

فلم تتمالك أن ضحكت، اذ اعتادت أن ترى نفسها طويلة ليست صغيرة قط، ولا من الصنف الخبيث الذي يوصف عادة بهذا الوصف.

نظر اليها في فضول، وقال ببطء:

"لا أفهم كيف لم اتبين حقيقة شخصيتك من قبل. انك كنت تبدين..."

فتساءلت كقطعة من أثاث المكتب: "قال شيء من هذا القبيل فيما أحسب."

"أليس هذا ما كنت تبغي؟ كنت أنظر لعملي بجدية، مصممة على أن اكون فتاة عاملة، الى أن التقيت ببروس."

لم يخالط صوتها اقل اختلاج، بينما واصلت حديثها:

"كنت عازمة على أن اكون ناجحة، فانتهجت السلوك الذي رأيت أنك تريده. ولو كنت راغبا في قطعة اثاث اخرى بالمكتب، لكان بوسعك الظفر بها."

قال بصوت أجش:

"لابد أن هذا اقتضى منك سيطرة على النفس عظيمة. فبعد السكرتيرة العجوز، أخذت أغير سكرتيراتي باستمرار، قبل أن احظى بك."

فأومأت برأسها وعيناها تتوثبان بالضحك، وقالت:

"كان عملا ممتعا، من ناحية من نواحي الاعتبار... فضاقت عيناه السوداوان، وهو يتفرس فيها قائلا:

"لعله كان من الخير أنني لم أعرف حقيقتك تحت مظهرك الرخامي."

"لماذا؟ أكان هذا يغير من الامر شيئا؟"

هز رأسه في شيء من الحيرة وقال:

"لا أظن. لولا تلك الوصية ما عرفتك ابدا على حقيقتك!"

وسألته في فضول:

"ما الذي جعل جدك يضع وصية كهذه؟"

والتقت نظراته بنظرة جادة منه، وأجاب سؤالها بسؤال:

"أليس الامر واضحا؟"

وتضرج وجه ليلي حيث أدكرت ما كان قد خطر لها عن سبب الوصية، بينما واصل هو الحديث:

"كان يريد وريثا لكاراسترانو..." وكأنما نسي وجودها لحظة وراح يتأمل يديه النحيلتين القويتين، وقد انعقدتا على ركبتيه، ثم قال في لهجة تكاد تكون غاضبة.

"انني لا أحب أن يملي احد تصرفاتي علي... وكانت لجدي السلطة التي جعلته يفعل ذلك يوما، فلم اشأ أن اسمح بأن يحدث هذا مرة أخرى."

وبدا عابسا كما تعودته في المكتب... وهمت

بالكلام، ولكنه قطعه عليها، دون أن يفطن تقريبا، اذ مضى يقول:

"حاولت من البداية أن أموه الشروط التي فرضها... فتزوجت، فلا سبيل الآن الى أية عقبة تعترض أن أرث كاراسترانو."

قالت في هدوء:

"أليس هذا... غشا... الى حد ما؟"

فهتف: "غش؟"

هزت رأسها قائلة:

"نعم. فأنت في الواقع سترث تحت ادعاء زائف."

ولم تدر كيف تسنى لها أن تجد الجرأة لتقول هذا. ونظر اليها وعادت لعينيه السخرية المتهكمة التي كثيرا ما صادفتها في الايام الاولى لاتفاقهما العجيب وتساءل:

"اتقترحين أن يجري تنفيذ الشرط بحذافيره حتى النهاية؟"

شعرت ليلي بأن وجهها يحمر ثانية، وقالت بلهجة، وأن تمنت لو استطاعت السيطرة على بوادر الحرج الاخرى:

"لست اقترح شيئا... كان من العسير بعد أن بدأت هذا الدرب ان تتحول عنه، واستأنفت قائلة:

"لعلك كنت تقدم على زواج عادي، لو لم تسمح بأن يستفزك هذا الشرط من جدك."

"ولكن، لعلي لم آشأ الرضوخ له تماما."

"اذن فهل تعتزم بعد انفصام زواجنا أن تعيش هناك بقية عمرك، ثم تدع كاراسترانو يؤول بعد موتك لأغراب... اذا لم يكن هناك اعضاء آخرون بالاسرة لهم حق الوراثة؟"

قال متعجلا:

"ليس هناك أحد سواي."

كان مقطب الجبين وكان فكرة استيلاء أغراب على كاراسترانو لم تكن مستحبة. وقال بعد لحظة:

"احسب انه ما كان ينبغي أن أفرط في لومه. فالعادة في المكسيك أن يدير الاهل الزيجات... لا بد انني عشت في أنكلترا مدة طويلة انستني ذلك."

وأمضت عيناه بابتسامة ضئيلة جدا، وأردف:

"ما الذي تقترحين اذن أن افعل؟"

تحاشت ليلي نظرته وقالت:

"لست املك ان أقول لك ما تفعل... فهذا امر لك ان تقرره وحدك، ولكني أحسب أن جدك كان يحب كاراسترانو

ولا بد قدر حبك اياه، والا ما وضع هذا الشرط أملا منه في أن يكفل الا يؤول الميراث لأغراب."

كان الحديث أعجب حديث، فأسرعت تضيف لكيلا يسيء فهم قولها:

"أحسب أنه سيكون من السهل، بعد انفصام زواجنا، أن تدبر على وجه افضل، ذلك النوع من الزواج الذي كان جدك يفكر فيه، ولكنه في هذه المرة سيكون زواجا باختيارك الشخصي الحر، لن تكون مستهدفا بالزواج ان تكفل ميراثا."

"تعنين بتعبير آخر، أن اختار بنفسي وأن يصدر الاختيار عن ارادة حرة، وليس عن رضوخ له؟"

"نعم."

ضحك في استهجان، وقال:

"فتاة اسبانية مطيعة، تتزوجني بأمر من أسرتها، هل هذا ما تقترحين أن أفعل؟"

عادت ترفض بعناد ان تدلي بجواب محدد، مؤثرة أن تعلق على الموقف بوجه عام: انني لا أملك أن أقترح شيئا. لقد كانت لي أسباب شخصية لهذا الزواج... و... فأكمل عنها العبارة:

"ولا رغبة لديك في أن تستمري فيه."

نهض، وأخذ يتأملها لحظة وعلى وجهه تعبير غامض، ثم خرج متمتما بأن سكائيره نفذت، وأنه سيذهب لشراء غيرها.

وقفت ليلي هي بعد انصرافه وقد فطنت أخيرا الى أن يديها كانتا تتماسكان بشدة بدرجة آلمتها، ولكنها لم تلاحظ الالم قبل ذلك... ولعل السبب كان ألما من نوع آخر، خالجها وهو يتكلم عن زواج ينشأ عن رغبته ورضاه، بعد حل زواجهما!

٩ - البيت الابيض

من فيراكروز حيث رست الباخرة استقلا الطائرة الى مكسيكو ستي، ونزلا في فندق صغير ولكنه كان راقيا، تسوده الاناقة والترف غير الصارخ. كان المبنى حديثا، يربط مكسيكو ستي بالحاضر. ومع ذلك فكانت تشعر ليلي بشيء ما يربطها بالماضي عندما كانت تتمشى في الطرقات، الصباح التالي مع رويز.

وقفا بجوار الكاتدرائية، يتطلعان عبر الزوكالا، التي كانت يوما موقع بلازا تينو كتيتلان العظيم، حيث كانت نعال الأزتيك تطأ الارض يوما، وأقيمت اليوم على ارتفاع عشرين قدما فوق أطلاله العتيقة، المدينة الحديثة التي لا تزال تسمع همسات الماضي... وتأمل رويز وجه عروسه وابتسم قائلا:

"هل يثير اهتمامك شعب الأزتيك القدامى الذين كانوا من الهنود الحمر وحكموا المكسيك قبل الفتح الاسباني؟"

أومأت برأسها، بدون أن تنظر اليه، وقالت:

"لكم وددت دائما أن أجيء الى هنا!"

ولكنها لم تحلم أبداً بأن يكون مجيئها في هذه الظروف. وأردفت بصوت خافت:

"كأني بالماضي لا يزال بطريقة ما! أيبدو من البلاهة أن أقول أن بوسعي أن أغمض عيني، وأعتقد حقا بأنني أراهم يسيرون؟"

هز رأسه وقال:

"كلا... فكثيراً ما شعرت شخصيا بهذا..."

وكأنما كان وقع اقدام الازتيك ينبعث هامسا في ردهات الزمن، وزعماء قبائلهم يمرون والريش التقليدي يهتز فوق رؤوسهم، وعيونهم الضاربة تبرق، والمحاربون بدروعهم المحشوة بالقطن، والكهنة بجلابيبهم السوداء يمسكون بخناجرهم المصنوعة من الزجاج البركاني، التي كانت تشق قلب القرابين من الضحايا الاحياء، والنساء في ثياب بسيطة ولكنها غنية بالوشي المطرز، وشعورهن السوداء مسدلة على أكتافهن، وتتوجها أكاليل من الزهور... كل ما كان يمت

الى وثنية الماضي الغنية.

قال رويز مشيرا بأصبعه:

"هناك يقع قصر رئيس الجمهورية على أطلال قصر مونتزوما، ولا تدري سوى السماء أية تحف دفينة تحت الزوكالا... لقد هدموا المعابد القديمة من أساسها..."

وهز رأسه وكأنه لا يقر تحمس أسلافه في اخفاء الحضارة القديمة تماما تحت حضارتهم. وبعد لحظة أشار اليها كي تتبعه، وراح يريها الحفر التي كشفت درجات المعبد الأكبر العتيق. ومضى في الحديث بهدوء، فاذا الماضي يتمثل حيا... وكأنها ترى في الخيال المعبد الاكبر كما كان يوما، والاسرى يصعدون مئات الدرجات، الى حيث كان الكهنة ينتظرون عند القمة، والحضور يترنمون لاسترضاء القوى الخفية، وأشار رويز الى حيث كان حامل الجماجم، والحوض الشمالي على شكل القارب ومعبد دائري لرمز الرياح، وحجر القرابين، والكأس الدائري الكبير الذي كان يستخدم لحرق القلوب.

ثم قطع حديثه مبتسما، وقال:

"لا يمكن أن ننكر بأن بعض عاداتهم كانت سيئة جدا، لكني كثيرا ما أرثي لضياع كل هذا."

ومضى يحدثها عما كان مقدرا للفاتحين الاسبانيين ان يجدوه وعندما وفدوا لأول مرة الى المدينة التي كانت تدعى اذ ذاك تينو كتيتلان... حدائق يانعة وبنايات بيضاء جميلة، لم يكن بعضها ينم في البداية عن الاغراض الرهيبة التي كانت تستخدم لأجلها... كانت المدينة القائمة بين بحيرات تربط بين معابر وجسور، وتعبر سطحها الازرق الزوارق، تلوح وكأنها تبرز من حلم. وكانت المعابد الهرمية الشكل تعلو فوق بنايات المدينة، وحامل الجماجم بزينته المخيفة. ولو انهما كانا جاءا في تلك الايام، لشهدا حجرا دائريا آخر، يختلف في النقوش والغاية عن حجر القرابين الكبير... هنا كانت تمارس ألعاب رياضية قاسية في أيام الاحتفالات، اذ يربط أسير الى حجر، وعليه أن يدافع عن نفسه بهراوة خشبية ضد غريم يمتاز بالاستحواذ على خنجر حاد من الزجاج البركاني.

قال رويز بصوت أجش:

"كان عادة يلقى حتفه... ميتة مشرفة، حيث أنه يقدم قربانا الى رمز الشمس تونانتيوه.. وأحيانا، كان الاسير يقاوم مقاومة بارعة تكسبه العفو."

"ماذا جرى للهنود بعد الفتح؟"
"انهم لا يزالون باقين... مستذلين أبشع استذلال لسوء الحظ ولكن، قد تتاح لهم الآن فرصة."
كانت ليلي قد سمعت عن البرنامج التعليمي الذي قدمته الحكومة المكسيكية لأهل البلاد القدامى، بعدان كانوا مستعبدين لفترة طويلة.
سألت ليلي في فضول:
"الا يزال الهنود الموجودين كثيرين؟"
فأوما رويز قائلا:
"حوالي خمسي سكان المكسيك من ذوي الدم الهندي الخالص. واذا استبعدت اولئك الذين فيهم بعض الدم الهندي، فلن يبقى من السكان سوى جزء من عشرين من عدد السكان الحالي."
رمقته ليلي بنظرة فضولية، وسألته:
"هل في عروقك دم هندي؟"
فابتسم قائلا:
"كلا. ليس فينا شيء من دم الازتيك."
وتأملها وهو يقول مداعبا:
"هل خيب هذا أملك؟ أكان يزيدني أثارة وجود الدم الهندي في عروقي؟"
قالت وعيناها تتراقصان:
"الى حد كبير جدا، ولكني على أستعداد لتقبلك بدونه."
ضحك قائلا:
"اظنك تودين رؤية المتحف ما دام هذا شعورك نحو الماضي."
ووافقت على الفور، فلما بلغاه، أذهلها القدر الهائل من الآثار المستخلصة من ماض متباين المراحل، مغرق في الدماء.
وبعد الغداء قاما بجولة مختلفة، حيث اتجها الى المتاجر الحديثة، وأصر رويز على أن يشتري لها برغم أعتراضها أي شيء كان يعجبها. مما أجبرها في النهاية على أن تلزم الصمت أذ شعرت بأنها أخذت أكثر مما ينبغي ولكن هذا لم يحقق غرضها تماما، أذ بدا أنه اكتسب قدرة على قراءة أفكارها.
ثم تناولا العشاء في ذلك المساء في مطعم حديث، ورقصا في قاعة للرقص واسعة بدرجة مدهشة. وكانت قد

أكتشفت على الباخرة انه راقص بارع، لم ينقصه المران، وأن كان مسلكه السابق في العمل أوحى لها بأنه ما كان يحضر كثيرا من المناسبات الاجتماعية. كان رجلا يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذي عرفته في المكتب، حتى لم يعد يدهشها ان تكتشف جديدا عنه في كل يوم تقريبا. بل بدا أنه كان يزداد تغيرا في كل دقيقة، حتى أيقنت أنه سيأتي يوم سيبدو فيه غريبا لكل من عرفه حيث لم يعد فيه شيء من رويز ألدوريت الذي كان يمتلك مؤسسة مريديت.
وفي اليوم التالي حضرا حفلة عشاء، ومع انها كانت مستحيية في بادىء الامر فانها سرعان ما تخلت عن أرتباكها اذ تبينت أن في وسعها الكلام باسبانية مفهومة، وأن تشترك في الحديث الدائر حولها. وبدا أن رويز مازال على أتصال بكثير من أصدقائه في المكسيك، وربما انه جدد صلات التعارف في زيارته السابقة. كان أحد معارفه ممثلا شابا ذا شعبية كما بدا لها، نشأ قريبا منه، وكان كثير الحركة، جريئا. ومع انها لم تكن قد امضت في مكسيكو سيتي أياما تذكر، فقد عرفت اسم رامون تالمونت، كواحد من أشهر الممثلين.
وأخذت تراقب رويز في السهرة وتنصت الى صوته الخافت، وهو يتكلم الاسبانية بسرعة وطلاقة، وشعره الاسود اللامع يتألق تحت الاضواء، كان واضحا أنه لم يكن يختلف عن أي من الموجودين في شيء، بل أنه رقص مثلهم، وكان في كل حركة من رقص اللاتينيين بهاء ووقعا موسيقيا. وشعرت بشيء من العذر اذ لم تتمالك ان تعترف لنفسها بأنها اكثر استمتاعا بالرقص معه، مما كانت مع بروس!
كذلك امتازت الامسية بحدث آخر، هو أن أسمها الجديد لم يبد لها لأول مرة غريبا بل كان من الممتع ان يوجه اليها الحديث كسنيورا ألدوريت.
وفي اليوم التالي تناولا العشاء ورقصا معا على حدة وتكلما بالانكليزية، ولكنها بعد أن سمعته يكثر من الحديث بالاسبانية لاسيما في الامسية السابقة بدت لها اللغة الانكليزية غريبة من شفتيه، وهي التي تعودت سماعها منه طيلة وقت عملها معه.
وقالت له:
"اتعرف... أنني أفضل أن تتحدث الاسبانية."
ثم تضرج وجهها اذ تبينت انه ليس من حقها ابداء اية تفضيلات، وقالت تعتذر بارتباك:

"اعني انني...."
فابتسم قائلا:
"انني احتار احيانا أي اللغتين لغتي."
فسألته:
"ألست تفضل احداها ؟"
واخلد للتفكير، ثم قال:
"لا أدري في الواقع انني احب الاثنتين، ولكني تعلمت الاسبانية اولا."
وعاد يبتسم، ابتسامة غريبة الدفء، ارسلت هزة عجب في نفسها، وأردفت:
"لعل الجدير بي أن أدع القرار لك."
قالت وقد عاودها الارتباك، مدركة أنه لم يعني ذلك:
"الآن وقد عدت لوطنك، فسيكون من الطبيعي أن تتكلم الاسبانية."
استمرا بعد ذلك يرقصان فترة أخرى، ثم أويا الى غرفتيهما المنفصلتين. ورأت ليلي في نومها حلما بالغ الغرابة. بدا كأن ستيلا ظهرت لها فجأة، وقالت:
"ان ما حدث كان خطأ، وأنها لم تكن راغبة في بروس حقا، فلها أن تستعيده اذا أرادت." كان هذا في حد ذاته سخفا ساذجا، ولكن الذي أدهشها حقا، هو أن الحلم أقنعها بأنها لا تريد استعادة بروس. اذ قالت:
"أنني أوثر أن أبقى كما أنا...."
وعندها ظهر رويز فجأة في الحلم، وابتسم لها ابتسامة دافئة، الابتسامة التي بعثت في نفسها الدفء في وقت سابق من الليل.
في الصباح التالي، أحضرت لهما السيارة السوداء الكبيرة، التي اشتراها رويز في زيارته السابقة، وكانت أولى جولاتهما فيها في بقعة كالدي تاكوبا الممتدة على طريق مرتفع قديم – الى تلاكوبان – حيث تقهقر القائد كورتيز وهو كسير القلب وحيث ظلت شجرة السرو القديمة، التي بكى تحتها القائد الشهير تجسد الصلة بالماضي، وحيث انشئت كنيسة في الميدان الرئيسي في ازكابوتزالكو، العاصمة العريقة لزعماء التولتيك والتبانيك، وفي طريق العودة الى مكسيكو ستي، عرجا على البقعة التي كان الهنود يوما يكرمون فيها تونانتزين، رمز الامومة لدى الازتيك.
كانت ليلي في باديء الامر مترددة في الاسراف في

ابداء اهتمامها بماضي المكسيك، لكيلا تضجر رويز، ولكنها حين تبينت أخيرا أنه كان يستمتع بهذا الماضي قدر استمتاعها، لم تحاول أن تكبح اهتمامها، وأخذت تبتسم لنفسها كلما أدركا أنه كان يفخر بأن يريها معالمه. كان يحب ماضي هذه البلاد وحاضرها، ثم، كان هناك كاراسترانو.... لاعجب في أنه كان على أستعداد لأن يفعل أي شيء ليظفر بالميراث الذي كان في انتظاره.
بعد اسبوع اشبعا فيه حبهما للماضي، قررا أن الوقت حان ليمضيا الى كاراسترانو. ومع ذلك فانهما قطعا الرحلة ليعرجا على تيوتيهواكان، حيث كانت الحكومة تنقب عن المدينة التي كانت عظيمة يوما ما، وما زالت الاطلال توضح بعضا من عظمة الماضي وأمجاده. كانت تيوتيهواكان أولى مدن المعابد المقدسة، وأعظم مدن عشائر التولتيك، موطن أولئك المعماريين والميكانيكيين المحفوفين بالغموض، والنجارين والزراعيين البارعين، كان وادي تيوتيهواكان بأكمله ثلاثة اميال ونصف الميل طولا، وحوالي ميلين عرضا، فكأنه طريق ممهد.. وقد تناثرت في المساحة كلها أطلال بنايات فخمة، هجرت.... قبل مجيء الاسبانيين الى المكسيك.
أدركت ليلي أن هذا الوادي أكثر ماسيلصق بذاكرتها، والتفتت خلفها أكثر من مرة، تتأمل الاهرام وهي تتلاشى عند الافق. وعادا بعد ذلك الى الطريق العامة المفضية الى كاراسترانو، وتوقفا عند فندق كبير ليتناولا الغداء، فرأت ليلي عددا كبيرا من السياح، وسمعت اللهجات الاميركية ولكن المكان الذي تناولا فيه العشاء، وقضيا فيه ليلتهما، كان بيتا اسباني الطراز، على النمط المعماري القديم في عهد الاستعمار وقد حول الى مطعم تعلوه بضع غرف فسيحة. وبعد افطار خفيف في الصباح التالي استأنفا رحلتهما بالسيارة.
وكان اليوم قد انتصف تقريبا، عندما اقبلا على قرية صغيرة، وراء حدودها مباشرة مخفض رويز سرعة السيارة، والتفت اليها مبتسما، وسألها:
"أتودين أن تذهبي الي عرافة؟"
فأجابت على الفور:
"احب هذا...."
ثم أردفت وهي تضحك:
"انني أعرف ان المرء لا يصدق كلمة مما يقوله العرافون، ولكنهم مع ذلك يأسرونك!"

كانت العرافة عجوزا مجعدة الوجه، تعيش في كوخ على حافة بحيرة، تأملتها بنظرات مبهمة وهذا طابع المهنة لدى كل العرافين، ثم وجهت ليلي الى مقعد صغير بلا مسند، خارج الكوخ، وجلست على الارض، وأمامها وعاء مسطح فيه ماء. وناولت ليلي حفنة من التراب لتقبض عليها لحظة، ثم اشارت لها بأن تلقيها في الوعاء، وراحت تتفرس فيه لدقائق.

وقالت أخيرا، دون أن تنظر اليها:

"كان هناك شقاء، ستنسيه بعض الوقت، ولكنه سيعود."

وتفرست بنظرات غامضة في ذرات من التراب طافية. ثم قالت:

"حزن يغيم على الماء...."

وفي تلك اللحظة ظهرت الشمس من وراء بضع سحابات في السماء، ألقت أشعتها على الماء وكأنها تثبت خطأ العرافة. واختلجت شفتا ليلي بابتسامة صغيرة، على الرغم منها، في حين أنها كانت تعجب في نفسها كيف استطاعت المرأة أن تعرف أنها تعرضت لشقاء.

وكأنما بدت بوادر خفيفة على وجهها، فاذا العجوز تنظر اليها فجأة، قائلة انك تبتسمين، ولكن هناك نجمة داكنة في حياتك، ولن تشرق الشمس بسعادة باقية الا بعد غروبها. ونهضت فجأة، وأفرغت الماء في البحيرة، ودخلت كوخها وأغلقت بابه بشدة. فألقى رويز بضع قطع نقدية على المقعد، ومس بأصبعه مرفق ليلي يقودها الى السيارة. وعندها انتبه الى صمتها، فوجم لحظة، ثم ادار وجهها اليه، وقال بابتسامة واهنة:

"ما أظنك تأخذين قولها على محمل الجد؟"

فقالت متعجلة:

"كلا... كلا طبعا، ولكنها لم تتمالك أن اردفت:

"كيف عرفت بأنني صادفت شقاء؟"

"هؤلاء المسنات يتعلمن قراءة ما يغفل عنه سواهن من أسارير الوجه، ولكنا سنحاول ان ندبر الا يكون ثمة شقاء آخر لك!"

وحاولت ليلي أن تبتسم ولكنها لم تستطع أن تنسى كلمات العجوز، بالرغم من أستهجانها هذا من نفسها... ماذا كانت تعني العرافة بوجود نجمة داكنة في حياتها... وفجأة تذكرت انهم كانوا يسمون ستيلا بالنجمة الداكنة احيانا، فشهقت والتفت اليها رويز متسائلا:

"ما بالك لا أحسبك تدعين العجوز تضايقك؟"

ورفع احدى يديه عن عجلة القيادة، وأمسك

يدها، واستبقاها تحت أصابعه وهو يمسك العجلة وقال:

"ما كان ينبغي أن آخذك اليها."

"انه سخف مني، ولكني أظن أن في نفوسنا جميعا قدرا من الايمان بالخرافات وخاصة اذا مست وترا في النفس."

واستسلمت مطمئنة الى قبضة اصابعه، فقال:

"انسي هذه المرأة."

وجاهدت نفسها لتطيعه، ولكنها لم تستطع أن تنسى تماما... كانوا يسمون ستيلا النجمة الداكنة كتدليل ومحبة، وليس كتشاؤم، واذا كانت ستيلا قد سببت لها بعض الشقاء، فانها لم تكن متعمدة... لم تتمالك نفسها من أن تقع في هوى بروس.. ومثل هذه الامور تحدث!"

ولكن ما الذي رمت اليه العجوز بقولها ان السعادة المقيمة لن تكون دائمة حتى تغرب النجمة الداكنة.

أوقف رويز السيارة حوالي العصر على قمة طريق منحدر طويل. وتبعته ليلي عندما فتح باب السيارة وغادرها، فقادها الى حافة التل، وقال:

"كاراسترانو." وأطلت الى حيث أشار. كان التل ينحدر في سلسلة من الطرق المنحدرة، حتى اذا بلغ مستوى الارض في النهاية رأت جوهرة في سهل مترامي الاطراف، رأت مبنى ابيض كبيرا تحيط به غلالة لامعة من اللون، بدت انها ازهار... على مسافة قصيرة من قرية صغيرة، كأنها من مخلفات الايام التي كانت فيها كارسترانو مجتمعا صغيرا ذا كفاية ذاتية.

وسمعت نفسها تقول بصوت خافت:

"ما أجمله!"

وفهمت اذ ذاك لماذا ارتبط بزواج دون حب في سبيل الاستحواذ عليه.

وعادا الى السيارة، وانطلقا، فأخذ كاراسترانو يغيب عن بصريهما كلما انحرفا بين التلال المنخفضة ليهبطا أخيرا، انسابت بهما السيارة خلال القرية التي بدت كأنها من فيلم عن عهد الاستعمار. وكان ثمة رجال ونساء يرتدون زيا تقليديا قديما... ولعلهم كانوا يؤثرون أسرة آلدوريت بولاء يفوق ما يكنون للحكومة.

ورمقت رويز بنظرة سريعة، تسائل نفسها كيف يبدو لو أنه ارتدى الزي القديم في كاراسترانو، كما يرتديه القوم.

انه يناسبه أكثر من الثياب الحديثة. وما لبثت السيارة ان خلفت القرية وراءها، وأخذت تقترب من كاراسترانو.
كان المبنى اذا ازداد اقترابا أكثر جمالا.. والورود المتسلقة تعلو السياج الحجري القديم، والابواب الخارجية المعدنية مفتوحة، تحمل أشعارا للاسرة كادت نقوشه تنمحي. ولم تستطع ليلي أن تتبين الشعار، ودخلت السيارة عبر البوابة المفتوحة، واستقرت في فناء مرصوف، تكاثفت الورود في كل مكان فيه. وكانت امامها مباشرة درجات تؤدي الى اقواس من الطراز العربي المغربي. وفي أعلى الدرجات، خلف الاقواس، كانت شرفة مرصوفة بالقرميد الازرق الدقيق، بينما تخلل جدران المبنى البيضاء بابان مفتوحان من الخشب السميك.
سارا عبر البابين الضخمين اللذين كانا يحملان نفس الشعار الذي حملته الابواب المعدنية، واذا بأمراة بدنية تقف في البهو الرطب، مرحبة بهما باحترام، على النمط القديم، واصطف خلفها بقية الخدم، وقد انحنوا ورويز يقدمهم، كل بدوره... وما لبثت أن صرفتهم مدبرة البيت البدينة تشيتا ايستوريل.
طلب رويز قد حين من القهوة ثم اجتازا حجرة منخفضة طويلة، تطل على فناء داخلي منخفض، أثار عند ليلي رغبة ملحة في أكتشاف البيت، فقال رويز:
"ساصطحبك في جولة تفقدية بعد أن تستريحي وتتناولي بعض المرطبات، وأمل ان يروق لك."
فهتفت: كل ما رايت حتى الآن جميل كل الجمال.. جميل حتى لقد بدأ يأسر قلبي."
جلسا في مقعدين مرتفعي الظهر، من خشب أسود عتيق، كان يلمع تحت الصقل المستمر. وكان الظهر والمقعد مبطنين بالجلد الموشى بالنقوش التي ظلت زاهية بالرغم من قدمه. وأحضرت تشيتا القهوة من قدحين صغيرين، رقيقين تزينهما رسوم يدويه. فهتفت ليلي:
"أشعر كأنني رجعت القهقرى في الزمن. فأومأ رويز قائلا:
"لقد أنشيء كاراسترانو في عهد الاستعمار القديم، وحاولنا ادخال الطابع الحديث دون أن نفسد مظهره الخارجي."
نهض رويز اذ فرغا من القهوة وقال:
"الآن ساصطحبك في الجولة التفقدية التي تريدين."
واذ خرجا الى البهو، قادها الى ممر تحف به

الاقواس، يؤدي الى ردهة جدرانية من الزجاج. وأدت الردهة مباشرة الى الجناح الجنوبي للقصر، وادركت ليلي سر البذخ في فخامته، حين عرفت أن أرض الجناح بأكمله تؤلف قاعة للرقص، في أحد جانبيها نوافذ طويلة تطل على الساحة الوسطى للقصر، وفي الجانب الآخر شرفة واسعة، واجهتها صف الاقواس المتوالية التي شاهدتها وهما يقتربان من كاراسترانو.
قالت متهدجة الانفاس، وهي تتصور الموسيقى والمرح يترددان في جنبات الحجرة الجميلة:
"أنها... باهرة!"
فابتسم قائلا:
"يجب أن نقيم حفلة راقصة احتفالا بعودتنا لدارنا... العودة للدار! أهذا ينطبق عليها؟"
قال وهما يخرجان الى الساحة الوسطى فيجتازانها الى الجناح المقابل:
"سوف اصطحبك لتلتقي ببعض جيراننا."
في هذا الجزء من المبنى كانت غرف استقبال، مزيد من الغرف في واجهة المبنى، بعضها كبير، وبعضها صغير، بعضها ذو طابع رسمي، وقلة منها لا تقل عن الباقيات جمالا ولكنها مستعملة. وكان من الواضح أنها اكثر الغرف التي استخدمتها أسرة آلدوريت.
ومن هناك عادا الى البهو، ولخطواتهما همس على الارض الخشبية الناعمة، وهما يتجهان الى السلم الرحب المنساب... لابد بد أنه كان مقاما منذ قرون وأن فرسانا وسيدات رفيعات المقام قد صعدوا درجاته الواسعة في الماضي... كم كان الاختلاف كبيرا بين خلفياتهما حتى ان سفنا من بلادها وسفنا شراعية من بلاده، التحمت في الماضي في حرب، لقد كانت ثمة اقاويل عن مغامرين من أجدادها، فسألت نفسها عما اذا كان قد قدر لأحدهم ان يكون على سفينة اشتبكت يوما مع سفينة تحت امرة فرد من أسرة آلدوريت عفا عليه الزمن... لقد قال رويز أن أسرته وفدت أصلا مع الفاتحين فربما كانت عائلته خارج المكسيك عندما كان القراصنة الانكليز يغزون البحر القاري.
وها قد صمتت المدافع منذ زمن بعيد، وجاءت هي عروسا الى هذا البيت العتيق الزاخر بذكريات الماضي.. عروسا مؤقتة، جاءت للزيارة وليس للاقامة!

كان هناك رواق للصور ذو ثلاثة جوانب وفي طرف من الجزء الاوسط منه اقواس تقود الى الاجنحة الاخرى بالقصر· وكان الجزءان الايسران والاوسط يحملان لوحات لأفراد من الأسرة، بينما كان جزء من القسم الاوسط وكل القسم الايمن مبطنين بالخشب الاسود الصقيل·

نظرت ليلي الى الصور مبتسمة، وقالت:

"هؤلاء بعض اسلافك؟"

فأجاب ابتسامتها بمثلها، وقال:

"تعالي أعرفك بهم···"

وسارا الى بداية القسم الايسر، واومأ برأسه نحو اللوحة الأولى في الصف قائلا:

"دون اكزافيير مانويل جوزيه باليادى آلدوريت·"

فهتفت ضاحكة:

"ما أروعه!"

قرص خدها برفق مداعبا، وقال:

"لا تنسي الاحترام!"

ومد يده الى كتفها، وذراعه تحيط بمنكبيها في عناق خفيف·

كان دون اكزافيير- فيما يبدو- هو الجد الذي جاء مع الغزاة وشيد كاراسترانو· ومضيا من الصورة الى أخرى، وهو يحدثها عن الرجال والنساء في تاريخ القصر: دون فيليب، الذي كاد يقضي على ثروة الاسرة في القمار دون ريناتو، الذي انقذ القصر وثروة آلدوريت، بالكشف عن أحد كنوز الاينكا الدفينة في بيرو وعن احد مناجم الذهب، وهذه الحسناء دونا روزاليا التي آثرت دخول الدير على الزواج من رجل اختارته لها الاسرة وكانت تحب سواه، ووصلا الى رجل ذي ذقن تنم عن العناد، وشفتين رفيعتين قاسيتين، كان ذا شبه مذهل بالرجل الذي وقف الى جوار ليلي، ثم رجل وامرأة لا يشبهان رويز الا في القليل، بالرغم من أنهما كانا··· ابويه!

ووقفا امام الرجل الذي استرعى انتباه ليلي واهتمامها وتساءلت:

"أهو جدك؟"

فهز رأسه، وزم فمه، ثم قال:

"نعم···" أذن، فهو الرجل الذي أجبر حفيده على الزواج، رغم ارادته·"

وتأملت القسمات الحادة السمراء، التي كانت شديدة الشبه بقسمات الرجل الذي تزوجته·· لعله أوتي طباعا كطباع رويز، ومن هنا كان الصدام بينهما· بالاضافة الى خلافهما بشأن الخطبة المفسوخة التي ذكرها لها مرة؟ ووجدت ليلي نفسها اكثر فضولا بصدد الفتاة التى اراد ان يتزوجها يوما، بيد انه كان من المستحيل أن تسأله عنها· كانت عروسا غريبة، لا تعرف عن زوجها سوى القليل··· بل لا تعرف كيف مات أبواه!

ولعله فطن الى نظراتها الفضولية المتسائلة، فقالت في شيء من التردد:

"يبدو أنني لا أعرف الا القليل·"

فقال:

"وهذا ليس عدلا، لأنني أعرف الكثير عنك·"

وابتسم لها محيطا كتفيها بذراعه أكثر أو لعلها تخيلت ذلك، وتجلت رغبته في المداعبة، اذ قال:

"أنني أعرف مثلا أنك أوتيت ولعا بتسلق الاشجار! لابد أن أعرفك يوما ببعض الهنود الحقيقيين!"

تطلعت اليه في دهشة، وتساءلت:

"أيوجد بعض منهم حقا؟"

قال:

"قلة ضئيلة في التلال، وفي كاراسترانو بعض افراد يجري في عروقهم دم هندي·"

وسارا الى نهاية القسم الاوسط من الرواق، حيث امتدت ردهة ضيقة معتمة، تقود الى الجناح الشمالي· وكانت ثمة ردهة أخرى بطول هذا الجناح، تحيط بها حجرات، وبعض نوافذ تطل على الساحة الوسطى، ونوافذ في الجانب الآخر تؤدي الى شرفات على الجانب الخارجي للقصر· وقال رويز:

"أن الجناح الجنوبي كان على النسق ذاته· ولما بلغا نهاية الردهة تحولا الى القسم الخلفي للدار، حيث غرف الخدم· وكان هذا الجزء من الدار مغلقا ببابين ضخمين من الخشب الصقيل، مزخرفين بنقوش محفورة، أما الاثاث فكان مريحا، بل فخما، شأنه في الحجرات الاخرى التي كانت مؤثثة بذوق أنيق، يجمع بين الطرازين الاستعماري والحديث·"

عادا الى مقدمة البيت، خلال الردهة الوسطى للجناح الجنوبي، فوق قاعة الرقص· كان كاراسترانو مربعا، يتوسطه فناء مغلق من كل النواحي· وفي المقدمة تماما، كانت هناك

ردهة واسعة، تؤدي الى احد جانبي البهو. حيث النوافذ الواسعة التي تطل على الساحة الامامية لكاراسترانو، وتسمح بدخول اشعة الشمس. وكانت هذه الردهة مزودة ببضعة مقاعد عتيقة الطراز من الخشب المنقوش والجلد المزركش. هنا بدأت أولى لحظات الحرج فمن هذه الردهة دخلا الى الغرفة الرئيسية الكبيرة، على باب واسع يحمل شعار الدوريت الذي أبلاه الزمن... حيث أعدت الغرفة لسيد كارسترانو وعروسه.

كانت غرفة جميلة، ذات باب يؤدي الى حمام خاص، ولكن ما بدد جمال المكان، سرير ضخم ذو أربعة أعمدة، وستائر قرمزية وذهبية... وشهقت ليلي على الرغم منها مأخوذة!

لم تستطع ليلي - بكل ما اوتيت من قوة - أن تحول دون تدافع الدماء الى وجهها، حتى أيقنت أنه أصبح بلون الستائر القرمزية. أما رويز فبدأ متعجبا اكثر منه محرجا، وقال:

"كان ينبغي أن أفكر في هذا، فان من الطبيعي أن تعد لنشيتا الغرفة الرئيسية."

كانت حقائبها قد نقلت الى الغرفة، ولم يكتمل افراغها، وكان الخادمة الشابة التي تولت العملية استدعيت لأمر ما، سرت لأجله ليلي بيد أن ارتباك العروس لمشاطرت زوجها الغرفة، كان جديرا بأن يثير الاقاويل لو شاهده أحد غير الزوج!

التفت اليها رويز بابتسامة مداعبة، وقال:

"هناك غرفة للملابس. واتجه للطرف الآخر من الغرفة، وازاح احدى الستائر القرمزية والذهبية، فاذا بها تكشف عن باب يؤدي لغرفة صغيرة، ذات رياش لائقة ان لم تكن باذخة وقال رويز:

"كان جدي معتل الصحة قبل موته، فكان خادمه ينام هنا."

ورمقته - بعد لحظة - بنظرة مترددة، وقالت:

"حقا، ولكن.. الن يثير.. أعني، أحسب أن الخدم سيتقولون بهذا الصدد!"

هذا صحيح، ولا مفر منه.. هنا أختلف الامر عما كان عليه في الفندق فالميون حولهما هنا ودودة ومتطفلة. وما من شك في أن من حولهما سيتساءلون عما اذا كان السيد وزوجته على شقاق، ولن تكون هذه بداية طيبة. ولو أن الغرفة ضمت سريرين صغيرين بدلا من السرير الهائل ذي الاعمدة الاربعة، لكان محتملا أن تجد ليلي الشجاعة لأن تقترح أن

يستعملا الغرفة معا. أما في هذه الظروف، فكان الامر يختلف.

وبينما ذهب رويز ليصدر التعليمات لاعداد فراش الحجرة الصغيرة، اقتربت ليلي من حقائبها لتكمل افراغ محتوياتها. ولم تكن قد أخرجت سوى ثوب واحد، حين اقبلت خادمة مكسيكية شابة، فبدت مرتاعة لرؤية سيدة كاراسترانو الجديدة تهم باستخراج ثيابها بنفسها. وسمحت ليلي لنفسها بأن تقف جانبا متخذة مركز سيدة القصر، المركز الذي كان مفترضا ان تشغله في كارسترانو، والذي بدا غريبا لها ولكنها انصاعت للامر تاركة ماريا تفرغ الحقائب وعلى اساريرها ابتسامة تحبيذ وأعجاب ممزوجين باحترام. وآثرت ليلي ان تغتسل استعداداً للعشاء. فلما عادت، وجدت ماريا في انتظارها لتساعدها في ارتداء ثيابها. ومرة اخرى انصاعت ليلي مسرورة لأن تكون مخدومة، وهي التي اعتادت الاعتماد على نفسها.

كان الثوب الذي اختارته ابيضا، بسيطا، بالغ الاناقة، كان من الثياب التي ابتاعتها لحياتها الجديدة، قبل مغادرتها انكلترا. وغني عن البيان انه كان من نوع ما كانت لتبتاعه لولا المبلغ الذي اودعه رويز المصرف لحسابها. وفتح لها حسابا آخر عندما وصلا الى مكسيكو ستي، وقبلت دون جدل - اذ تعلمت ان النقاش معه لا يجدي - معتزمة الا تكثر من الافادة من هذا الحساب، الا لشراء ما يكون من الطبيعي ان تبتاعه كزوجة رجل غني، دون ان تسرف.

كانت قد ارتدت ثيابها، واخذت ماريا تسوي لها شعرها، عندما عاد رويز. فابتسم لها ابتسامة جعلت قلبها يخفق بشدة ولعله اضطر اليها لوجود ماريا ثم ذهب ليغتسل. وما لبث ان سمعته يغني لنفسه بصوت خافت، فابتسمت اذ بدا ان سيد كاراسترانو كان سعيدا في تلك الليلة، الليلة الاولى له في داره ووطنه. وكان لزاما ان تعترف لنفسها بأنها هي الاخرى كانت سعيدة جدا مع أنها لم تنس للحظة ان الوضع مؤقت وعليها ذات يوم ان ترحل الى انكلترا حيث تعود حياتها لسابق عهدها، وأن أصبحت الآن تعرف انها لن تنسى ابدا الرجل الذي تزوجته. طبعا ليس من الضروري أن تعود حياتها لما كانت عليه تماما، فسيكون بوسعها لو شاءت ان تنشيء لنفسها مشروعا صغيرا، بعد أن دبر رويز ما يكفل لها الاستقلال بدخل خاص بها في المستقبل.

وعندما أصبحت مستعدة للهبوط الى الطابق الاسفل،

صرفت ماريا وقالت بصوت لابد أن يسمعه رويز في الحجرة الصغيرة:
"سألقي نظرة أخرى على رواق الصور، وأقوم بجولة···
فواتاها صوته:
"حذار أن تضلي الطريق··· وضحكت مطمئنة اياه الى أنها لن تضطره لارسال حملة للبحث عنها·
عندما التقيا بعد فترة في قاعة الجلوس، شاهدت ثانية جاذبية الرجل الذي كانت تظنه يوما داعيا للنفور· كان يرتدي بزة سهرة تناسب المنطقة الحارة، وقد رفع رأسه الأسمر بكبرياء غير متعمد، وعيناه السوداوان تبتسمان لها وسألها:
"ألم تحتاجي لحملة للبحث عنك؟"
فضحكت وهزت رأسها قائلة:
"المكان مخطط بحيث يصعب ان تتوه·· انه جميل يا رويز·"
بدا انه مسرورا جدا لأن كاراسترانو راق لها··· وبعد أن قدم لها كأسا من الشيري، التفت الى الحدائق البادية خلال اقواس الشرفة وقال:
"ما أحسبني أدركت مدى افتقادي لهذا المكان حتى عدت اليه··"
فسألته:
"ما الذي دفعك لتركه؟"
ما أن نطقت بالكلمات حتى تمنت لو أستطاعت ان تسحبها، فما كانت لتحب ان توحي بالفضول، لاسيما أنه بدا عازفا عن الحديث عن نفسه، عندما ذكرت له انها لم تكن تعرف عنه الا القليل· ولكنه لم يضق بها هذه المرة، بل قال وعلى وجهه الاسمر تجهما:
"لأنني تشاجرت مع جدي···"
ولمحت الوميض المتهكم الذي ندر ظهوره في الفترة الاخيرة:
"بشأن امرأة، في الواقع·"
قالت :
"أهي التي كنت قد خطبتها؟" وبادرت تردف معتذرة، "آسفة ما ينبغي أن أتطفل هكذا··"
فهز كتفيه قائلا:
"لم لا؟ ربما من الافضل أن تعرفي، فلا بد ان يخبرك شخص ما؟" قالت:

"لم أتمالك نفسي من الاهتمام···"
وترددت اذ أوشكت أن تقول الفضول، ولكن هذه الكلمة كانت كفيلة بأن توحي بالتطفل· وأضافت تتذكر اسئلة اختها الصبية تيس المداعبة المستحيية:
"لا سيما بعد الذي قلته في حفلة التوأمين·"
ابتسم اذ ذاك ابتسامة شبه صبيانية، وقال:
"لم يكن لدى أختك الصغرى اية مخاوف من القاء الاسئلة··"
فسألته بلهفة:
"الم تتضايق منها؟"
قال :
"كلا، في الواقع··· لو كنت تضايقت، لرفضت ان أجيب·"
فعلا كان يمكن أن يتصرف هكذا··· ان يتراجع وراء حاجز الانكماش الجامد والتحفظ· لكنه أخذ الكأس من يدها، ووضعها على خزانة المشروبات ذات القمة الزجاجية، وقادها الى مقعد وثير، وقال:
"تعالي، فاجلسي···"
وظل واقفا، مبتسما وسألها:
"من أين تودين أن أبدأ؟"
قالت:
"ربما··" وتوقفت، ثم سألته وهي مازالت مترددة:
"كيف مات ابواك؟"
وأسرعت مردفة:
"ولكنك أخبرتني بهذا من قبل·"
فقال:
"نعم··· وأنا بعد أفيق من لقاء جيرونيمو، كان يشير الى يوم فاجأها في دور الهندية الحمراء، وابتسم في مداعبة ثم قال:
"ماتت امي عند مولدي· اما أبي فمات بعد ذلك ببضع سنوات، مات في حادث، وهو على صهوة جواد··"
"وتولى جدك تنشئتك؟"
اوما برأسه، وقال:
"لعلي كنت مرهقا لهما··· احسبني كنت··· جامحا·"
وابتسم فضحكت ضحكة خفيفة، واسترسل قائلا:
"اننا اهل المكسيك من أصل اسباني، ولعلنا - كما تزعم الدنيا - أكثر استعداداً للاثارة العاطفية من غيرنا·"
وهز كتفيه، دون ما ارتباك، وهو يقول:

"ما كانت مغامراتي الغرامية تزعجهما، طالما كنت اخوضها بتعقل، ولكنهما عارضاني حينما رغبت في الزواج من احدى صاحباتي.

وتأمل النظر اليه مباشرة، ثم أضاف بعد لحظة:
"كان أسمها ميرسيدس لاسترو، راقصة في ملهى دون الدرجة الثالثة" تطلعت اليه اذ ذاك فرأت في تلك اللحظة في الذات - امارات استهجان ممزوج بالعجب ولكنه كان يستهدف نفسه بها. وعاد يقول:
"بالرغم مما قلت عن تجاربي، فانها كانت اكثر تجربة مني بقليل. كان يبدو أن كل امريء كان يرى حقيقة كنهها... الا أنا."

وكان ثمة أصرار على الا أتزوجها، ولكني قررت العكس، وغادرت كاراسترانو. كنت أعرف ما يترتب على ذلك وكنت مستعدا للمضي فيه، واخشوشن صوته وهو يقول:
"والظاهر أن ميرسيدس لم تكن مستعدة، كنت أظنها ستتقبل الانظفر بشيء من كاراسترانو."

سألته ليلي باستحياء، وقد بدأ الامر يتخذ وجها جديدا:
"ولكنها... لم تتقبله؟ كانت تظن من قبل انه لم يكن قد بلغ سن الرشد، وأن مجرد رفض السماح له بالزواج، هو الذي حال بينه وبينها. وقال في شيء من العجب، ولكنه ظل عجيبا مستهجنا:
"لم تتقبله. ذهبت لشراء زهور الزفاف، فلما عدت لم أجدها. بدا أنها كانت تود الزواج من كاراسترانو وثروة الجد، وليس رويز الدوريت.. وفي تلك السن، يبدو أن المرء يأخذ الامور مأخذ الجد في مبالغة ظللت أريدها، ولكني كرهتها، والقيت اللوم على جدي لرفضه استقبالها في كاراسترانو.. لم أعد أهتم باي امريء هنا.. بل أنني هجرت البلاد، وذهبت الى انكلترا، حيث أهل أمي التي كان يبدو أن زواجها بأبي أثار بعض الشحناء، اذ لم يكونوا راغبين في زواج ابنتهما من أجنبي، ولكنها خرجت على أرادتهم وتزوجته. كانت ثمة مرارة باقية، فسرهم ان يستقبلوني اذ لاح ان في ذلك صفعة لآل الدوريت في كاراسترانو. وسررت أنا الآخر بذلك، اذ كنت ألقي على جدي اللوم على كثير مما حدث. وأشركوني في مؤسسة ميريديت... وأنت تعرفين بقية ما جرى."

أجل، كانت تعرف ما جرى... فتى مسكين، كسير القلب، ناقم على الفتاة التي أحبها لغدرها به، وعلى الجد الذي

كان يعرف عنها ما يكفي لأن يرفض أن يتقبلها كسيدة مقبلة لكاراسترانو. وكثيرا ما يكره المرء شخصا حاول العمل لخيره، ومن المحتمل كذلك ان دون دييغو تصرف في غطرسة وتعصب. فان تصلب عضلات عنقه - في صورته - كان ينم عن كبرياء متعنت كاف لان يقصي رويز عن كاراسترانو - الذي كان يحبه - الى اقارب غير معروفين في انكلترا، ولعل رويز فكر في الايعود أبدا، وحاول طيلة الوقت ان يكره الدار التي احبها اكثر مما أحب اي شيء آخر في الدنيا، وأن يغلق قلبه دون أن تدري انه حدث... أو على الاقل رأته يحدث، ولكنها لم تفهم. ان صفقتها - التي أقدما عليها كعملية مصلحة دون أية عاطفة - فظيعة، بل بشعة - ثم اخذت بشاعتها تخف قليلا، ازاء طلبها العجيب بأن يتظاهر بأنه يهواها أمام اسرتها، وعلى ما يبدو فان كل المرارة القديمة قد انزاحت، واصبح على استعداد لأن يبدأ حياة جديدة، وربما لأن يقع في الحب من جديد، ولعل هذا ما كان سيحدث اذا ما وضع نهاية لزواج العمل.

وعبست دون ان تفطن وهي تعجب من أن هذا ما كان يبعث فيها مسرة تذكر. لقد اتفقا منذ البداية على أن هذا ليس سوى زواج عمل، وما كان من حقها هي ان تود تبديل ذلك، ولا كانت لديها فكرة عما يدعوها لأن تود ذلك.

أم تراها كانت توده؟ أن حبا واحدا خاب، كان صدمة كافية وما كانت من الحماقة بحيث... مست تغضنات العبوس بين حاجبيها اصبع سمراء، اصبع رويز وقال:
"أنك عابسة كل العبوس. ما الذي يضايقك؟ أهي قصتي؟"
"نعم... اعني أنني شعرت بالأسف من أجلك... ومما حدث."
"لا داعي لأن تأسفي، حدث كل هذا منذ زمن طويل.."

وبسط يده نحوها مبتسما، اذ انبعث رنين ينبهها، وقال:
"الآن... هل ننتقل لنتناول العشاء؟"

نهضت ليلي مسرعة، وبالرغم من أن العبوس زايل محياها، فانه يلازم ذهنها، وهي تحاول أن تتبين الداعي له. أهي فكرة أنتهاء زواجهما، وهي التي عرفت من البداية انه لابد أن ينتهي؟

١٠ - على صهوة الجواد

رفعت ليلي رأسها عن الرسالة، اذ أقبل رويز الى الغرفة، وقالت:

"انه من كيري. هل تتذكرها؟ أنها الأخرى ذات شعر أحمر."

فقال بلهجة محيرة:

"انني أذكرها جيدا. أعتقد أنها الاخرى كانت في مطعم ريكي في يوم ذي ذكرى معينة. وقالت رأيا يشبه رأيك نوعا ما" فتضرج وجه ليلي ولكنها ضحكت قائلة:

"ما أحسبك ستتركني أنسى هذا."

قال:

"قد لا تنسيه حتى اجعلك تعتقدين عكسه."

وبدت مترددا لحظة، ثم دس يده في جيبه، فأخرج صندوقا صغيرا وقال:

"أتذكر انك اعجبت بقرط من طراز الأزتيك، وقد أمرت بصنع واحد لك."

فتحت ليلي العلبة، فرأت قرطين من الذهب كانا مطابقين تماما لقرطين اعجبت بهما في المتحف. وومضت عيناها ابتهاجا، وبدافع لا أرادي، اندفعت لتقبل خده. وتضرج وجهها اذ فطنت لما فعلت، ولكنه لم يضق البتة بالحركة اللاارادية، بل ضحك مداعبا، وقال وعيناه السوداوان تتأملان ارتباكها في مرح:

"أحسن طريقة للتعبير عن الشكر. اظنني ساضطر لشراء مزيدا من الهدايا."

فقالت:

"انك افرطت في الكرم حقا."

هز رأسه، وأضاف وفي عينيه بريق مداعب:

"من الذي لا يحاول ان يكون كريما أزاء حافز كهذا؟"

كان في عينيه وميض دافيء اخذ ينمو باطراد خلال الشهرين اللذين قضياهما في كاراسترانو. وابتسمت ليلي ولمست الرصعة المعدنية في حزامه الجلدي، وقالت:

"اراك متأهبا لركوب الخيل."

ولم يكن يرتدي ثياب الركوب المتعارف عليها، كما كان يفعل في انكلترا، بل كان يرتدي بنطلونا اسود، غاب طرفا ساقيه في حذاءين قصيرين، وقميصا حريريا ابيض مفتوحا عند الرقبة، وحزاما عريضا مرصعا بقطع فضية. لم يكن يشبه الرجل الذي كان يملي عليها الرسائل في المصنع، في انكلترا!

أوما برأسه، وقال:

"هل تستطيعين أن تحتملي درسا آخر؟"

"هتفت لكم أتمنى؟"

وصعدت لترتدي ثياب الركوب، وكانت نسخة أنثوية من ثيابه، واكثر اشراقا من ثياب الركوب العادية. وتوجت رأسها بقبعة واسعة الحواف. عندما وافت رويز، كان يقف عند رواق الصور، يتأمل اللوحات باستغراق. وكان ثمة منديل حريري أحمر قان عقد حول رقبته، واحدى القبعات العريضة الحواف - المألوفة في تلك البلاد - مدلاة على ظهره من شريط جلدي حول عنقه.

ولم يبد انتمائه للاصل اللاتيني صارخا كما كان في تلك اللحظة، فوقفت عند مدخل الردهة الجانبية المفضية الى مخدعها، تتأمله - دون ان يفطن - وتعجب مما اذا كان يفكر في الخيط الطويل من آل آلدوريت الذي كان ينتهي اليه. وقالت بصوت ظنته خافتا، وهي تتقدم دون ان يفطن الى ان صوتها كان مرتفعها:

"كل هؤلاء الرجال والنساء يضربون في سنين الزمن.. وأنت آخرهم. هل نترك الماضي الآن، ونتلقى درسنا في الركوب؟"

هبطا سويا، وخرجا الى الشرفة الممتدة حول البيت، وهبطا الدرجات التي في الجزء الخلفي، الى الساحة الخارجية، حيث كانت الحظائر مقامة، وحيث الفرسة الكستنائية التي اعتادت ليلي ركوبها منذ وصولها الى كاراسترانو- بصهيل خافت، فربتت عنقها الناعم برفق. وبينما كان السائس يسرج لها الفرسة، التفتت الى حيث كان رويز يتلقى لمسات منبهة من جواد اسود ضار، أصيل وسمعته يقول:

"ليس اليوم يا خوان... ربما غدا."

وعندما انطلق الى جوارها هذه المرة، كان على جواد أشيب مثير للاعجاب.

كانت مليدا فرستها سلسلة القياد. على أن ليلي كانت على أية حال - قد أصبحت تجيد الركوب. فقد اعتاد ابناء

١٠ - على صهوة الجواد

رفعت ليلي رأسها عن الرسالة، اذ أقبل رويز الى الغرفة، وقالت:

"انه من كيري. هل تتذكرها؟ أنها الأخرى ذات شعر أحمر."

فقال بلهجة محيرة:

"انني أذكرها جيدا. أعتقد أنها الاخرى كانت في مطعم ريكي في يوم ذي ذكرى معينة. وقالت رأيا يشبه رأيك نوعا ما" فتضرج وجه ليلي ولكنها ضحكت قائلة:

"ما أحسبك ستتركني أنسى هذا."

قال:

"قد لا تنسيه حتى اجعلك تعتقدين عكسه."

وبدت مترددا لحظة، ثم دس يده في جيبه، فأخرج صندوقا صغيرا وقال:

"أتذكر انك اعجبت بقرط من طراز الآزتيك، وقد أمرت بصنع واحد لك."

فتحت ليلي العلبة، فرأت قرطين من الذهب كانا مطابقين تماما لقرطين اعجبت بهما في المتحف. وومضت عيناها ابتهاجا، وبدافع لا أرادي، اندفعت لتقبل خده. وتضرج وجهها اذ فطنت لما فعلت، ولكنه لم يضق البتة بالحركة اللاارادية، بل ضحك مداعبا، وقال وعيناه السوداوان تتأملان ارتباكها في مرح:

"أحسن طريقة للتعبير عن الشكر. أظنني سأضطر لشراء مزيدا من الهدايا."

فقالت:

"انك أفرطت في الكرم حقا."

هز رأسه، وأضاف وفي عينيه بريق مداعب:

"من الذي لا يحاول ان يكون كريما أزاء حافز كهذا؟"

كان في عينيه وميض دافيء اخذ ينمو باطراد خلال الشهرين اللذين قضياهما في كاراسترانو. وابتسمت ليلي ولمست الرصعة المعدنية في حزامه الجلدي، وقالت:

"اراك متأهبا لركوب الخيل."

ولم يكن يرتدي ثياب الركوب المتعارف عليها، كما كان يفعل في انكلترا، بل كان يرتدي بنطلونا اسود، غاب طرفا ساقيه في حذاءين قصيرين، وقميصا حريريا ابيض مفتوحا عند الرقبة، وحزاما عريضا مرصعا بقطع فضية. لم يكن يشبه الرجل الذي كان يملي عليها الرسائل في المصنع، في انكلترا!

أومأ برأسه، وقال:

"هل تستطيعين أن تحتملي درسا آخر؟"

"هتفت لكم أتمنى؟"

وصعدت لترتدي ثياب الركوب، وكانت نسخة أنثوية من ثيابه، واكثر اشراقا من ثياب الركوب العادية. وتوجت رأسها بقبعة واسعة الحواف. عندما وافت رويز، كان يقف عند رواق الصور، يتأمل اللوحات باستغراق. وكان ثمة منديل حريري أحمر قان عقد حول رقبته، واحدى القبعات العريضة الحواف - المألوفة في تلك البلاد - مدلاة على ظهره من شريط جلدي حول عنقه.

ولم يبد انتمائه للاصل اللاتيني صارخا كما كان في تلك اللحظة، فوقفت عند مدخل الردهة الجانبية المفضية الى مخدعها، تتأمله - دون ان يفطن - وتعجب مما اذا كان يفكر في الخيط الطويل من آل آلدوريت الذي كان ينتهي اليه. وقالت بصوت ظنته خافتا، وهي تتقدم دون ان يفطن الى ان صوتها كان مرتفعا:

"كل هؤلاء الرجال والنساء يضربون في سنين الزمن.. وأنت آخرهم. هل نترك الماضي الآن، ونتلقى درسنا في الركوب؟"

هبطا سويا، وخرجا الى الشرفة الممتدة حول البيت، وهبطا الدرجات التي في الجزء الخلفي، الى الساحة الخارجية، حيث كانت الحظائر مقامة، وحيث الفرسة الكستنائية التي اعتادت ليلي ركوبها منذ وصولها الى كاراسترانو- بصهيل خافت، فربتت عنقها الناعم برفق. وبينما كان السائس يسرج لها الفرسة، التفتت الى حيث كان رويز يتلقى لمسات منبهة من جواد اسود ضار، أصيل وسمعته يقول:

"ليس اليوم يا خوان... ربما غدا."

وعندما انطلق الى جوارها هذه المرة، كان على جواد أشيب مثير للاعجاب.

كانت مليدا فرستها سلسلة القياد. على أن ليلي كانت على أية حال - قد أصبحت تجيد الركوب. فقد اعتاد ابناء

ديرموت منذ الصغر التردد على المزرعة التي نشأت فيها كيري، وكانت فيها بعض جياد صغيرة. فكان ركوبها مع رويز مجرد اعادة مران على التدريب.

* * *

راحت ليلي ترمق رويز خلسة. كانت الشمس قد اشتدت، فارتديا قبعتيهما، وبدا ان القبعة عريضة الحواف، وقد مالت قليلا على رأس رويز فأبرزت فتنته السمراء. وأحست بأنفاسها تحتبس في حلقها، وهي تتأمل أشعة الشمس تترامى على قسمات وجهه الحاد.

واذ ابتعدا مسافة عن كراسترانو، ترجلا، وأخذا يطلان على المبنى من قمة تل. فبدا ليعني ليلي اجمل مما كان حين رأته أول مرة وأن كانت عرفت ان جماله الحالم يخفي بعض لمسات حديثة جدا، مثل ذلك المبنى الطويل المنخفض، الذي أقيم على هضبة منبسطة، ليكون مكانا لطائرة صغيرة، ومثل ذلك النطاق من الأشجار الى جنوب من كاراسترانو، وقد توارت خلالها محطة توليد الكهرباء لامداد القصر والقرية الصغيرة القريبة، كان القصر قديما جدا. ومع ذلك فقط ارتبط - بفضل العلم الحديث - بالحاضر المعاصر.

التفتت اليه مبتسمة، وقالت:

"انه يبدو أجمل مما رأيته أول مرة. الآن افهم انك كنت مستعدا لأن تفعل أي شيء لتسترده."

قال بهدوء:

"نعم، كنت مستعدا لأن افعل أي شيء، ولو كان غير مستحب - كما كنت أرى الزواج المفروض اجبارا - ولكني أجد أن زواجنا هذا أبعد من أن يكون غير مستحب!"

والتقت نظراتها بنظراته لحظة، وهي تحمل نفسها على أن تبدو وكأن كلامه أية مجاملة أخرى. ثم قالت بلهجة عفوية، وهي تتحاشى نظراته:

"شكرا لك ماذا تراك ستفعل عندما... تدعو الحاجة لأنهاء هذه الصفقة؟"

وظل برهة لا يجيب، فالتفتت لتواجهه، متسائلة:

"هل ستعيش هنا وحيدا؟"

مد يده، فأدار ليلي لمواجهته تماما، وتفرس في عينيها وقال بصوت أجش قليلا:

"هل ستعودين لالقاء المحاضرات؟"

عضت ليلي شفتيها، ثم عادت الى تفادي نظراته - وهو الأسلوب الأسهل - وقالت:

"احسبني كنت على وشك، ولكن لاينبغي ذلك... فليس هذا من شأني."

فقال برصانة:

"بل قولي... لعلي أجد محاضراتك طريفة... وربما تكون مفيدة. واردف باقتضاب: على أية حال يبدو أن جدي دون دييغو كان يحظى بمشورة ملحاحة."

قالت:

"ليس الامر هكذا... انني أرى انكما كلاكما عنيدان، وأنت لا تخالف ما كان يريد، الا أنه حاول أن يأمرك به آمرا!"

قال في عجب خشن:

"شكرا لك."

ورمقته اذ ذاك، فلم يبد عليه غضب أو ضيق. وسألته:

"هل قدر لك أن تراه، بعد أن غادرت كاراسترانو؟"

فأومأ برأسه، قائلا:

"مرة واحدة."

"منذ عهد قريب؟"

"قبل حوالي ستة أشهر."

هزت رأسها، وكأن هذا كان يعزز شيئا دار بخلدها، وقالت:

"احسبني الآن ادرك السبب في أنه أثبت ذلك الشرط في وصيته. لعله كان يعتزم ان يدعك تستحوذ على كاراسترانو، على أية حال، ولكنه كان يحاول ان يضمن الا ينقطع خيط السلالة. ولن ادهش قط اذا ظهرت في وقت لاحق وصية تمنحك كاراسترانو، دون ما قيد ولا شرط، اذا رفضت الرضوخ لشروط الوصية الأولى."

"ماذا كان يدعوه لكل هذا العناء، اذا كان ينوي ان اظفر بكاراسترانو، على أي الأحوال؟"

"قلت لك، انه كان يحاول أن يكفل الا يؤول كاراسترانو - بعد موته - لأغراب، ويحتمل أنه حين رآك منذ ستة أشهر، شعر بأنك لن تتزوج قط..."

وتوقفت لحظة، دون ارادة منها، ثم واصلت الحديث:

"أنني شخصيا كنت موقنة من أنك لن تتزوج أبدا. كنت تبدو أبعد مخلوق صادفته عن العواطف!"

ومرة أخرى، قال:

"شكرا لك."
فبادرت قائلة:
"لا تقطع استرسالي. أنت طلبت أن أحاضرك."
وبدا كان قوة غريبة تسوقها ولم يعد بوسعها التوقف. فعادت تقول:
"كان يريد أن تمتلك كاراسترانو ولكن من المحتمل انه كان يخشى ان تكتفي بالمجيء، والاستحواذ على القصر، والاقامة وحيدا، وبذلك... واختلج صوتها قليلا، ولكنها واصلت الحديث:
"بذلك لن يكون ثمة وريث لكاراسترانو، ويموت اسم الدوريت. في رأيي أن هذا السبب في أنه صاغ وصيته على ذلك النحو وليس لانه كان يحاول ان يفرضه عليك أمراً"

* * *

ساد صمت طويل، ثم تحول رويز داسا يديه في جيبه، وهو يطل من فوق التل على كاراسترانو. وتساءل:
"اذن، فمن رأيك انه كان ينبغي أن ارفض الشرط، وانتظر الوصية اللاحقة - التي تفترضينها - حتى تظهر؟"
"فاتت الفرصة الآن، وعلى أية حال، فانني قد أكون مخطئة، ولا تكون هناك اية وصية أخرى."
"ولكن من المحتمل انك لاتزالين تظنينني أغش، اذ أتخذت هذا المخرج وأنه كان جديرا بي أن أدبر زواجا عاديا باختياري، لتوفير وريث لكاراسترانو؟"
كان صوته قد أصبح خاليا من أي تعبير عما في نفسه، مما لم يتح لها فرصة لأن تحدد أكان مغضبا أم غير مكترث لما قالته... فقالت محاولة معرفة ما بنفسه:
"قد لا تلبث ان تقع في الحب بالطريقة الطبيعية" ولكنه هز رأسه في تأكيد حاسم، وقال:
"لا أظن!"
وكان ما يزال يتفادى النظر اليها، فلم يكن بوسعها الحكم على ما يدور برأسه. ثم استأنفت الحديث قائلا:
"اذن، فالرأي النهائي أنني بالاستحواذ على كاراسترانو بهذه الطريقة، أغش بالنسبة لبنود الوصية، ان لم يكن بإجراء مكتوب، فعن طريق نية غير مكتوبة."
قالت مترددة، مدركة ان كلامها كان شخصيا، ولم يكن

له داعي: "تقريبا!"
قال مواصلا لهجته القاسية:
"اذن، ففي رأيك ان الحاجة الى زواجنا تنتهي، اذا ما اكتملت الاجراءات القانونية، وأصبح كاراسترانو ملكا لي دون ماشك.. عندها ينفصم الزواج، وأشرع في زواج عادي باختياري، لأنجب وريثا لكاراسترانو وأكفر عن محاولتي للغش؟"
قالت:
"نعم... وابقت نظراتها مشدودة الى الارض، وقد ادركت كيف تحول الحديث الى مجرى عجيب وغير عادي.
وعاد يتكلم:
"ولكن ما الذي يجعل هذا ضروريا؟ وبدا لها ان صوته تغير، بشكل لم يعد من الميسور تحديده، وتحول اليها أخيرا، وشدت قبضتاه على كتفيها بحزم، وسألها بهدوء:
"هل تمنحينني وريثا لكاراسترانو برضائك؟"
ورفعت رأسها وهي تشهق، ثم اجفلت اذ التقت نظراتها بنظراته، وبينت انها كانت تحبه، وانها كانت كذلك منذ مدة!

١١ - ولادة حب

ساد الصمت لحظة طويلة، وليلي تحاول ان تتبين كيف حدث لها شيء كهذا. لابد انه ظل يزحف عليها وقتا، وهي لا تفطن. والواقع انه أوضح أمورا كثيرة، اذ أصبحت تتبين ما كان وراءها، كيف برئت سريعا من ظنها بأنها تحب بروس... الرغبة القوية العجيبة في ألا ينتهي هذا الزواج، هذا وحده كان كفيلا بأن يجعلها تدرك ما كان يطرأ عليها. كان رويز قد عاد من زيارته الاولى لكاراسترانو متغيرا. وقد أذاب وطأة السنين الباردة، وأصبح بذلك شخصا مختلفا كل الاختلاف. أصبح رجلا يجتذب النساء على الفور، بمغناطيسية لا يمتلكها سوى القلة من الرجال. لذلك لم يكن ثمة عجب يذكر في أن شعورها نحو بروس مات بسرعة ميتة طبيعية!

ورق صوته اذ أساء فهم الدهشة والاجفال اللذين اعترياها، وظنهما قد نتجا عما قاله: أسف لأنني روعتك الى هذا الحد. يبدو أن الفكرة لم تخطر ببالك قط. لم تخطر؟ ما الذي كان وراء انشغالها بشروط وصية دونديبيفو؟ أكانت رغبة صادقة في الا يموت اسم عريق، وأنه ما كان ينبغي لرويز أن يتحايل ليسترد القصر الذي أحب، ولعله يلوم نفسه على ذلك، أو لعلها رغبة شخصية خفية كانت هناك، رغبة عميقة في أن يكون هذا الزواج اكثر من مجرد صفقة المصلحة التي بدأ بها؟ رغبة في أن تكون حقيقة له، بكل ما في هذه الصفقة.

ولما واصلت الصمت انزلقت يداه عن كتفيها، والتفت ذراعاه حولها، وقربها منه قائلا:

"أهو أمر صعب جدا؟"

وحاولت ليلي أن تتكلم فكأنما كان ثمة شيء يسد حلقها، ولم تتمالك سوى أن تتطلع اليه صامتة، وقد اتسعت حدقتاها، وارتجفت شفتاها قليلا.

قال وفي صوته العميق، الناعم، رنة اغراء:

"لا داعي لأن نبقى هنا طيلة الوقت، اذا كنت تودين مزيدا من المرح. من الممكن أن تكون هناك زيارات لمدن المكسيك، كما أن هناك فيلا على الساحل. أنني أعرف ان النقود لا تعني لك الكثير، ولكنني غني وفي وسعك أن..."

وقطعت عليه كلامه، قائلة وقد استعادت صوتها:

"أرجو ألا تتحدث عن المال في هذا الصدد".

فابتسم قائلا:

"كنت ادرك انك ستقولين هذا".

ساد الصمت لحظة، ثم هز رأسه وقال:

"أجد كلمات مناسبة لاقناعك.. أردت أن أسألك أن تبقى هنا معي، بدلا من العودة الى انكلترا، فاذا بي لا أتكلم الا عن المال!"

"الكلمات تسعف فقط الاناس المنمقين عندما يريدون التعبير".

أفلتت الكلمات منها دون ارادة، ولكن بدا انها راقت له فشدها اليه، وأحنى رأسه، وأحست بدفء يديه وقال:

"ما أحسبني منفرا لك فبادرت قائلة، كلا".

قال: "انك فقدت الرجل الذي تحبين" وأحس بجسدها يتصلب فلم يفهم السبب على حقيقته، وواصل الحديث ولكن الحياة قد تكون حافلة في كاراسترانو، والزمن يقتل الالم."

وتحولت لتتطلع اليه، وسألته:

"هل كنت تحبها حبا جما؟"

فتحرك الرأس الاسمر نفيا وقال:

"كنت أظنني كذلك ولكن هذا مات من زمن طويل. المرء يظن أن الالم سيستمر للأبد، ولكن... ولكن... اذا به يتبدد ذات يوم، ويدرك المرء ان الحب خرافة شاعرية".

سألته ليلي بهدوء:

"الآن، ألم تعد تؤمن بالحب اطلاقا؟"

فهز رأسه ثانية، وقال:

"الحب المثالي الذي يؤمن به أهل الخيال؟ أليس يكفي أن يتبين الرجل والمرأة أن بوسعهما أن يعيشا في صداقة؟"

ودت لو تقول له ان منطقه خطأ، وأن الحب حقيقة، وأنه يأتي مرة واحدة. أما الذي يموت فهو الافتتان، ومات افتتانها ببروس بسهولة وسرعة، وعندما واجهه الحب الحقيقي، ولعل لمسة من التعب الذهبي بدت على وجهها، فأدارها نحوه ليتفرس في أساريرها، ثم اشتدت ذراعاه حولها، وبعد لحظة أبعدها عنه وهو ممسك بها، وأطل على وجهها المتضرج.. وصمدت لحظة للابتسامة المحيرة التي ابرقت عيناه. وقالت:

"أكان هذا... لتغريني بالاقتناع؟"

وبدا للحظة أنه يفكر ثم هز رأسه قائلا:

"كلا يا عزيزتي، أظنه كان لأثبات أن ألم فقدان الرجل الذي تحبين يمكن أن ينسى!"

وبقيت متكئة على ذراعه، وهي تود لو تخبره بأن بروس لم يعد يعنيها في شيء ولكن كيف تصارحه بحبها له، وهو لم يذكر شيئا عن حبه لها ولكنها شعرت بالارتياح لرغبته ببقائها. ولم يؤلمها انه لم يحبها بعد، فالحب قد يأتي فيما بعد. ولو أنه لم يكن قد شعر نحوها بشيء ما، وأرادها ان تبقى معه لتنجب له أبناء، لكان هذا أمرا لا لايطاق، لقد انثنت محاولتها لأن تنبهه الى واجبه نحو كاراسترانو، على نحو لم تتوقعه، ولكنها لم تأسف لذلك.

وسمعت نفسها تسأله في أستحياء: هل ذاك من أجل كاراسترانو فحسب؟"

ولم تتمالك أن تشعر أنه سؤال سخيف. وتأملها لحظة، ثم هز رأسه، وكأنه تبين لتوه أمرا. وقال بتوءدة: بل لأنني أجدك قد أصبحت جزءا من حياتي، وأرى بوسعنا أن نسعد معا، وأن لم نستطع أن نتحاب.

"أيكون هذا عسيرا؟"

وابتسم اذ حاولت تتكلم، فلم تستطع سوى أن تهمس باسمه، وقال:

"لا تحاولي أن تبتي الآن. سنعود الى كاراسترانو، وهناك فكري مليا، ثم لعلك تمنحينني الليلة الجواب الذي أود سماعه."

وهكذا عادا الى كاراسترانو، وفكرت كما قال، ولكنها كانت على أستعداد لأن تعطيه الرد في الحال. كانت مغادرة كاراسترانو، وتركه لتحتل أخرى مكانها، أشبه بتمزيق كل شيء حي في جسدها!

عندما جاء اليها في تلك الليلة، كانت النوافذ مفتوحة، والنسيم اللطيف المنحدر من التلال القريبة يحمل اريج ورود كاراسترانو، لو أنها اضطرت الى ان تبرح كاراسترانو، فانها يقينا كانت ستظل دوما تذكر هذا، اكثر مما تذكر أي شيء آخر، عدا الرجل الذي تتركه هناك، أما الآن فكان مقدرا لأريج الورد أن يلازمها على الدوام.

كانت تجلس الى المرآة ترتب شعرها الطويل، حين دخل الحجرة وتوقفت بحركة غير أرادية، والفرشاة معلقة في الهواء، فأخذها من يدها وجلس الى جوارها، قائلا:

"دعيني افعل هذا عنك!"

وجلست ليلي جامدة ويده السمراء تعمل الفرشاة في الشعر الحريري. وفجأة أفلت الفرشاة، ورفع الشعر الناعم الى وجهه، محنيا به خده الأسمر. وقال:

"شعر جميل يا عزيزتي... لا تقصيه أبدا."

قالت بصوت مرتجف، وهي لا تكاد تدري ما كانت تقول:

"لقد فكرت في ذلك أحيانا، فهو مبعث ازعاج."

قال:

"انه جميل جدا، وصارخ بالانوثة، لا أحب الشعور القصيرة."

ابتسمت ليلي ولكنها قالت، ولا يزال صوتها مرتجفا:

"يقولون كلما طال الشعر قل العقل."

"بوسعي أن أشهد لهم بأنهم مخطئون."

كانت ليلي يوما سكرتيرة عظيمة الكفاءة.

وأردف بصوت مبحوح:

"ولكني أفضل زوجتي الجميلة جدا."

وشعرت ليلي بأنها ترتجف قليلا، وقالت:

"ما خطر لي وأنا أعمل لديك- أن من الممكن أن يكون الأمر كذلك."

فقال بلطف:

"أظن أن كلا منا كان يخفي عن الآخر شعوره ولا بد" ثم ضحك فجأة، وقال برثاء مستغرب:

"أن هؤلاء الشيوخ المسنين ماكرون. وأني لا تساءل! أكان جدي يعرف ان هذا سيحدث؟" فرمقته وقالت:

لعله كان يعرف، ثم أشاحت مستحيية أمام نظراته الدافئة، وقالت:

"ترى هل تمانع في أن يحدث؟"

فهز رأسه، وعاد يبتسم قائلا:

"من الحماقة ان يتمنى رجل أن يأتي الى هنا وحيدا، ويعيش بقية عمره وحيدا. وأني لمسرور لأنني لم أرتكب خطأ السماح لك بالعودة الى انكلترا."

وأطبقت يداه على كتفيها، وتفرست عينان السوداوان في وجهها، وهو يردف:

"وأنت... يا ليلي الدوريت؟ هل تمانعين في أن يحدث هذا؟"

قالت بصوت خافت:

"كلا، لا أمانع البتة. بدا أن ردها كاف فتركت يداه كتفيها، وشدها الى احضانه. كان هذا كافيا كبداية، لعل الحب يأتي في وقت لاحق، اذا كان القدر رحيما.

١٢ - الافعى

كانت ليلي تمشط شعرها حين مست يده كتفيها، دون ان تلتفت، وقالت:

"اذا كانت هذه لعبة التخمين، فلست احتاج لغير حدس واحد، والتفتت اذ ذاك وقد تحولت ابتسامتها الى شيء من المداعبة، واردفت:

"ليس هناك سوى رجل واحد قادر على أن يؤثر على كياني."

فابتسم رويز قائلا:

"وأنا سعيد بذلك."

أكان هذا هو الجبل الجليدي الذي عملت معه في انكلترا.

كانت أحيانا تشعر بأن أقزاما سحرية غيرته - في غفلة منها - ليكون اختبارا لها وتحديا!

وفجأة، قال جادا: ألست تفتقدين بروس كثيرا الآن؟"

فبادرت قائلة:

"انني لا أفقده بتاتا. ورفع ذقنها بأصابعه النحيلة القوية وقال:

"هذا جيد... أنني قلت ان الألم والفقدان لا يلبثان ان يخمدا، ولا أظنني أتركه يستعيدك الآن."

فابتسمت قائلة: أنه الآن خطيب لستيلا، وهما سعيدان."

"بقدر ما نحن سعيدان؟"

"هذا ما لا يتسنى لهما."

ضحك بلطف، وتناول الفرشاة يمشط شعرها، كما فعل ليلة تغير زواجهما من مجرد صفقة عمل الى شيء رائع وواقعي.

* * *

بعد أسابيع ثلاثة من ذلك، وصلت رسالة من ستيلا، فعلمت ليلي أن اختها ستطير لانتاج فيلم في المكسيك، وتلقت النبأ بمشاعر مختلطة... من اللطيف طبعا أن ترى اختها، وهي التي كانت مشغوفة بستيلا عمرا طويلا، فمن العسير أن تعتقد الآن شخصا أهلا لأن تعامله بحذر، وأن تخشى غدره... كانت مستعدة لأن تعتقد أن ستيلا قد شعرت بندم لما فعلته بها، غير أن هذا لا يعني امكان محو الأذى ونسيانه، وكأنه

مجرد غبار على نافذة قذرة.

ولأية امرأة في وضع ليلي مع زوج أيقنت الآن أنها مدلهة به، كانت فكرة وصول ستيلا المتألقة، لتبسط تأثيرها الانثوي على رجل تحرر من تحفظه فأصبح اكثر تعرضا للتأثر مما كان قبل بضعة أشهر... كانت الفكرة مروعة. ولكن ليلي شعرت في الوقت ذاته بخفقات من اللهفة لأن ستيلا كانت تمثل الاسرة وقد ودت ليلي أن تعرف جميع اعضاء الاسرة مدى سعادتها.

قالت لزوجها بهدوء:

"سيكون من الجميل أن نرى ستيلا ثانية... وهي تقول انها ستمثل فيلما أمام رامون تالمونت، أليس هو الذي قابلناه في المطعم عندما أتينا للمكسيك؟"

فأومأ رويز برأسه، وعيناه تتأملان زوجته بفضول، وقال:

"نعم... الظاهر أنه واسع الشعبية."

وأمسك لحظة ثم قال:

"ليس ثمة ما يمنع من فتح دارنا في مكسيكو ستي، وسأتخذ الاجراءات لارسال بعض الخدم اليها، وتستطيع اختك أن تمكث معنا هنا."

كان ثمة ساكن يستأجر الدار، حين وصولهما أول مرة ولكنه ما لبث أن تركها."

حاولت ليلي أن تبدي ابتهاجا بالفكرة، وسألته:

"ألن تمانع؟ أعني ألن يكون في هذا ازعاج؟"

ولما نفى ذلك، عادت تقول وفي نفسها أمل واهن في أن يقر قولها:

"ليس هناك ما يمنع من نزولها في فندق، فهي لن تكون وحيدة ولابد أن معها أعضاء آخرين من الشركة."

بدت الرقة في عينيه بالاضافة الى نظرات متحدية مختبرة وقال:

"لا تزعمي انه ليس عندك الكثير لتتحدثي حوله مع أختك عند وصولها. ستكون متلهفة لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عنك، وما لم تهيئي لها كل الفرص، كيف سيبلغ أهلك النبأ السار عن أن زواجك موفق، وأنك سعيدة هنا؟"

تضرج وجه ليلي غبطة، وركعت الى جوار مقعده، وشعرت بأصابعه تداعب شعرها، وجذبها نحوه وطبع قبلة خفيفة على جبينها، وقال بصوت خافت: أنك سعيدة ألست كذلك يا عزيزتي؟"

فقالت وأنفاسها تحتبس في حلقها من نشوة السعادة:

"سعيدة جدا."
وبعد بضعة أيام ذهبا بالطائرة الى مدينة مكسيكو، واستقرا في دار آل الدوريت، وكانت مبنى رائعا، يشبه كاراسترانو، حتى في الفناء الداخلي والنافورة المفردة. كان ثمة شعور بالاستمرار والاسترسال في تلك الدار، وكأن أجيال أسرة آل الدوريت قد تركت طابعها في المكان وتاقت الى ان تبهر الاجيال اللاحقة من خلفها بما فعلت، وكانت الحياة هناك أكثر اتساما بالشكليات مما هي في كاراسترانو، فجو الحفلات، والمآدب الطويلة الأمد، وأصداء حفيف الثياب الحريرية والأوشحة المطرزة، كان مخيما على الدار كانت قاعة الطعام حيث علقت فوق المدفأة لوحة لدون دييغو من الفخامة بحيث بهرت ليلي.
اختارت ليلي لستيلا حجرة في الطابق الاول، وهي موقنة من أنها ستعجب بها، كانت اغطية الفراش ثرية بالنقوش المطرزة، والاثاث من خشب البلوط الأسباني القاتم، وهناك خزانة فسيحة للثياب، وكثير من المرايا كما كان الحمام الملحق بها فخما، كانت ليلي تدرك ان ستيلا ستعجب بهذا الوسط لأنه الجو الذي من حقها الأقامة فيه، فلن تساورها آية فكرة للانتقال الى فندق، واعفاء زوج اختها من عبء الاحتفال بها، بالرغم من رغبة ليلي بالترحيب بأختها، وتكريم وفادتها وتشعرها بأنها في بيتها، ولكنها في الوقت ذاته - كانت تتمنى ان تطمئن تماما الى أن ستيلا ستجازيها عن اكرامها بسلوك يعفيها من لحظات القلق وعدم الارتياح. كانت موقنة من أنها لن تنسى قط ما حدث بالنسبة لبروس، وكان رويز أهم واثمن لا سيما في سعادتها الراهنة من أن تعرضه للخطر.
ومع ذلك، حرصت على أن تخفي عن رويز آية وساوس تنتابها بالنسبة لأختها. وشعرت أنه في بعض الاوقات كان يرمقها بنظرات محيرة، لاسيما حين كانت تؤكد له مدى تطلعاتها الى وصول ستيلا، فكانت تسائل نفسها:
"اتراه كان يحدس عدم ارتياحها الخفي؟ ولكنه لم يقل شيئا."
وكانت تتمنى أحيانا لو أنه سألها، فقد تجسر على أن تصارحه مقدما بمخاوفها!

* * *

وانطلقا بالسيارة الى المطار لإستقبال ستيلا في يوم مشرق، وجاهدت ليلي خلال الطريق لتظهر بمظهر

مرح، فأخذت تثرثر ولكنها كانت اذا نظرت لوجه رويز الأسمر الفاتن تشعر فجأة بلوعة الهواجس والتوجس وتسائل نفسها كيف لم تبتكر على الفور حجة للحيلولة دون اقامة ستيلا معهما، غير أنه كان من المستحيل الاهتداء الى حجة تقنع ستيلا و رويز بأن من الافضل للممثلة أن تنزل مع أعضاء الشركة السينمائية في أحد الفنادق الراقية في مكسيكو ستي.
كان لابد من المضي فيما كان مقدرا، ولم تكن تملك سوى الامل... الأمل في أن تسير الامور على خير.
ارتمت ستيلا بين ذراعي اختها حين التقيا في أرض المطار كانت كالعهد بها في أقصى اناقة، وقد بدت فاتنة الى درجة مذهلة، غاص لها قلب ليلي وقالت ستيلا وقد هدأت انفعالات اللقاء:
"انك تبدين رائعة يا عزيزتي!"
كان في عينيها ومضة التهكم القديمة، الى جانب اشراقة الحب، وهي تواصل الحديث:
"انك مثال المرأة المتزوجة! رشيقة جميلة المنظر، حتى كدت لا أعرفك في البداية."
سألها رويز:
"اترينها تبدو في حال طيبة؟"
"في أطيب حال. ما كنت يوما أحسن مما هي. لا بد انك زوج بالغ الارضاء!"
ورمقته بعينيها الجميلتين، وتساءلت:
"هل لي أن اقبلك يا رويز؟ اننا على آية حال وثيقا القرابة الآن."
وبدون انتظار لموافقته، ألصقت شفتيها في لين ونعومة أوراق الورد، بخده الاسمر وغمرته بموجة من عطرها الذي كان أشد واكثر من أي عطر سمحت ليلي لنفسها باستعماله.
تراجعت ستيلا وتأملته وهي تقول:
"أظنني سأرتاح اليك كزوج لأختي!"
لم يرد رويز المجاملة، ولكنه بعد نقل حقائبها الى سيارته رأى أن من اللائق، كأمر طبيعي، أن تشغل المقعد الأمامي المجاور له، وأن تجلس زوجته في المقعد الخلفي بالرغم من شعوره بعدم رضا ليلي عن هذا الترتيب وانطلقت بهم السيارة وشمس المكسيك تغدق عليها اشعتها، وأظافر ليلي تغوص في لحم يديها، وهي مضطرة لأن تقاوم مشاعرها، موقنة بأنها تتصرف بصورة تثير السخرية ازاء وصول

اختها ، حيث كانت في الواقع تعتقد بأن ستيلا لن تتورع عن فعل أي شيء لهدم زواجها . وحاولت السيطرة على مخاوفها فمهما يكن، فان رويز كان طرازا مختلفا كل الاختلاف عن بروس، واقنعها هذا الخاطر أخيرا بأن تكون طبيعية في تصرفها ، وأن تنظر الى ستيلا كما كانت تفعل في الأيام الخالية قبل أن تصادف أي مبرر للشك في اختها!

أمر واحد هز تجلدها : بينما كانت ستيلا تفرغ حقائبها في حجرتها ، بعد وصولهما الى الدار ، وسألتها ليلي:

"هل اعلنت وبروس خطبتيكما ؟"

فالتفتت ستيلا واعترفت بأنه ما من خطبة بينهما ، وغام وجهها وكأنها تناضل لتخفي ظهور الشقاء على محياها ، ثم اردفت الواضح ان بروس لم يكن يحبني حقا . كانت النجمة السينمائية اللامعة هي التي اجتذبته ! هكذا قال لي.

هتفت ليلي بدافع غير ارادي:

"انني آسفة يا عزيزتي الست أدري ماذا أقول ؟"

وكانت آسفة حقا . فهزت ستيلا كتفيها قائلة:

"لا عليك يا عزيزتي ! ليس هناك ما تملكين في هذه الظروف سوى ... أنني قد استحق ما حدث !"

واكفهر بريق عينيها لحظة ، وزمت فمها ... وارتجف الفم الجميل فجأة ، سواء كان ذلك عفوا ، أو عن عمد ، أو مجرد نتيجة لعاطفة مكبوتة ... وأشاحت بوجهها لتخفي ضيقها ، وقالت في رجاء ، بصوت مختنق:

"أفضل الا نتحدث في هذا الآن ."

قالت ليلي على الفور ، في عطف:

"طبعا ..."

وأسرعت تضيف:

"انني أفهم شعورك فهما تاما . علينا أن نحيطك بأمور بهيجة وأنت هنا ، حتى لا تفكري في بروس ، ولا تدعي التفكير المهموم يشقيك . فالهم لن يجديك شيئا ، ومكسيكو ستي رائعة في الواقع ، واوقن بأنك ستحبينها . أن لرويز اصدقاء كثيرين ، وستقدمك اليهم ... لن تجدي وقتا للشقاء ."

التفتت اليها ستيلا شاكرة ، ولكن اهدابها الطويلة كانت تخفي عينيها ، بحيث كان من المستحيل الجزم بحقيقة فكرها وشعورها . وقالت:

"الا يحسن بنا الهبوط والانضمام الى زوجك ؟"

"كان من حسن التوفيق ان تزوجته . انه يبدو لي

مثيرا ... مثيرا حقا ! وقالت وهي تضيف لمسات لزينتها:

"وهذا بيت مدهش حقا ، فقالت ليلي معلقة:

"انتظري حتى تري كاراسترانو ."

فابتسمت قائلة:

"انني مصممة على رؤيته ، قد أمكث معكما طويلا ، وستكون مهمة شاقة أن تتخلصا مني ."

أخفت ليلي جزعها بجهد ، وكان رويز في انتظارهما بقاعة الجلوس الرئيسية ، ومرة أخرى ، أبدى رعاية للضيفة ، فقدم لها شرابا قبل العشاء ، واختار لها مقعدا مريحا ، وأطرى ثوبها بلهجة الخبير ، وأجلسها الى يمينه في قاعة الطعام الفخمة الاثاث .

* * *

وقالت له ستيلا:

"لا تناديني آنسة نورديت ، فهذا اسمي الفني ، وليس لأفراد اسرتي أن يستعملوه ، أن أسمي ستيلا اذا لم تكن تعرف ."

وارسلت ضحكة مرحة فردد اسمها باحترام واحنى رأسه عرفانا اذ سمحت له بمناداتها باسمها ، وراح يردده ، وكأنه معجب بوقعه ، قائلا:

"ستيلا ؟ أظن أن معناه النجمة ."

واستقرت عيناه السوداوان عليها ، وبدا مأخوذا بتألقها ، وقال لنفسه بخفوت:

"نجمة داكنة" واستغرق في التفكير ... ودهش اذا اضطربت ستيلا ، بل ارتجفت قليلا . وقالت:

"لا أظنني أود أن أكون نجمة داكنة فهذا يبدو نذيرا بنحس ما .. أؤثر أن أكون نجمة تزداد باستمرار ارتفاعا وبريقا . ان النجمة لا تعتم الا عند اقتراب الفجر ، وأنا افضل أوج التألق ..."

فقالت ليلي برفق تطمئنها:

"لا تجزعي ، فأوج تألقك سيدوم طويلا ... انك الآن في الاوج من ناحية فنك ."

فقالت ستيلا:

"أصحيح هذا ؟"

والتقت نظراتها بنظرات رويز ثانية ، فقالت وكأن الحديث ينبعث من فؤادها:

"أحسبني أفضل زواجا موفقا ، على الاستمرار كممثلة ناجحة . لقد بدأت اسأم التمثيل ومطالبه ، اما الزواج - كما

يوحي منظركما - فأمره مرض للغاية٠"

ومرة أخرى أحني رويز رأسه قائلا:

"انك على صواب٠"

وأبتسم موليا وجهه الى ليلي، فخفق قلبها، وأسرعت تقول لستيلا متلهفة على أن تواسيها لفقدانها بروس:

"أننا نريد أن تحظي بفترة هانئة هنا، وقد اعددنا العدة لحفل عشاء صغير ترحيبا بك، وأظن أن جليسك في العشاء لن يفكر فيما اذا كنت ممثلة او غير ممثلة كنت ستقابلينه في أية حال، وقد رأينا التعجيل بذلك٠"

وتساءلت ستيلا برجاء طفولي جذاب عمن يكون، فابتسمت ليلي قائلة:

"رامون تالمونت، زميلك في بطولة الفيلم، واكبر ذئب في مكسيكو ستي٠"

وحبذت ستيلا هذا وقالت:

"لعله ليس سيئا كما يصورونه٠٠٠ ومن اللطيف مداعبة ذيل الذئب!"

وتشعب الحديث، وليلي تعجب بتمثيل أختها، لو أنها كانت تحب بروس لشعرت بتعاسة بالغة، ولكان مجهودها عظيما لاخفاء عواطفها٠

بعد ليلتين توافد الضيوف لحفلة العشاء٠ واختارت ليلي ثيابها بعناية لهذه المناسبة، فكان الثوب من المخمل الياقوت الازرق الداكن، وقد زركش ببراعة بحبات من اللؤلؤ٠٠٠ كان غاية في الرشاقة، حتى انه لم تكن بها حاجة لمزيد من الزينة٠ وفيما كانت تقف امام المرآة، تتأمل قلادة من الياقوت والماس أهداها رويز اياها، وتختار سوارا يتمشى معها، اقبل رويز ووضع على المائدة علبة غير سميكة من الجلد٠ ثم رفع غطاء العلبة، فاذا فيه قلادة من اللؤلؤ الوضاء، فهتفت:

"ما أروعها!"

قال:

"ستكون حول عنقك أروع!"

وأحاطت اصابعه النحيلة عنقها بالقلادة، وقدم اليها قرطا من لؤلؤ على شكل الاجاص٠ وظلت لحظة تحملق في المرآة لا تصدق ان الصورة المنعكسة كانت صورتها٠ ثم تحولت بدافع غريزي، فقربت رأسه وقبلته، قائلة:

"لست ادري كيف أشكرك على كل ما منحتني!"

فقال بهدوء:

"ان ما منحتني انت أكثر٠ كنت قد نسيت كيف يكون المرء حيا، حين ينزوي في قوقعة٠" وظل لحظة يحتضنها، ثم نحاها برفق وقال:

"اذهبي وتبيني هل استعدت أختك٠٠٠ تذكري أن الأمسية مهمة لها، ويجب أن توليها اكبر قدر ممكن من الانتباه!"

وقبل أن تبلغ الباب، دعاها، ورأت وجهه الاسمر يستدير نحوها، وعينيه ترقبانها في استغراب، وسألها:

"احسب أن هذا اللقاء بأختك لا يسبب لك ألما يا عزيزتي؟"

ابتسمت وهزت رأسها قائلة:

"اتعني٠٠٠ بسبب بروس؟ أنه لا يسبب لي أتفه ألم، لقد تغلبت على ذلك منذ زمن٠"

قال:

"هذا بديع٠ وهل يسرك وجود اختك هنا؟"

فترددت لحظة، ثم طمأنته بقدر من الصدق:

"أجل٠ من الجميل ان أراها ثانية"

فبدا عليه الرضا، وقال:

"يجب ان تدعو صديقتك كيري يوما، ونبحث عن شخص مثل رامون تالمونت ليتزوجها!"

هتفت ليلي باغتباط:

"يا لرامون المسكين! ستضعضعه ستيلا الليلة، واري ان تعفيه من كيري في الوقت الحاضر، ولكني اوافق على أنه سيكون من الرائع أن تأتي كيري وتنزل عندنا وسنبحث لها عمن يتزوجها٠"

قال بصوت أجش:

"عليك أن تزوجي ستيلا أولا!"

* * *

أسرعت ستيلا باطراء فخامة ثوب ليلي، حين وافتها في حجرتها، وتعلقت عيناها بالقلادة اللؤلؤية وأخذت تمسها برفق، وقالت:

"لست بحاجة لأن أسألك أهو لؤلؤ حقيقي٠"

فأكدت ليلي ذلك٠ وهتفت ستيلا:

"يا لك من فتاة محظوظة!"

ثم تحولت تتأمل صورتها في المرآة، وعلى وجهها تعبير غير عادي، وغضت بصرها تتفرس في اظافرها، وقالت:

"لقد هنأتك يا عزيزتي بزواجك الناجح، ولكني اعني

بالنجاح انه تحول على نحو مدهش. أنك ورويز عقدتما صفقة عمل، أليس كذلك؟ وقدر لها التوفيق.»

قالت ليلي متلعثمة:

«ص.. صفقة؟»

وأستدارت ستيلا الجميلة ومست خد أختها بحنان، قائلة.

«اجل، هذا ما حدست.. ولو أنك مثلت دورا لاراحة بال امنا، أما الآن وقد تزوجته فعلا، فيجب أن تكوني بارعة أذا شئت الاحتفاظ برويز! أنه يعجب بالجمال، لاسيما الجمال الانكليزي الهادىء... لقد أرتبكت لطريقة حملقته في هذا المساء.»

كان من العسير على ليلي أن تصدق ما سمعت. فقالت:

«هذا لأنك أختي و... وهو يعجب بك طبعا، كأي امرىء!»

وأبرقت عينا ستيلا بنوع من الهزء، وقالت متلطفة:

«طيب، ولكن انصتي لنصيحتي وابعديه عن كل الحسناوات اللاتينيات هنا!

ثم هبطتا لأستقبال الضيوف، وقد شعرت ليلي بأن شطرا كبيرا من متعة الأمسية قد تبدد. وقدمت ستيلا بطريقة آلية الى رامون تاليمونت وبقية الضيوف. وحاولت ليلي جاهدة أن تبدو وطبيعية عندما لمحت رويز يحملق بأختها. لقد ادركت بأن ستيلا شعرت بالغيرة اذ رأت القلادة اللؤلؤية الثمينة، مما جعلها ماكرة، ولكن هناك احتمالا بأن الامر لم يكن مكرا، وأن ما قالته كان انذارا.. فلو أنها كانت قد قابلت رويز وعرفته قبل أن تلتقي ببروس، لكان رويز وليس بروس هو الذي انتزعته. ولابد أنها الآن تأسف لأنها لم تلتق برويز أولا.

صعب على ليلي ان تصدق أن أختها خطر يهدد سعادة مستقبلها، ولكن التجربة الماضية علمتها أن تجزع، وادركت أنها لا تستطيع أن تثق بستيلا، وبالرغم من أنها كانت تثق برويز، فان الموقف جعلها مكتئبة. ليت رويز لم يقترح نزولها عندهما، وداخلها الامل في أن يتغير الموقف اذا ما بدأت اختها العمل في الفيلم.

★ ★ ★

وبدا الاهتمام على ستيلا برامون تالمونت، فعادت الحياة تمضي هادئة لبضعة أسابيع. كان ستيلا تود رؤية كل شيء في مكسيكو ستي، وتتذوق مباهجها، وكان رامون لحسن الحظ تواقا الى تمكينها من ذلك، فأصبحت تقضي وقتها في صحبته وفي الاستديو. كانت ليلي تعيش على حافة بركان، فما عادت تشعر بالسعادة الا في غياب اختها عن

البيت، ولكنها كانت تشعر بالاثم لأن شكوكها في ستيلا كانت تتضمن رويز، رغم ان رويز كان زوجا رائعا.

كانت الحياة تمضي على هذا النحو العصيب، حين اعلنت اليها ماريا مديرة البيت ذات يوم، وهي في قاعة الجلوس الرئيسية ان سيدا انكليزيا يرغب في مقابلتها... وعجبت ليلي، وسألتها عن أسمه، فقالت آلسيد بروس، ولم تتريث ليلي بل أسرعت الى البهو، حيث كان بروس يقف في شيء من الحرج، كان المكان قد بهره، وكأنه لم يكن يتوقع ان يقابل بترحاب، ولكنه نسي حرجه، حين وقعت عيناه على ليلي الجديدة، الانيقة الملبس، سيدة هذا القصر المنيف... وعيناه تومضان، وحاول دون تردد ان يتلقاها بين ذراعيه... فصعقت ليلي وتفادته، وتساءلت في فتور:

«ماذا تفعل هنا يا بروس.»

«لا يبدو عليك أنك سررت برؤيتي!»

قالت وهي تسترد سكينتها:

«يجب أن يكون هذا مفهوما، في هذه الظروف... اجئت لترى ستيلا؟»

قال:

«أذن فقد وصلت.»

فقالت:

«نعم، منذ اسبوعين تقريبا.»

وتوقفت منتظرة تعليقه، ولكنه لم يقل شيئا، فعادت تسأله:

«أجئت لتراها؟»

ثم فطنت الى أنه ما كان ليتصرف كما اراد ان يتصرف، لو كانت رؤية ستيلا هي غايته الوحيدة!

وأطلق ضحكة قصيرة، وقال:

«أختك الساحرة؟ أنتهى ما كان بيني وبينها. كنت احمق، ولكني افقت في وقت مناسب.»

فقالت:

«كنت أحمق؟ أما خطر لك أنك شيء آخر كذلك... لقد خذلتني، ثم خذلت ستيلا.»

فقاطعها قائلا:

«أهذا ما قالته لك؟»

«ألم تتخل عنها؟»

«لابد أنها روت لك قصة مؤثرة... أود سماع ما قالته

اختك الناصعة البياض عني. ولو سمح الوقت فسأروي لك الكثير عنها.»

قالت محنقة:

«لا أقبل أن تتحدث عن أختي هكذا!»

قال:

«ليكن... غير أن عليك أن تخبريني بما قالته عني، فأني أود معرفة موقفي.»

ضاقت ليلي بالموقف، وقالت بجفاء:

«ما من داع لأن تكذب ستيلا، ولا بد ان ما قالته هو الصدق... أنت فتنت بالنجمة السينمائية، ثم افقت من غوايتك.»

فهز رأسه، وأمسك بذراعيها بقوة، وقال وهي تحاول التخلص:

«متى ستواجهين الحقيقة عن أختك؟متى ستواجهين انها لا تشبه أحداً من أسرتكما؟ أنها اكثر الشابات اللائي قابلت ايثارا لنفسها، وهي على أستعداد لتحطيم حياة أي امرىء دون ان تكترث. أنني أعرف حقيقتها... كانت تتسلى بي فحسب، وما كانت جادة أبدا في الزواج مني... لو لم تصلي حين وصلت، وتفاجئينا في موقف باد مريبا...»

ضحكت ليلي وقالت:

«لقد كان موقفا مريبا، وأنت تدرك ذلك.. وبرغم أنكارك الآن، فانت كنت مفتتنا بها.»

قال لها: أؤكد لك أنني لم اعد أحبها.»

فهزت كتفيها، وهي في دهشة من صلابتها، اذ كانت لا تشعر برثاء يذكر له أو لستيلا. وقالت وفي عينيها أشمئزاز:

«اذن، فكل ما أقوله هو انك بارع في الوقوع في الحب والخروج منه، وأنني لأستهجن بشدة مجيئك وأتهامك اختي بالتنكر لك.»

أطلق ضحكة قصيرة، وقال:

«أنها لا تلام ابدا على أي شيء... هي ذاتما الصغيرة، البريئة، الناصعة، لكنك ستتبينين يوما ما حقيقتها، وآمل الا تكون الصدمة قاسية.»

وأفلحت ليلي في التخلص من بروس، وابتعدت وقالت:

«اذا استمريت بكلامك هذا، فسأضطر لأن أدعوك للانصراف، وعلى أية حال، فلماذا جئت الى هنا؟ أنه موقف محرج كما تعلم.»

وفوجئت برده: لقد جئت لاصطحبك الى الوطن...»

وساد الصمت لحظة، وليلي تحاول ان تستوعب ما سمعت، ثم قالت أخيرا:

«أنسيت أنني متزوجة من رويز؟»

فتقدم نحوها، ولكنها أسرعت بالابتعاد وقال:

«انه زواج عمل فحسب... هذا ما قلته انت. يجب ان تعودي معي. فكل منا للآخر، وما كانت ستيلا سوى نزوة جنونية.»

قالت:

«أو تريد الآن أن تصل ما انقطع من خطبتنا؟»

خدعه هدوء صوتها، فقال:

«بوسعك الحصول على الطلاق.»

فقالت بنفس الهدوء:

«افترضني أنني لا أريد.»

وهم بأن يتكلم، فاحتبس صوته... وأستأنفت ليلي حديثها:

«لا أريد العودة الى ما كانت عليه الامور، حتى لو لم تكن قد تخليت عن ستيلا، ولا اريد أن أترك رويز فأنني الآن احبه. وأذا كان زواجنا قد بدأ كاتفاق عمل، فانه الآن حقيقي...»

فضاقت عيناه، واحتقن وجهه غضبا وقال:

«اذن، فقد كانت ستيلا على صواب. قالت انك ما كنت لتقبلي التخلي عن صفقة كهذه.»

فصاحت ببرود قاس:

«لا تقل هذا ثانية!»

فاعتذر متمتما:

«آسف.»

وإذ ذاك أردفت تسأله:

«وما شأن ستيلا بهذا؟ أأخبرتها بأنه مجرد مشروع تجاري؟»

وراحت ليلي تحدث نفسها:

«أتراها أساءت الحكم عليه؟ لعل ستيلا اكتشفت انه زواج عمل فحسب، فرفضت لهذا الزواج من بروس، اعتقادا منها بأن اختها باقية على حبه، فشاءت أن تتركه طليقا لها اذا ما أنتهى الزواج. أذا صح هذا، فلماذا ألقت ستيلا اللوم على بروس، وقالت انه لم يحبها، وبهرته أضواء النجمة؟ كلا ما كان بوسع ستيلا ان تعرف شيئا عن أن زواج أختها بدأ كاتفاق عمل، والا لذكرت هذا لها!

وقال بروس معتذرا:

«ما تعمدت أن أخبرها.. كانت زلة لسان. ولكن كان

واضحا انه يكذب.

* * *

فجأة ظهرت ستيلا مقبلة من الحديقة، وقالت:

"هل علمت يا ليلي العزيزة...."

وتوقفت ورفعت احدى يديها الى فمها، اذ رأت بروس... كان اجفالها حقيقيا في بعضه، وتظاهرا في بعضه، وقالت:

"أنت هنا؟"

فأسرعت اليها ليلي، وأحاطت كتفيها بأحدى ذراعيها لتسري عنها، قائلة:

"انه يتأهب للانصراف يا عزيزتي."

قال بروس في قحة:

"كلا... لابد من أيضاح أمر أو اثنين قبل انصرافي."

وحملق في ستيلا، وسألها:

"اية قصة كاذبة كنت ترويتها لشقيقتك ليلي؟"

فرمقت ستيلا أختها بنظرة مبهمة، وقالت:

"لست أفهم.. عما يتحدث؟"

فصاح بسخرية:

"حقا؟ كأنك لم تتعمدي فسخ خطبتنا لمجرد هواك، وما كنت تعتزمين يوما الزواج مني! وكأنك لم تسخري مني، ولم تشرعي في أغاظتي بصدد رويز ألدوريت حين قلت لك أن ليلي تزوجته كاتفاق عمل، وذلك لكي لا تلومي نفسك من جراء فسخ خطبتنا!."

التفتت ستيلا الى ليلي، وقالت في أستعطاف يثير الاشفاق:

"عما يتكلم بحق السماء؟"

فقال وقد ارتفع صوته:

"انك تعرفين عما أتكلم... انك جئت هنا معتزمة فصم زواج ليلي، لأنك قررت يوم زواجهما انك تؤثرين ان تستحوذي على أموال رويزألدوريت!"

وسحبت ليلي ذراعها فورا من حول اختها، وذهبت نحو الجرس، ولكنه اعترضها قائلا:

"كلا... بل ستصغين لما سأقول."

قالت وبعد أن دقت الجرس بشدة:

"أظنك قلت ما يكفي..."

قالت لتشيتا بالاسبانية اذ أقبلت:

"السيد بروس جرمين يتأهب للانصراف، أتسمحين بمرافقته للباب؟"

خفض بروس صوته، وقال بالانكليزية التي لا تفهمها مدبرة البيت:

"حسن، سأنصرف، ولكنك قد تجدين ما يدعوك لرؤيتي ثانية. انني أنزل في فندق منديتو."

فقالت ليلي في فتور:

"لا أظنني سأحتاج إلى ازعاجك."

فأطلق ضحكة قصيرة مكتئبة، ورمق ستيلا بنظرات عابرة، ثم قال لأختها:

"قد تقررين أن تعودي الى انكلترا معي.."

ورافق تشيتا مغادرا الغرفة.

* * *

ساد الصمت برهة وجيزة، ثم قالت ستيلا:

"لا أظنك صدقته؟"

فأسرعت تطمئنها، قائلة:

"كلا، طبعا، لم أكن اظن أنك تعلمين."

قالت ستيلا:

"ولكن ماذا يقصد؟ فأنت تبدين سعيدة جدا."

فقالت ليلي بهدوء:

"وأنا فعلا سعيدة."

"ولكن هل كان الزواج اتفاق عمل؟"

"أجل. كان رويز مضطرا للزواج ليرث كاراسترانو.. وكنت أظن أنني بذلك أسهل الامور لك ولبروس."

وظهرت ستيلا بمظهر الخجول، وقالت مبهوتة:

"ولكن، ما كان ينبغي ان تفعلي شيئا كهذا."

فأبتسمت ليلي قائلة:

"الذي حدث ان كل شيء سار الى أفضل ما يمكن... لم أكن في البداية أحب رويز، ولو كان في الاتفاق ما يشترط انجاب وريث لكاراسترانو عندها... لما وافقت لحظة."

"أذن فقد كانت عملية مؤقتة... طلاق بأسرع ما يمكن تدبيره، دون ما ضجة؟"

ارتاعت ليلي لقسوة وقع الكلمات، وحاولت ان تقنع اختها قائلة:

"ولكنه لم يعد كذلك... عندما بدا أننا منسجمان، أقترح رويز أن نجعله زواجا حقيقيا... وأنه حقيقي فعلا الآن."

وبدت عن ستيلا حركة تنم عن أنها تجد صعوبة في الفهم والادراك، وهتفت:

"يا للسماء يا ليلي! أي تورط فظيع وغير ضروري. أنكما لو لم تتزوجا، أو أنه ما يزال من الممكن الغاء علاقتكما! أحسب أنه من السهل الحصول على الطلاق، اذا لم تكوني واثقة تماما بصدد المستقبل... ولست ارى كيف تكونين مطلقة الثقة في هذه المرحلة؟"

وابتسمت ليلي في اعتداد، وقالت:

"انني متأكدة. ولست أريد طلاقا. قلت لك أن كل شيء تحول الى خير وضع. ولقد أحببت رويز، ولا أريد استعادة بروس."

عضت ستيلا شفتيها ،وقالت:

"اموقنة انت تماما؟ لكنك كنت مشغوفة به."

فقالت ليلي:

"انني متأكدة تماما... والشغوف ليس حبا."

فرمقتها ستيلا بنظرة محيرة، فيها ما عجزت ليلي عن فهمه، وقالت:

"حسنا... هذا يريك كم من أخطاء تستطيعين ارتكابها في الحياة!"

بدت ستيلا مشغولة البال، حين اصطحبها رويز وليلي في السيارة بجولة. وفي ذلك المساء، سبقت ستيلا شقيقتها الى الهبوط قبيل العشاء، وكان رويز يقف بجوار خزانة المشروبات وتقبلت منه كأسا.

ولم تلبث ليلي أن فطنت الى أنها تأخرت، فأسرعت بالهبوط.. ولما لم تعد ستيلا في حجرتها، توقعت ان تجدها في قاعة الجلوس، كانت وساوسها من ناحية أختها قد هدأت نوعا ما، منذ حديثهما بعد الظهر، لذلك صدمت اذ فتحت الباب قليلا، فسمعت ستيلا تقول بصوتها الخافت، الجميل:

"يسرني ان وجدتك وحيدا يا رويز، فهناك شيء كنت أحاول قوله منذ وصولي، ولكنني كنت ارجئه.. غير ان أمرا حدث بعد ظهر اليوم، جعلني أدرك الا بد من اقحام نفسي."

وكان جواب رويز هادئا، مشوبا بالدهشة:

"اذا كان هناك ما أستطيع فعله لمساعدتك، فارجو أن تخبريني."

"انه عن أختي... وبروس."

قال بلهجة مؤدبة:

"نعم؟"

فشرعت تقول:

"من العسير أن أتحدث في هذا... وازداد صوتها بحة.

ولم تدر ليلي لماذا لم تبادر بالابتعاد، فما كان من عادتها التنصت على أحاديث الغير. بيد أن ذكر اسمها سمرها في مكانها، وستيلا ماضية في الحديث: لست أدري كيف أعبر ولكنك ربما تدرك الاتجاه، اذا قلت انني أعرف ما دعا ليلي الى الزواج منك... لترث كاراسترانو..."

وساد الصمت لحظة، ثم واصلت الحديث:

"الا تظن.. أن من الغبن ان تستبقيها مرتبطة بك.. أعني، يبدو لي أنك لا تنفذ نصيبك من الاتفاق. انها فعلت من أجلي الكثير، وأرى من واجبي تصحيح هذا الوضع."

قال في اقتضاب:

"اذن أخبرتك هي بالسبب الحقيقي لزواجنا؟"

"ليس تماما... تصادف ان سمعتها عفوا تذكره لشخص آخر."

"ومن يكون هذا الذي تحدثه في أمر شخصي بحت كهذا."

قالت "بروس." فهتف:

"آه!"

لو لا أن ليلي كانت مسمرة في مكانها لاندفعت الى الغرفة في تلك اللحظة. وأردف رويز:

"الرجل الذي كان خطيبها يوما؟"

فأجابت ستيلا، وفي صوتها رنة ارتياح:

"نعم.. أن هذا ليس شأني في الواقع، ولكني شديدة الولع بها، وأعرف كم كانت متعلقة ببروس يوما... ويبدو أن ستيلا تنفست بعمق اذ ذاك، ثم أسهبت في القصة التي أعدتها:

"كنت في الحديقة مصادفة عندما جاء.... ولم أشأ أن أقطع عليها اللقاء، فتريثت متوارية عن البصر... بودي أن أعفيك من التفاصيل كان لقاء جياشا بالعواطف."

ظل رويز صامتا، بينما استأنفت هي:

"وعندها سمعت طرفا من الحديث:

قضى رويز تلك الليلة في غرفة أخرى لأول مرة منذ أصبح زواجهما حقيقيا... وكان قد خرج عقب العشاء مباشرة لمقابلة بعض اصدقائه، وعاد في ساعة متأخرة، وفي الصباح التالي، أخبرها بأنه مضطر للعودة الى كاراسترانو، فلما بادرت لاعداد عدتها لمرافقته، قال بحزم:

"ما من داع لذهابك معي، فلن أغيب سوى بضعة أيام."

وهمت بأن تتكلم، ولكنها تريثت، فما كانت اللحظة مناسبة للحساب، بينما كانت تعد له حاجياته، سألها فجأة:

"لماذا لم تخبريني بأن خطيبك السابق اتصل بك؟"
فأجابت:
"كنت أعتزم... ولكن الفرصة لم تسنح لذلك."
فقال:
"أم لعلك لم تظني ان للأمر أهمية؟"
قالت:
"كلا.. لم يكن ذا أهمية."

ونظرت اليه في لوعة. كان الأمر المهم الوحيد، هو أنه لم يقبلها، وهو يتعجل الخروج للحاق بالطائرة. ووقفت تعض على شفتها أمام الباب الخارجي للدار، والسيارة تنطلق به نحو المطار.

★ ★ ★

أطبقت عليها الوحدة الموحشة بعد ذلك. كانت هي الأخرى تود العودة الى كاراسترانو، حيث أصبح بيتا ومقرا وموطنا لها، أكثر من الدار التي نشأت فيها، لاسيما وأنه كذلك بالنسبة للرجل الذي أحبته. وتقبل الحياة معه برتابة وصداقة، دون ان تكتشف ان ذلك لم يكن حبا ماذا لو لم تأت تسيلا... وتفتح عينيها على الحقيقة أن رويز وليس بروس هو الحبيب الحقيقي لها!

★ ★ ★

ترى أين رويز الآن؟ هل حطت به الطائرة؟ لوكانت معه لشعرت بيده تحت ابطها وهو يساعدها على الصعود درجات الشرفة الامامية للبيت. ولأحست بكل عصب في جسمها يغرد، لأن اتفه لمسة منه كانت كفيلة بأن تسعدها... ولدخلا البهو اللطيف الجو... وتراءت لها ذكريات لحظات هنيئة مشرقة ذكريات رويز يغادر الحمام، وبشرته البرونزية تظفر بالصحة، وشعره الاسود مبتل ومتناثر.. أو هو في بذلة السهرة، في أوج أناقته... أو وهو ضاحك طروب، في ثياب ركوب الخيل، وذكريات الوقوف في رواق الصور تتأمل اجيال آل الدوريت، حتى تصل للمساحة الخالية، المحتجزة لأجيال مقبلة... كان ثمة خطر في يوم ما بأن تظل خالية، ومع انه لم يكن ثمة وريث لكاراسترانو بعد، فانها كانت تشعر دائما بيقين دافيء، بأنها ستخبر يوما الرجل الذي احبته، بأنه لن يكون آخر آل الدوريت... وكان احيانا يجدها واقفة امام الصور، فيحيط كتفيها بأحد ذراعيه.. وتنفرج شفتاها - دون ارادة منها - عن ابتسامة، وتخال ان عينيها تشيان بشعورها

نحوه، كان رجغ تفخر أية امرأة بحبه، وأن لم يكن قد قال يوما انه يحبها.

كان كاراسترانو نعيما خاصا بهما، ولكن، ما الذي يجري الآن؟ هل بدأ يندم على أنه سمح لزواجهما بأن يتحول من اتفاقية عمل بحت، كما كان يوما أو ترى كانت ثمة يد، بطريقة ما... لبروس؟

★ ★ ★

وقررت في اليوم التالي ان تذهب لمقابلة بروس، خشية ان يكون رويز وقد علم بقدومه الى البيت - قد اتصل به، وأن يكون بروس قد قال شيئا يسبب مزيدا من المتاعب، ولكنها حين وصلت الى الفندق الذي كان ينزل فيه علمت انه خرج.

وعادت الى البيت، ولكن نوبة من القلق وعدم الارتياح استولت عليها، فعادت الى الخروج مرة أخرى، وراحت تسير على غير هدى... ما كان بوسعها ان تتحدث مع أحد، حتى ستيلا... أذ كانت اختها تلازم غرفتها طيلة ما بعد الظهيرة، والستائر الخضراء مسدلة وقد تولاها صداع قاس نتيجة بقائها تحت الشمس خارج البيت - وقتا طويلا... وعلى أية حال فان ليلي لم تعد تثق فيها أو تطمئن اليها.

شعرت ليلي بتعاسة، اذ لم يعد بوسعها ان تطمئن الى أحد... فتابعت السير على غير هدى، تحت الشمس الشديدة، الحارة حتى أنهارت قواها... وعندها عادت الى البيت.

١٣ - الحقيقة

أخذت ليلي تستعيد ذكرى عودتها للبيت على غير موعد في المناسبة الاولى، وقدومها غير المتوقع - في هذه المرة الذي كان مختلفا ... فبدلا من أن تنسحب تلقائيا، وقد شلت صدمة المفاجأة والألم تصرفها، اذا بها تتوارى عن البصر، وتصغي. كانت المناسبة في هذه المرة - مختلفة جدا. لقد أقبلت - كما حدث من قبل - من غير المدخل الامامي، اذ دخلت من الابواب المفضية من الشرفة الامامية الى الحديقة... وهذا هو وجه الشبه الوحيد بين المناسبتين. ولكن ما شعرت به في هذه المرة لم يكن ألما، وانما كان تبددا لوهم، وبداية لقرار حاسم، وهذا ما جعلها تستمر في الأصغاء لما كانت تقوله ستيلا لبروس، في ايضاح يشوبه شيء من السخرية:

"أظن بانك جدير بأن تكون اكثر سرورا ... فالأمر برغم كل شيء لصالحك انت الاخر."

واجابها بروس:

"قد لا أكون راغبا في أن اتردى الى المستوى الذي بلغته أنت!"

"من الذي يحفل بالوسائل ما دامت النهاية المنشودة تتحقق؟" يجب أن تشكرني يا عزيزي. لقد مهدت الطريق فعلا، ولن يدهشني اذا ما بات بوسعك - في القريب العاجل - أن تستطيع اقناع ليلي بأن تعود الى انكلترا في صحبتك."

هنا قالت ليلي، وقد ظهرت في باب الشرفة:

"كلا... أنك فسخت خطبتي من قبل يا ستيلا، ولكني لا أنوي أن أسمح لك فصم زواجي من رويز!"

كان من الغريب حقا ان يتمكن المرء من التحول فجأة من النقيض الى النقيض في لحظة واحدة. أن ليلي ما كانت حتى بضع دقائق مضت على أستعداد لأن تصدق أي سوء عن ستيلا، أما الآن، فقد زال تماما كل وهم، وكل ما كان يحيرها، واتضح كل شيء حتى أدق دقائقه... واصبحت تعرف أن بروس كان صادقا حين قال أن ستيلا كانت تعبث بهما معا، حين فسخت خطبتهما.

أستدارت ستيلا بهدوء، وظلت اساريرها لحظة لا تنم عن شيء، ثم عاودتها الابتسامة الهازئة ببطء وقالت دون حياء:

"أنك مولعة حقا بالظهور في أوقات غير متوقعة يا عزيزتي... أليس كذلك؟"

فقالت ليلي بنفس الهدوء الذي لازمها حين كشفت عن وجودها:

"كان من الخير أن أظهر، في هذه المناسبة بالذات."

قالت ستيلا متهكمة:

"اتقصدين... أعذر من أنذر؟"

"نعم... كان من المحتمل ان تنجحي لو أنني لم أعرف انك التي سببت المتاعب.. ما الذي قلته لرويز حتى جعلته يرحل الى كاراستراتو فجأة، على هذا النحو؟"

قالت ستيلا هازئة:

"الا تفضلي عدم المعرفة؟"

فأبتسمت ليلي ابتسامة واهنة، وقالت:

"أحسب انه كان من الافراط في السذاجة ان تخبريني من تلقاء نفسك. لكن قد يكون بوسعي ان أعرف من رويز نفسه."

وأمسكت وتوقفت لحظة، وقد زمت شفتيها في قسوة غير طبيعية، ثم اردفت:

"أنني أعني ما قلت يا ستيلا.. لن ادعك تفسدين زواجي!"

كانت جادة فعلا، فقد تولد العزم كاملا، ووطيدا، بمجرد ان تبينت حقيقة ستيلا، وفهمت أخيرا مدى خطأ أسرة ديرموت في اعتزازها بالابنة الجميلة... النجمة الداكنة، كما كانوا يسمونها... النجمة الداكنة! لقد انجلى للوصف معنى جديد، ينطوي على شؤم. ما أعجب أن العرافة العجوز كانت على صواب! ولكن اعذر من أنذر حقا، كما قالت ستيلا. ولقد عقدت ليلي العزم على النضال من أجل زواجها، مستخدمة كل سلاح يتيسر لها، ودون ما مخاوف أوتردد يذكر.

* * *

ومن خلال فهمها الجديد لستيلا، أيقنت ليلي بأنها ما كانت مستعدة البتة للموافقة على طلاق، لو أن اختها استغلت فتنتها وجمالها فجعلت رويز يهيم بها. فما كان بوسع ستيلا قط أن تسعده. ولكنها كانت مستعدة لتحمل نفوره وكراهيته، والتردي في الشقاء والتعاسة، ولكنها لن تسمح له بالتعرض لتبدد الوهم مرة أخرى، اذ أن أي رجل يحب ستيلا يعرفها في النهاية على حقيقتها. على ان الوقت لم يكن قد اتسع

لتحدث ستيلا ضررا جسيما.

أدركت من خلال فهمها الجديد لأختها - ان ستيلا ما كانت قادرة ان تحب أي رجل. واذا حاولت ان تنتزع منها رويز وقد بدا انها شرعت في المحاولة فعلا - فما كان ذلك الا رغبة في ماله ومكانته، بالاضافة الى جاذبيته كرجل. واذ كان الصراع على هذا المستوى، فلليلي الحق كل الحق في ان تحمي زواجها والرجل الذي أحبته. ولو أن ستيلا كانت امرأة أخرى امرأة من طراز مختلف تماما فقد كان من المحتمل ألا يكون قرارها قاطعا أما مستوى الصراع فانه يقوم على الجاذبية الانثوية، وهي نا حية كان بوسع الزوجة ان تمنح رويز اياها، فان النضال كان من حقها، اذ انها الى جانب ذلك كانت تحبه وكانت على أستعداد لأن تفعل كل ما في وسعها لأسعاده... بينما ستيلا لم تكن تفكر الا في نفسها!

وأذا كان على ليلي ان تحارب ستيلا فلتحاربها على مستواها اذا دعت الضرورة... انها كانت توفر السعادة لرويز ولهذا السبب وحده، كان من حقها ان تحارب للذود عنه... أن تحارب لتستمر السعادة التي وفرتها له.

وقطع عليها أفكارها صوت ستيلا وهي تقول:

"وبعد؟ أحسبك ستطلبين أن أعد حقائبي واغادر الدار؟"

فقالت ليلي محتفظة بهدوء صوتها:

"أظن ان هذا واضح!"

ضحكت ستيلا في سخرية، وقالت:

"وماذا ستقولين لرويز؟ أنك تظنين أن أختك تحاول سلبك زوجك الغني؟"

فقالت ليلي:

"ليس لأمواله قيمة لدي."

وعادت ستيلا تضحك، ولكن السخرية شابها شيء من الأزدراء، وقالت:

"أنني أكاد اصدقك... انك من الغبيات اللائي يتدلهن في حب رجل دون ان يحفلن بأمواله."

وسارت الى الباب، ثم وقفت لتقول:

"يحسن بك ان تعودي نفسك على الرضا ببروس، لأنني اعتزم ان أفوز برويز."

فردت ليلي دون أن ترفع صوتها، محتفظة بهدوئها:

"وأنا اعتزم ألا أمكنك من تحطيم زواجي."

قالت ستيلا في غرور وغطرسة:

"تظنين أن في وسعك ان تنازليني؟"

"سأحاول. أنك لا تملكين سوى الجاذبية. ولو دعت الضرورة فسأنازلك في مجالك. أنني لست بشعة. وزواجي من رويز عرفني بهذا."

قالت ستيلا هازئة:

"أذن، اتمنى لك حظا" ولوحت بيدها، ثم خرجت.

وقفت ليل حيث كانت، وبدأت تشعر بالبرودة. كانت خائفة بالرغم مما قالت، فان ستيلا كانت جميلة، وما كانت تتورع في شيء... ومهما يكن، فان رويز كان رجلا وله عواطف مشبوهة... وتذكرت ما قاله رويز يوما:

"أننا معشر ابناء المكسيك أوتينا دما أسبانيا، وقد نكون كما تزعم الدنيا أسهل من سوانا أستثارة في الناحية الحسية، وفي هذه الناحية سيتركز مجهود ستيلا بطبيعة الحال!"

* * *

هتف بروس ل ليلي بعد انصراف اختها، بصوت خافت:

"ما كنت احسبك أوتيت هذه الجرأة يا ليلي، وأمسك رسغيها فجأة، وهو يقول:

"ولكنك لا يمكنك ان تفوزي... وضد ستيلا بالذات!"

فقالت بهدوء:

"بوسعي ان أحاول."

شد قبضته على معصميها، وقربها اليه قائلا:

"الامر لا يستحق المحاولة. لندعها تحظى به. كنا سعيدين يوما وبوسعنا ان نسعد من جديد."

فدفعته بحركة لا أرادية، قائلة:

"لقد انتهى هذا وعفا عليه الزمن."

قال: "لا داع." ستيلا لا تتورع عن شيء، ومضى في حديثه: انها ستهتدي الى طريقة كي تفوز في النهاية... لو جئت معي الآن، فستعفين نفسك من كثير من الشقاء."

"لن أدعها تفوز. سأهتدي الى طريقة كي امنعها. لابد من ذلك... فانا أحب رويز... وهي ستشقيه لو فازت."

واكفهر وجهه فجأة، وأصبحت قبضته مؤلمة، وبحركة سريعة ضمها اليه، وقد أثاره عدم أكتراثها فجأة. وتمتم وهي تناضله:

"ليس ممكنا أن تحبيه. انك تحبينني. انكلم تتزوجيه الا بسبب ستيلا، كما قلت... وسأبرهن لك على ذلك."

وزاد من هياجه ان حاولت التملص منه. ولكنه كان

أقوى من مقاومتها ... واذ كانت قد احتاطت الى ما يثبت مدى شفائها من افتتانها به فقد وجدت اختباث في هذه اللحظة. وشعرت بأن قبلته تثير اشمئزازها فعلا !

في تلك الاثناء، كانت ستيلا تقف في البهو ... اذ فتح الباب الامامي فجأة، ودخل زوج أختها الطويل الاسمر. وأومأ لها برأسه ايماءة خفيفة، وارتسمت على شفتيها الابتسامة الخادعة، الساحرة. ولما أغلق الباب، وتقدم في البهو، تحركت بسرعة، متظاهرة بأنها تود أن تعوقه عن الحجرة التي خرجت منها. وقالت:

"أرجو ألا تدخل."

فضاقت حدقتاه وهو ينظر اليها، وسألها في حدة واقتضاب:

"لماذا؟"

"لأن بروس هناك... مع ليلي."

وفي هذه المرة، اتجه رويز الى الحجرة بحدة، دون ارادة منه تقريبا ... فأمسكت بذراعه قائلة:

"أرجوك... يجب ألا تغضب. لقد أخبرتك قبل رحيلك..."

وكان قد وقف، وقالت بعد لحظة صمت:

"هل فكرت فيما قلت؟"

وواجهها، ودفع يدها عن ذراعه فجأة، وكأنها قبضة سامة وقال:

"نعم. ولكن عليك أن تدعي حياة زوجتي وحياتي ندبرها معا. وهناك أمر آخر... أرجو أن تلتمسي عذرا لمغادرة بيتي. أن كرم الضيافة تقليد اسباني، ولكني مضطر لأن أخرقه الآن. انني لا أود أن أقول لزوجتي أن أختها غشاشة، كاذبة، لا قلب لها اطلاقا، تحاول أن تفسد حياتها، كما حاولت مرة - من قبل - في انكلترا، لمجرد اللهو والتسلية."

فهمت بالكلام، ولكنه أسكتها، وأستأنف حديثه:

"أظنك تفهمين... وهناك أمر آخر. هذا آل بروس.. لا أدري اذا كنتما دبرتما هذا بينكما، ولكني أود أن تفهمي كذلك أنني لن أسمح لزوجتي بالعودة اليه، مهما تكن الظروف، سألتني ان افكر فيما قلته لي، ولقد فكرت... انني لا اصدق انها تحبه، ولن ادعها - على اية حال - ترحل مع رجل تركها يوما من اجل امرأة مثلك. والآن، اتسمحين باتخاذ الاستعدادات لمغادرة الدار؟"

وأحنى رأسه في تحية موجزة، ودخل الغرفة... ووقفت ستيلا لحظة، حائرة مرتبكة، ثم أظلم وجهها وئيدا

بالغيظ والقهر... وتحولت مسرعة تصعد درجات السلم.

* * *

أغلق رويز الباب، ووقف لحظة ووجهه الاسمر لا ينم عن شيء... ما كان ليدخل في لحظة أسوأ من تلك ومع ان ستيلا ادركت أنها قد خسرت المعركة قبل أن تبدأ، فانها كانت تشعر بارتياح خبيث، لو قدر لها ان تشهد هذه اللحظة.. فمع دخول رويز كان بروس يقبل ليلي! على ان ارتياح ستيلا ما كان ليدوم طويلا، لأن الواضح ان ليلي كانت مكرهة، غير راغبة، وما ان تمكنت من تخليص احدى يديها، حتى وجهت لكمة لمعدة بروس وهي مهتاجة... وانحنى بروس وهو يشهق ألما، واذ بصوت رويز ينبعث في اعجاب واضح:

"انك تخالفين كل توقع يا عزيزتي. فالمعتاد ان توجهي اللكمة الى الأذنين!"

وأستدارا... كان وجه ليلي شاحبا، وبدا بروس مرتبكا، محرجا متوجسا في آن واحد. وانحنى رويز في تحية مقتضبة، وقال في هدوء:

"لا أعتقد اننا تقابلنا من قبل، ولكني لا أجد داعيا للتعارف."

"انني.. بوسعي ان أوضح"

أتعني انك كنت تتهيأ للانصراف؟ من المؤسف أن يكون تعارفنا قصيرا الى هذا الحد، ولكنا نقدر رغبتك في الرحيل على الفور."

وشهق بروس وغادر الغرفة وهو يكاد يجري. وتابعه رويز وعلى وجهه الاسمر الجميل لمسة من السرور، وقال متفكها:

"انني كواحد من آل الدوريت أعتبر نفسي شديد السيطرة على أعصابي. ولعل هذا ورثته عن الجانب الانكليزي في دمائي!"

همت ليلي بالتقدم اليه، باسطة احدى يديها، ثم توقفت لا تدري كيف تتصرف... فبعد السوء الذي أحدثته ستيلا، كيف يتسنى لها أيضاح ما حدث... دخوله الحجرة ليرى رجلا يقبل زوجته... والأنكى ان الرجل كان خطيبها السابق!

أبتسم رويز فجأة، تلك الابتسامة الوضاءة، هل كان يظن انني ادعك ترحلين معه؟"

فتشبثت بذراعه وهتفت:

"انني لا أريد الرحيل معه. يجب أن تصدقني. انني لا أدري ما قالته لك ستيلا، ولكنه أكاذيب!"

"انني أصدقك، ولكني لا أظن أنني كنت مستعدا لأن أتركك ترحلين، ولو كنت راغبة في ذلك!"

وشعرت ليلي بهزة سعادة جديدة تسري في كيانها ··· بعد أن بدأت ستيلا ودسها الخبيث يتلاشيان·

وتساءلت لماذا؟ ولكن الغريزة وشهور السعادة التي قضياها معا، سبقتاه الى الاجابة، وهو يقول:

"لأن الرجل لا يفرط في المرأة التي أحبها دون نضال· وفي اللحظة التالية، كانت بين ذراعيه، وقبلاتهما المتبادلة تعبر عن الحب الكامل، وعن ثقة كل منهما بالآخر، وأدركت ليلي اذ ذاك انه لم يكن ثمة شيء من ستيلا في الواقع لأن شهور المعاشرة ولدت بينهما شيئا لا يمكن تدميره أبدا!

أبعدها رويز ونظر الى وجهها بعينيه السوداوين الدافئتين، كما يفعل أي رجل حين يريد معرفة متى رفعته حبيبته الى مقام كل الرجال··· وابتسمت ليلي قائلة:

"لقد حدث ذلك منذ زمن بعيد، ولكني لا أحسبني ادركت عن بينة ما كان يعتريني الا حين سألتني أن أميك رويثا لكاراسترانو، فأدركت أن كل ما قلته لك بصدد تحاليلك على شروط الوصية، أنما صدر في الواقع عن رغبة في عقلي الباطن في أن يكون زواجنا حقيقيا· كنت أخدع نفسي بكل حديثي عن كاراسترانو···"

فضحك بلطف، ضحكة الرضا الكامل، وقال:

"احسبني بدوري كنت أخدع نفسي· ومع ذلك فلا بد أنني كنت اريدك دائما زوجة الى نهاية العمر!"

"لكنك كنت تقول اذ ذاك أنك لا تؤمن بالحب؟"

"كنت أحمق· فالرجل الذي لا يحب لا يكون مكتمل الحياة!"

"وكذلك اية امرأة·"

"أذن فنحن متفقان على أننا مكتملا الحياة!"

وابتسمت عيناه السوداوان، ثم اختفت الابتسامة فجأة، وبدا جادا وهو يقول:

"لقد ذكرت أختك منذ لحظة··· أهناك ما تبغيه أن تقوليه عنها؟"

فغضت ليلي بصرها، وقالت:

"كلا··· ليس الآن·" ذلك أن ستيلا لم تعد في وضع يتيح لها اثارة المتاعب، فما من حاجة لأن يعرف رويز حقيقة اختها، ومدى ما سمعته هي نفسها عفوا· وأمسك بذقنها ورفع وجهها وراح يتفرس لحظة في محياها، ثم هز رأسه· وقال:

"أظنك عرفت أخيرا حقيقتها!"

فانفرجت شفتاها دهشة، وهتفت:

"أكنت تعرف يا رويز؟"

"عرفت من البداية· ولا أظن أنك تنزعجين ان تعرفي أنني سألتها أن ترحل!"

فضحكت ليلي قائلة:

"سألتها أن ترحل؟أنني أمرتها بذلك قبل أن تفعل!"

فابتسم قائلا:

"ما أطيب أن نتشابه في تفكيرنا!"

"تشابه؟"

كانت ليلي مستعدة لأن تنازل ستيلا في المجال الذي اختارته، والآن يبدو أن رويز عاد من كاراسترانو وقد عقد عزمه على ألا يدع زواجهما ينهار· وسألته:

"ولكن، اذا كنت عرفت حقيقة ستيلا من البداية، وأدركت أنها تحاول عن قصد أن توقع بنا سوءا، فلماذا رحلت الى كاراسترانو على النحو الذي حدث؟ ألم يكن رحيلك بسبب شيء قالته؟"

"رحلت لأنني كنت أعرف أن في ما قالت قدرا كبيرا من الحقيقة، وبالرغم من جهودها كي تلوي هذه الحقيقة لتناسب اغراضها·"

وتوقف مقطبا جبينه قليلا، ثم استأنف الحديث:

"أنك عندما تزوجتني، كنت تحبين ذلك ال·· بروس·"

ونطق الاسم في أزدراء غاضب، تحول الى ابتسامة اذا رفعت يدها تخفف عنه، فأمسك اليد وطبع على كفها قبلة، وهو يتابع الحديث:

"ولقد اقنعتك بأن نجعل زواجنا حقيقيا، وبدا لي أنك سعيدة، ولكن اختك ما لبثت أن جاءت، وأخبرتني بأنك ما زلت تحبين بروس، وبأنه كان يعلم أن زواجنا زواج عمل - أو هكذا كان - وبأنه جاء الى المكسيك ليحاول أن يستردك، ولكنك صددته بسبب ولاء نحوي نشأ عن اعتقاد خاطىء· وبدا ان في هذا قدرا من الحقيقة· واكتشفت - في تلك اللحظة - كم كنت قد خدعت نفسي· لم يكن ما بيننا مجرد تكافؤ عقلي وقدر معين من الجاذبية الجسدية، بل انني كنت أحبك···"

وفوجئت بفكرة احتمال ان اضطر الى التخلي عنك· كنت تبدين سعيدة معي، ولكنني لم أكن عرف ما اذا كنت - تحت هذا الظاهر - تحنين الى ذلك الرجل في أنخلترا· لهذا عدت الى كاراسترانو لأحاول أن أصل الى قرار· ولكني خم أكن بحاجة الى أن ابحث عن الحقيقة في كاراسترانو···

كانت الحقيقة تحيط بي هناك... ذكريات سعادتنا، فادركت اننا ما كنا نسعد بهذا القدر ما لم نكن متحابين."

كانت ليلة واحدة هناك كفيلة بأن تخبرني بالحقيقة. لعلك لم تتبيني هذا، ولكني موقن منه، لهذا عدت معتزما أن ارفض التفريط بك، حتى لو سألتني أن احلك من زواجنا! كنت على يقين بحيث أنني كنت على أستعداد لأن أواجه الشقاء الى فترة... الى أن تتبيني أنك انما تنعمين لي، وأن الآخر كان مجرد بقايا راسبة من تعود قديم... تعود اظن بأنك تحبينه!"

ضحكت ليلي، وقالت:

"تعود! كحذاء قديم نسيت أن ترميه ما كان أشد أسى بروس لو أنه سمع هذا الوصف. ومضت تقول:"

"ما شعرت الا بتوتر عصبي من الضيافة التي أحدثها... ثم بالخوف، حين تبينت ما كانت عليه ستيلا حقا، وما كانت تحاول أن تفعله."

وتوقفت لحظة، وهي تهز رأسها في عجب، ثم أردفت:

"أليس غريبا أن تساورنا معا فكرة واحدة؟ أنك كنت مستعدا لاحتمال كراهيتي اياك لفترة، ولكنك كنت ترفض ان تدعني أعود لبروس... كذالك كان شعوري أنا ازاء ستيلا!"

قال في هدوء:

"ليس غريبا، في الواقع. فكل منا يعرف أنه مرتبط بالآخر، ويؤمن بهذا كل الايمان بحيث أنه على أستعداد لاحتمال أي شيء آخر. لعل قدومها الى هنا كان ضروريا، حتى نعلم مدى قيمة كل منا للآخر!"

وشدها الى احضانه ثانية، ومضى يقول:

"والآن... لننس كل شيء عنها. فلن تلبث ان ترحل عن الدار بعد قليل، وسنعود الى كاراسترانو معا."

العودة الى كاراسترانو! الى السعادة الكاملة والدائمة! وابتسمت ليلي له، مدركة أن زواجهما الذي بدأ على ذلك النحو الغريب، واحتجاز بحارا غريبة قد بلغ أخيرا المرفأ الذي ينشده كل أمرىء.

وغربت... النجمة الداكنة من سماء حياتهما!